

المكتبة العامة السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا
مركز الكتاب والسنة



أسباب النزول

"أسانيدها وآثرها في تفسير القرآن الكريم"

رسالة مقدمة لبلخ درجة الدكتوراه

في التفسير
٥٦٠ ١٠٠٢٥٢٥



إعداد:
الشيخ به جمع سماط
إشراف الدكتور:

محمد عبد الطيفم العتيبي

١٤٠٣ هـ

-

١٤٠٤

١٩٠٨٢

١٩٨٢

الإهداء

إلى من أدبني بأدب القرآن الكريم .
إلى من غمرني برعايته العلمية والروحية .
إلى من عبأني الله على يد منعم حفظ القرآن الكريم
إلى شيعي وأستاذي المرحوم الكبير :
الحاج محمد صالح محمد كسّام
أهدي هذا الجهد المتواضع .
لقرارك بالفضل ... وعرفاننا بالجميل ...
فإنه من ثمرات جهده الطيب المشرقا

أعني الله مثوبته .

وجزاه خير الجزاء .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

=====

بعد حمد الله تعالى والثناء عليه ، أتقدم بوافر شكرى ، وفائق
تقديرى للقائمين على أمر جامعة أم القرى بمكة المكرمة
لما قدموا لى ولزملائى من تهية المناخ الطيب الصالح لتحصيل
المسلم والمعرفة . ولما قاموا به من رعاية كريمة للجميع . فجزاهم
الله خيراً ، ووفقههم للمزيد من خدمة الإسلام والمسلمين .

وانى لحاجز من إيفاء القائمين على أمر جامعة أم دُرْمَانَ الإسلامية
حقهم من الشكر ، لارتاحتهم لى فرصة الأبتعاث والدراسة فى هذا
البلد الأمين .

وأشكر استاذى الكريم ، سعادة الدكتور محمد عبد المنعم
القيسى ، على تفضله بالإشراف على هذه الرسالة ، وعلى بذله
السعى من وقته الثمين ، وعلمه الفزير ، وتوجيهاته السديدة .

واننى لن أنسى له تبنية لهذا الموضوع منذ بزوغ فكرة اختياره ،
وتشجيعه القوى لى على اقتحام هذا الميدان الذى طالما ترددت
فى ولج معتركه الصعب ، ثم تذليله لكل العقابيل ، وإزالة التسه

لجميع العقبات التي كانت تعوقني عن السير قدماً في هذا الموضوع .

فالله أسأل أن يسبغ عليه ثوب العافية والصحة ، وينفع به ويعلمه
ويجزل له حسن الثواب ، انه على ما يشاء قدير .

وللأستاذ الفاضل السيد محمد عبد الكريم المستشار الثقافي
بالسفارة السودانية بجدة جميل الثناء وعظيم التجلية على رعايته الكاملة
للمبعوثين ، وتفانيه في خدمتهم ، واهتمامه الفائق بجميع قضاياهم
المختلفة .

سدد الله خطى الجميع في مسيرة العلم النافع ، والعمل
الصالح ، وتوج مساعيهم الحميدة بالقبول الحسن والثواب الجزيل ،
انه سميع مجيب .

المقدمة

المقدمة :

=====

الحمد لله الهادي للتي هي أقوم . أحمده سبحانه ، جمل
لكل شيء سبباً ، وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، وأنزل عليه
الذكر ليبين للناس ما نزل إليهم . فصلّى الله وسلم وبارك عليه وعلى
آله فى العالمين . ورضى الله عن أصحابه الأخيار ، الذين أُشْرِفُوا
فى قلوبهم الهدى ، فصكفوا على تلقى القرآن الكريم تلاوةً ، وممارسةً
واستظهاراً ، وتطبيقاً . فصاروا بذلك أسوة حسنة للمتأسسين ، وقدوة
صالحة للمقتدين . فجزاهم الله خيراً ما يجزى أمثالهم ، وزادهم من
فضله الواسع ، وكرمه العميم . وجعلنا من المقتفين آثارهم على هدى
وبصيرة ، المحشورين فى وفد هم يوم تبلى كل سريرة .

أما بعد :-

فإن علوم القرآن الكريم من أجل العلوم وأشرفها . وحسبها
من ذلك أنها وثيقة الصرى بكتاب الله تعالى ، فما من علم يتصل بهذا
الكتاب الكريم ، إلا كان له من الشرف أرفعهُ وأكملهُ ومن الجلال أوفرهُ
وأتمهُ .

وأَسباب النزول من أهم علوم القرآن وأكرمها . فهى من أعظم
الآلات المُعينَة على استِغْنَاهِ مقاصد التنزيل العزيز ، وأفضل الأدوات
الدالة على مَرَامِي الشرع الحكيم . وذلك لأنها تُعين على فهم
آيات فهمًا سليماً ، وتزيل عنها ما يقع فيها من إشكال ، كما أنها

تدفع تَوْهُمَ الحَصْرِ عما يفيد بظاهرة الحصر من الآيات ، وتعين على معرفة حكمة التشريع ، وهى خير وسيلة إلى تعيين المبهمات فى القرآن الكريم .

ونظرا لأهمية أسباب النزول فى تفسير القرآن الكريم ، أفردها العلماء بالتأليف ، وأحسنوا الصَّنْعَةَ فى عرضها ، وقد موهبها موثقةً بالأسناد المتصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنالوا بذلك شرف المساهمة فى بيان الذكر الحكيم .

ولست - بِلَا أدنى ريب - ممن يتناولون الى مدارج أولئك السابقين من علمائنا الأفاضل .

وليس لمُتَطَوِّلٍ - مهما أجهَد نفسه - أن يبلغ شأوهم فى هذا الميدان . فهم - أثابهم الله - لم يدعوا زيادةً لمستزيد يأتى من بعدهم . وذلك لأن أسباب النزول لا تثبتُ بالرأى والاجتهاد ، وإنما هى رهينةُ النقل الصحيح ، والأسناد الثابت المتصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد هذه الحقيقة الثابتة ، يظل الباب مفتوحاً لمن يرضى فى إحياء ذكرى أولئك الأسلاف المُكْرَمِينَ . وتُصبح الفرصة سانحةً للتبصير بمجهوداتهم العظيمة فى خدمة كتاب الله الكريم . ويكون المقام مناسباً للوقوف على الآثار الاجتماعية الهامة لمعرفة سبب النزول .

وفى هذا الإطار المحدود جاءت هذه المباحث بعون وتوفيق من الله تعالى ، وذلك لبواعث شتى ، أوجز أهمها فيما يلى :-

أولاً : اتصال هذا الموضوع بكتاب الله . وكل مسلم يجد من نفسه ميلًا فطريًا نحو ما يتيسر له من المعارف المتصلة بكتاب الله .

ثانيًا : اختلاف مناهج المؤلفين فى هذا البحث ، مما جعلنى أتشوف إلى المزيد من المعرفة بالمقارنة بين هذه المناهج .

ثالثًا : معرفة المؤلفين فى أسباب النزول ، والترجمة لهم . وفى ذلك إحياء لذكرى أسلافنا الصالحين الذين ساهموا ببحوث قيمة أوقفنا على ألوان من المعرفة المتصلة بكتاب الله .

رابعًا : التصرف على المصنفات فى أسباب النزول ، من مخطوطات ومطبوعات ، ومحاولة الوقوف على أماكن وجودها بغرض الفائدة العامة .

خامسًا : إن لمعرفة أسباب النزول أثرًا اجتماعيًا هامًا ، فإن كتاب الله تناول كل جوانب الحياة . والوقوف على سبب النزول يُعين على فهم المعنى ، مما يجعل البحث وثيق الصلة بقضية تفهم آيات كتاب الله .

لهذه البواعث مجتمعة عقدت العزم على الكتابة فى أسباب النزول . ورأيت أن أجعل عنوان البحث كما يلى :

(أسباب النزول : طريقها وتحليل النصوص بها)
ورُتبت ذلك في مقدمة ، وبابين ، وخاتمة . لتكون المقدمة مشتملة
على التنويه بقيمة هذا الموضوع في علوم القرآن ، ومتضمنة ذكر
الهوامش الدافعية إلى اختياره ، مع بيان منهج البحث .

أما الباب الأول فجعلته في سبب النزول . وضمته خمسة فصول :
أولها . في التعريف بسبب النزول . وذكر من ألف فيه من
العلماء . والكتب المؤلفة فيه ، وبيان قيمتها العلمية .

الثاني : في الاستعانة بالسبب على فهم الآية ، وإزالة الإشكال
عنها .

الثالث : في مصرفة حكمة التشريع ، وهل تحل النصوص بملة أو لا ؟
وما المراد بها ؟

الرابع : في رفع توهم الحصر ، وتعيين المبهمات .

الخامس : هل العبارة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب ؟ وبيان
ما يترتب على كلٍّ من القولين .
وأما الباب الثاني فجعلته في طريق معرفة السبب وقد اشتمل على
ثلاثة فصول :

الأول : فى الروايات التى وردت فى أسباب النزول وقيمتها .

الثانى : فى صيغ الرواة فى التعبير عن سبب النزول ، والموازنة
بينهما .

الثالث : فى تعدد الأسباب والمُنزَل واحد . وفى وحدة
السبب لأكثر من آية .

وأما الخاتمة فقد تضمنت ذكر النتائج التى انتهى إليها البحث .

على أن هذا الترتيب يعدّ واحداً من ملامح المنهج الذى قام عليه
بناء هذه الرسالة . وفيما يلى عرض موجز لتلك الملامح المنهجية :-

١- بعد تخطيط البحث على الترتيب المتقدم ، استعملت على

انجازه - بعد الله تعالى - بلفيف من المصادر والمراجع المتنوعة ،
المتثلة فى كتب أسباب النزول ، وعلوم القرآن ، والتفسير ، والحديث ،
والفقه ، والأصول ، واللغة ، ومناهج البحث العلمى .

٢- وفى استخدام المصادر والمراجع سلكت طريقتين :-

الأولى : نقل نصوص بعينها ، للاستدلال أو الاستشهاد ،

أو البيان . مع تمييزها بعلامات التنصيص ، ثم الإشارة إلى مصادرها
فى الهوامش .

الثانية : التعبير - بأسلوبى الخاص - عن الأفكار والمعانى التى

وردت فى بعض الكتب ، دون استعمال علامات التنصيص ، مع الإشارة إلى مصدرها فى الهوامش أيضا .

٣- وقد اعتمدت (أساسا) - فى إحصاء الآيات النازلة بأسباب والآيات النازلة ابتداء - على كتاب "لباب النقول فى أسباب النزول" للإمام السيوطي ، فى طبعته الصادرة فى القاهرة ، ضمن سلسلة "كتاب التحرير" تحت عنوان "أسباب النزول" . وذلك لأن هذه الطبعة عُنِيَتْ بِذكر أرقام الآيات النازلة بأسباب ، مما ساعد على عملية الإحصاء .

فیر أنى لم أكتفِ بما ورد فى هذه الطبعة فحسب . بل كنت أقابله بأسباب النزول الواردة فى الكتب الأخرى ، مثل كتاب الواحدى وكتاب الصراقي ، وبعض كتب التفسير والحديث .

٤- ولما كانت الروايات الواردة فى أسباب النزول من الكثرة بحيث لا يتسع المجال لتحقيقها - فقد قسّمتها إلى ثلاثة أقسام :

الأول : ما ورد فى الصحيحين أو فى أحدهما .

الثانى : ما وافق ما فى الصحيحين .

الثالث : ما لم يرد فى الصحيحين ، ولم يوافق ما جاء فيهما .

ثم اخترت طائفة من كل قسم وملتقت عليها جميعاً ، وذهلتُ ذلك بإحصاء لما ورد من كل قسم في كتب أسباب النزول .

٥- وقد اقتصر في تخريج الأحاديث على بعض الروايات ، نظراً للكثرة . وكنت أشير إلى ما ورد في الصحيحين ، وأورد آراء العلماء في الحكم على ما جاء في غيرهما .

٦- أما الآيات القرآنية فقد أوردتها في البحث مرتبةً على حسب نظامها في المصنف الشريف . ثم خرجت كل آية ، مشيراً إلى السورة التي وردت فيها ، مع ذكر رقم الآية ، وضبطاً ضيقاً كاملاً .

وأما أرقام السُور فقد اكتفيتُ بذكرها في الجدول الإحصائي الذي بينتُ فيه الآيات النازلة بأسباب ، والآيات النازلة ابتداءً بلا أسباب .

٧- وفي مجال الذب عن بعض كتب أسباب النزول ، أورد المآخذ أولاً ، ثم أقابلتها بما جاء في تلك الكتب للتأكد من صحة الادعاء ، ثم أذكر رأيي مصحوباً بالدليل .

٨- وفي الترجيع بين الآراء المتضاربة في مسألة من المسائل ، أحسن الآراء ، وأقارن بينها ، وأناقشها ، ثم أرجح ما أراه راجحاً مع ذكر الأدلة المبرجة .

وأشر هذه الملامح يظهر في أكرمين اثنين :-

٩- الترجمة لكثير من الأعلام الذين ضمهم البحث .

١٠- وترتيب الفهارس المرشدة إلى محتويات هذه الرسالة .

وقد جاء ترتيب الفهارس على النحو التالي :- (١)

أ / فهرس المصادر : ورتبته على أسماء المؤلفين ، على حسب ترتيب الحروف الهجائية . وذلك بإثبات الكنية أو اللقب الذي اشتهر به المؤلف ، ثم اتباعه بالاسم ، ثم عنوان الكتاب ، واسم المحقق ومكان وتاريخ النشر إن وجد شيء من ذلك .

(١) انظر كتاب الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان (كتابة البحث العلمي

ومصادر الدراسات الإسلامية) ص ١٣١

وكتاب الدكتور أحمد شلبي (كيف تكتب رسالة أو بحثاً)

ب/ فهرس الآيات : ورتبته كما يلي :
أبدأ باسم السورة ورقمها ، فأضعهما في منتصف السطر ، على
غيطة العنوان . ثم أضع كلاً آية في سطر على حدة ، وأكتب أمامها
رقمها ثم رقم الصفحة التي وردت فيها من الرسالة . وقد رتب الآيات
على حسب ورودها في السورة .

ج/ فهرس الأحاديث :
وقد رتبته على حسب ورودها في الرسالة ، بادئاً بذكر اسم
راوي الحديث : ثم أكتب أمامه جزءاً من النص ، وأتبعه برقم الصفحة
التي ورد فيها ذكره من البحث .

د / فهرس الأعلام :
وبدأت فيه بذكر من اشتهر بالكنى ، ورتبته على الأحرف الهجائية .

هـ/ فهرس الموضوعات :
ورتبته على حسب ورودها في الرسالة ، مراعيًا التفصيل الدقيق تيسيرًا
على القارئ في الرجوع إلى مطلبه .

هذا وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه
الكريم ، وأن يثبتني في ميزان حسناتي ، وأن ييسر النفع به ... ،
إنه سميع الدعاء .

وأخيراً دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم وبارك
على نبيّنا محمد وعلى آله أجمعين .

الباب الأول

في سبب النزول

وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول :

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول :

في التعريف بسبب النزول

المبحث الثاني :

في ذكر مئة ألف في مئة العلماء

المبحث الثالث :

في الكتب التي ألفت فيه

وبيان قيمتها العلمية



المبحث الأول :

التعريف بسبب النزول

هذا علم يبحث فيه عن سبب نزول سورة أو آية ، ووقتها ، ومكانها
وفير ذلك من الظروف والاحوال (١)

وهو ضرورى للمفسر ، اذ يتعين عليه قبل تناوله للآية
ان يذكر السبب ان كان لها سبب من أجله نزلت .
وقبل ان نتعرض للتعريف بسبب النزول ينبغي ان نهيئ
لذلك بمعرفة السبب والنزول ، بالمعنى الافرادى لكل منهما ، فنقول
معنى النزول : الانتقال من اعلى الى اسفل . وقد يراد به
الحلول بالمكان .

اما السبب فيطلق فى اللغة على كل ما يتوصل به الى غيره (٢)
ومن ذلك اطلاق السبب على الطريق ، كما فى قوله تعالى " وَآتَيْنَاكَ
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَاتَّبِعْ سَبَبًا " (٣) اى طريقا . ومنه اطلاقه على
الباب : قال تعالى : " لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ " (٤)
اى ابوابها . و احيانا يذكر السبب ويراد به الحبل كما فى قوله

(١) انظر : (كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون ١ / ٧٦)

(٢) القاموس المحيط " ٨ / ١ - ومختار الصحاح ص " ٢٨١ "

(٣) سورة الكهف " ٧٤ ، ٧٥ "

(٤) سورة فاطر " ٣٦ ، ٣٧ "

تعالى : " فَلْيَقْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ " (١) أى بحبل الى السقف (٢) وكل ذلك يرجع الى المعنى اللغوى ،
وأما المعنى الاصطلاحي للسبب فقد ورد على النحو التالى :
أ- عرفه الامام البزدوى (٣) بقوله : (هو فى . الشريعة عبارة عما هو طريق الى الشئ * ، من سلكه وصل اليه فنالته فى طريقه ذلك ، لا بالطريق الذى سلك ، كمن سلك طريقا الى مصر بلغه من ذلك الطريق ، لا به ، لكن بمشيئه) (٤)
ب - وعرفه الامام السرخسى (٥) بقوله : (وفى الاحكام السبب عبارة عما يكون طريقا للوصول الى الحكم المطلوب من غير ان يكون الوصول به) (٦)

(١) سورة الحج " ١٥)

(٢) انظر : كشف الاسرار ١٦٩ / ٤ ، وأصول السرخسى ٣٠١ / ٢ وأصول الفقه للبرديسى ص " ٩٧ ، ٩٨ "

(٣) هو فخر الاسلام ابوالحسن على بن محمد بن الحسين بن سعيد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد الفقيه الحنفى الاصولى . ينسب الى " بزدة " فيقال " بزدوى " وتسمى ايضا " بزدوه " فيقال " بزدوى " . ولد سنة اربعمائة وتوفى سنة اثنتين وثمانين واربعمائة (انظر الفتح المبين فى طبقات الاصوليين ٢٦٣ / ١) للمراغى

(٤) أصول البزدوى بهامش كشف الاسرار " ١٦٩ / ٤ "

(٥) هو شخص الائمة محمد بن أحمد بن أبى سهل ابو بكر السرخسى - يفتح السين والراء المهملتين وسكون الخاء المعجمة - الفقيه الحنفى . الاصولى ، منسوب الى سرخس بلدة قديمة بخراسان توفى سنة ثلاث وثمانين واربعمائة (الفتح المبين ٢٦٤ / ١)

(٦) أصول السرخسى ٣٠١ / ٢

جـ - وعرفه الشيخ عبدالعزيز البخارى (١) بأنه (كل وصف ظاهر

منضبط ، دل الدليل السمعى على كونه مصرفا لحكم

شرعى) (٢)

والمراد بالوصف فى هذا التصريف : المعنى : وهو ما

قابل الذات . والمراد بكونه ظاهرا : أى غير غفّى . ومعنى كونه

منضبطا : أى محددا . لا يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص .

ومعنى كونه مصرفا لحكم شرعى : أى علامة على الحكم الشرعى من غير

أن يكون له تأثير فيه . (٣)

قلت : والذى يظهر من هذه التصريفات الثلاثة أن الاول منها

- وهو تعريف البزدوى - لا يختلف فى شىء عن التعريف اللغوى :

فأهل اللغة يحرفون . السبب - كما تقدم - بأنه (كل ما يتوصل به

الى غيره) والامام البزدوى يحرفه - فى الشريعة - بأنه " عبارة عما

هو طريق الى الشىء " . وانما جاء تعريف البزدوى مطابقا للمعنى

اللغوى لأن السبب فى عرف الفقهاء مستعمل فيما هو موضوعه لفظة ،

بخلاف ما هو معهود فى الاصطلاحات .

فنى تعليق صاحب " كشف الاسرار " على هذا التصريف أبان ان

لفظ " الشىء " فى قوله " مما هو طريق الى الشىء " يراد به الحكم .

(١) هو علاء الدين عبدالعزيز بن أحمد بن محمد البخارى الفقيه الحنفى الاصولى . تبخر فى الفقه والاصول وعرف بالتفوق فيهما ومن اشهر مولفاته كتاب كشف الاسرار توفى سنة ثلاثين وسبعمائة

(الفتح المبين ١٣٢/٢)

(٢) كشف الاسرار عن اصول البزدوى ١٦٩/٤

(٣) اصول الفقه للبزدوى ١٦٩/٤

وان لنظ "الشريعة" يراد به حكم الفقهاء . وأن السبب في عرف الفقهاء مستعمل فيما هو موضوعه لغة أيضا . (١)

أما تعريف السرخسي وتعريف عبد العزيز البخاري فأرى اتفاقهما مع ما هو معهود في الاصطلاحات من أن التعريف الاصطلاحي اخسن من التعريف اللغوي .

ما المراد بسبب النزول ؟

وبعد هذا التمهيد بمعرفة السبب والنزول لغة واصطلاحا بالمعنى الافرادى ، انتقل الى المعنى المركب فأبسطه على النحو التالى :

اولا : عرفه كل من الشيخ الزرقانى فى " مناهل العرفان " والشيخ ابوشهبة فى " المدخل " بقولهما : (سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه) (٢) .
والمراد بهذا التعريف وقوع حادثة فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، أو توجيه سؤال اليه وانزال الله تعالى آية أو آيات بيانا لتلك الحادثة ، أو جوابا عن ذلك السؤال .
ومن تمام معنى هذا التعريف بيان المراد من قولهم " أيام وقوعه " فان المراد من أيام وقوع سبب النزول هو الظروف الزمانية التى يسئل القرآن فيها متحدثا عن ذلك السبب .

وهذا القيد غاية فى الاهمية لانه يخرج الآيات التى تتحدث عن الامور الماضية أو المستقبلية ، لانها نزلت ابتداء من غير سبب . وذلك

(١) كشف الاسرار ١٦٩ / ٤

(٢) مناهل العرفان فى علوم القرآن ١ / ٩٩ - والمدخل لدراسة

القرآن ص ١٣٢

كالايات التى تتحدث عن الأمم السابقة ، وعن بعض قصص الانبياء ،
وكالايات التى تذكر يوم القيامة وما فيه من أهوال وثواب وعقاب .

ثانيا : عرّفه الدكتور صبحى الصالح بقوله :- (سبب النزول هو
ما نزلت الآية أو الآيات بسببه متضمنة له أو مجيبة عنه أو مبينة لحكمه
زمن وقوعه) (١)

وهذا التعريف مختلف عن سابقه ، وفى النفس منه شىء* ، فسبب
النزول - هنا - هو ما نزلت الآية أو الآيات بسببه . والذى أراه ان
قوله " بسببه " دور مفسد للمعنى ، لأن المعنى يستقيم اذا نزلت
الآية أو الآيات متحدة عن السبب أو مبينة لحكمه . أما ان تنزل
الآية أو الآيات بسبب السبب فهذا دور يفسد المعنى بلا ريب .
ومن ناحية اخرى فان فى قوله (متضمنة له أو مجيبة عنه) مزيدا
من التفصيل ليس مألوفاً فى التعاريف اذ يمكن الاستغناء منه بقولهم
" متحدته عنه " .

وبامعان النظر فى التعريفين نجد التعريف الذى اوردّه الشيخان
الزرقانى وابو شعبة جامعا مانعا لا اعتراض عليه ، فهو المرجح
المختار . والله من وراء القصد .

(١) مباحث فى علوم القرآن للدكتور صبحى الصالح ص " ١٣٢ "

المبحث الخامس :-

ذكر من ألف فيه من العلماء

عنيت طائفة من علماء المسلمين بأسباب نزول القرآن الكريم ، وافردوها بالتأليف فى مصنفات كثيرة خاصة بها ، محولين فى ذلك على الرواية والاسناد والنقل الصحيح . فاستطاعوا بذلك ان يثروا المكتبة الاسلامية ثراء عظيمًا فى هذا الباب ، وان يزودوا المشتغلين .
بالتفسير بما يحينهم ويسدد آراءهم .

وقد حاولت - جهد الدأقة - أن انقب عن هؤلاء الافذاذ واحصيتهم عددا . فعكفت على تراجييم التسميات فى مآانها من الكتب المتفرقة وكانت حصيلى من ذلك البحث ثمانية منهم . ولعلنى اظفر - بعد - بمراجع اخرى تضيف جديدا الى ما وصلت اليه ، اذ ليس من الحكمة ادعاء الاستقراء التام ، لجواز العثور على مراجع تنفى من هذا الضرب بما هو أكمل وأتم . لا سيما وان أغلب الكتب المؤلفة فى اسباب النزول أصبحت الآن مفقودة . فلعلها - ان وجدت - تتجود بمعلومات مفيدة من علماء اخرين برعوا فى هذا الفن . وليس ذللك ببعيد ، فكثير من المؤلفين درجوا على ذكر من سبقهم بالتأليف فى الموضوع الذى يبحثونه .

وفىما يلى اذكر اولئك العلماء الثمانية مرتبين بحسب وفياتهم على النحو التالى :-

١- أولهم : ابن المديني (٢٣٤) هـ

وهو شيخ المحدثين علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيع - بفتح
النون وكسر الجيم - بن أبي بكر بن سعد السعدي بالولاء ، البصري
المعروف بابن المديني وشيخ الامام البخاري . وهو أحد ائمة
الحديث في عصره ، محدث ، حافظ ، أصولي ، مؤرخ ، نسابه ،
لغوي . وكان يكنى بأبي جعفر .
تلقى العلم على جمهرة من العلماء ، منهم أبوه ، وابن هبيرة ،
وابن عليّ ، وبشر بن المفضل ، وحاتم بن وردان ، ويحيى بن سعيد
القفطاني ، وعبد الله بن وهب وخلق كثير .
روى عنه البخاري ، وابوداود ، والترمذي والنسائي وابن ماجه
وكثيرون .
ولد ابن المديني بالبصرة سنة احدى وستين ومائة ، وتوفي
" بسر من رأى " سنة اربع وثلاثين ومائتين ، وأصله من المدينة .
له تصانيف كثيرة : منها : " الاسامي والكنى " في ثمانية اجزاء
و " قبائل العرب " في عشرة أجزاء ، و " تفسير قريب الحديث "
و " المسند في الحديث " وهو أول من ألف في اسباب النزول ،
غير ان كتابه في عداد الكتب المفقودة (١)

(١) انظر : تاريخ بغداد ٤٥٨/١١ - وتهذيب التهذيب

٢ - الثاني : أبو المطرف الأندلسي (٤٠٢) هـ

هو قاضي الجماعة أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس الأندلسي القرطبي ، صاحب المصنفات المشهورة ، كان من جهابذة الحفاظ والمحدثين . وجمع ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس وقد ولي القضاء والخطابة والوزارة وكان يعلى من حفظه . ومن مصنفاته : " اسباب النزول " في مائة جزء لكنه لم يصل إلينا . وكتاب " فضائل الصحابة والتابعين " في مائتين وخمسين جزءا . وقيل ان كتبه بيعت بأربعين ألف دينار .

وكانت وفاته في شهر ذي القعدة سنة اثنتين وأربعمائة وله من العمر أربع وخمسون سنة (١)

٣ - الثالث الواحدى (٤٦٨) هـ

هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي . الواحدى النيسابورى الشافعى . كان جامعا لكثير من العلوم ، وقد برع فى التفسير والنحو واللغة والفقه والشعر والاعبار . وأعانه على النبوغ فى هذه العلوم تتلمذه على جهابذة من العلماء من أمثال أبى الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله الصفار شيخ الادباء . فى عصره . وأبى الحسن على بن محمد بن ابراهيم الضرير النحوى المحدث . وأبى الحسن عمران بن موسى المضرى المالكى الفقيه الاصولى النحوى . وأبى عثمان سعيد بن محمد الزعفرانى المقرئ

وابى اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي المفسر (١)
وللواحدى مصنفات كثيرة منها : " اسباب النزول " و " الاغراب
ففى علم الاغراب " . وثلاثة كتب فى التفسير هى (البسيط ، والوسيط
والوجيز " وكتاب " التخيير " فى شرح اسماء الله الحسنى ، و " شرح
ديوان المتنبي " و " كتاب الدعوات " و " كتاب المغازى " وكتاب " نفسى
التعريف من القرآن الشريف " . وكانت وفاته سنة ثمان وستين وأربعمائة (٢)

٤ - الرابع : ابو المظفر الصراقي (٥٦٧) هـ

هو ابو المظفر محمد بن أسعد بن محمد بن نصر الحكيمسى ،
ويقال ابن الحكيم ، الحراقي ، الفقيه الحنفى ، الواعظ ، الشاعر
اللفوى .

ولد فى ربيع الاول سنة أربع وثمانين وأربعمائة بمدينة بغداد ، ونشأ
وتفقه بها ، ثم رحل الى دمشق واستقر بها ، وبنيت له مدرسة فيها
واقبل الناس على درسه فأفادوا منه كثيرا .

تلقى العلم على نخبة من العلماء ، منهم : نور الهدى الزينى
وابو على بن نبهان ، وابو محمد قاسم بن على المعروف بالحريزى
صاحب المقامات المشهورة . ومن أبرز تلاميذه ابو نصر الشورازى .

(١) انظر مقدمة الاستاذ السيد أحمد صقر لتحقيقه كتاب اسباب

النزول للواحدى ص ٩٠ الطبعة الاولى .

(٢) هـ ٦٩٤ / ١ ، ربيع الأول ٦٩٧ / ٧

وله عدة مصنفات : منها : " اسباب النزول والقصص القرآنية
وتفسير القرآن المسمى " تفسير الحكيم " و " شرح شهاب الاخبار " .
في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية لابن حكيم القاضي
و " نظم مختصر القدوري " في فروع الفقه الحنفي ، و " شرح مقامات
الحريري " ، وله أشعار متفرقة .

وبعد عمر حافل بالعلم والدرس وافته المنية في شهر المحرم سنة
سبع وستين وخمسائة (١)

هـ . الخامس : المازندراني (٥٨٨) هـ

هو ابو جعفر محمد بن علي شهراسب بن أبي نصر السمرقاني
المازندراني رشيد الدين ، أحد شيوخ الشيعة .
اشتغل بالحديث ، ثم تفقه وبلغ النهاية في فقه أهل مذهبه
ونبغ في الأصول . ثم تقدم في علم القراءات والفريز والتفسير
والنحو . وكان امام عصره ، والغالب عليه علم القرآن والحديث ،
له من الكتب : " مناقب آل أبي طالب " ، و " مثالب النواصب " .
و " المخزون المشكون في عيون الفنون " ، و " أعلام الطريق في الحديث
والحقائق " ، و " مائدة الفائدة " ، و " المثال في الأمثال " ،
و " الحاوي " ، و " المنهاج " ، و " الأوصاف " ، و " الفصول " و " متشابه
القرآن " .

وكانت وفاته في شهر شعبان سنة ثمان وخمسمائة (٢)

(١) انظر الأعلام ٢٥٦٦ ، والمحمدون من الشعراء ص ٢٠٨
(٢) انظر : طبقات المفسرين : للداودي ١٩٩/٢ - والسيوطي
" ٣٧ " وروضات الجنات ٢٩٠/٦

٦- السادس : ابن الجوزى (٥٩٧) هـ

هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي
ابن عبيد الله بن جعفر الجوزى ، وينتهى نسبه الى أبى بكر الصديق
رضى الله عنه . والجوزى نسبة الى محلة فى البصرة تسمى محلة الجوز .
ولد فى بغداد ، وتوفى أبوه وله من العمر ثلاث سنين ، فرعته أمه .
وجدته . وكان أهله تجارا بالنحاس - وهذا يفسر ما يوجد فى سماته
القديمة من لقب " ابن الجوزى الصقار " .

وما أن شب وترعرع حتى حملته عمته الى مسجد خاله المحمد
اللقوى أبى الفضل محمد بن ناصر البغدادى المتوفى سنة خمس مائة
وخمس مائة ، فاعتنى به عناية فائقة ، وكان أول معلم له . وقد حفظ
فى هذه المرحلة القرآن الكريم ، وسمع الحديث ، ولا سيما مسند
الامام أحمد ، وجامع الترمذى ، وصحيح البخارى ومسلم ، وتعلم
اللغة والادب ، ومن على الونظ ، وسمع تاريخ بغداد للخطيب .
وكان امام وقته فى الحديث حتى لقب بالحافظ .

له مصنفات كثيرة ، من أشهرها : " زاد السير فى علم التفسير " ،
و " صيد الخاطر " ، و " صفوة الصفوة " الذى عرف ايضا " بصفة الصفوة " ،
و " تلبيس ابليس " ، و " مناقب الامام احمد بن حنبل " و " الذهب
المسبوك فى سير الملوك " .

وكانت وفاته فى ليلة الجمعة الثانى عشر من شهر رمضان سنة سبع
وتسعين وخمس مائة من الهجرة . (١)

٧ = السابع : الجعبري (٧٣٢)

هو أبو محمد برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل
الخليلي الشافعي الجعبري .

كان عالما في التفسير ، والقراءات ، والحديث ، والفقه ، واللغة ،
والصروض .

ألف كتب كثيرة : منها : " الاتقان في تجويد القرآن " والشرحة
في القراءات السبعة (١) و " رسوم التحديث في علم الحديث " و
" السبيل الاحمد الى علم الخليل بن أحمد " و " مناسك الحج " و
" اسباب النزول " وهو اختصار لكتاب الواحدى بحذف اسانيدده .
وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة من الهجرة (٢)

٨ - الثامن - السيوطي (٩١١) هـ

هو الحافظ جلال الدين ابوالفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن
محمد السيوطي الشافعي المحقق ، صاحب المؤلفات الكثيرة المفيدة .
ولد سنة تسع واربعمين وثمانمائة . وتوفي والده وله من العمر خمس
سنوات وسبعة أشهر ، وأسند وصايته الخي جماعة منهم الكمالي
ابن الهمام .

حفظ القرآن وله من العمر ثمان سنين . وحفظ كثيرا من المتن ،

(١) هكذا وردت مصابها : القراءات السبع ، ولعل المصنف مال
الى ضرورة السجع .

(٢) انظر هدية العارفين ١٤/١

وأخذ من شيوخ كثيرين يربون على الخمسين شيخا . وله مؤلفات كثيرة
تزيد على الخمسمائة ، من بينها " لباب النقول في اسباب النزول
وكثرتها تغني عن ذكرها .

وكان السيوطي أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه : رجالا ،
وفريبا ، ومتنا ، وسندا ، واستنباطا للاحكام . ولما بلغ الاربعين
سنة تجرد للعبادة ، وانقطع عن الناس ، وأعرض عن الدنيا وأهلها
وترك الافشاء والتدريس معتذرا عن ذلك حتى وافته المنية سنة
احدى عشرة وتسعمائة من الهجرة . (١)

(١) انظر التفسير والمفسرون للذهبي ص ٢٥٠ .

المبحث الثالث :

الكتب التي ألفت فيه وبيان قيمتها العلمية

يمكننا حصر الكتب التي صنفنا في أسباب النزول في ثلاث مجموعات

كما يلي : (١)

أ / الكتب المطبوعة : وهي ثلاثة :-

١- أسباب نزول القرآن : للواحدى (٤٦٨) هـ

٢- لباب النقول في أسباب النزول : للسيوطى : (٩١١) هـ

٣- الصحيح المسند من أسباب النزول : للوادعى أمد الله في عمره

ب / الكتب المخطوطة الموجودة بالفصل وحصلتنا منها لا تتجاوز

مخطوطتين اثنتين وهما :-

١- أسباب النزول والقصص القرآنية : للمراقى (٥٦٧) هـ

٢- أسباب النزول : للجمبرى (٧٣٢) هـ

ج / الكتب المخطوطة التي ورد ذكرها في كتب التراجم والمصادر

الأخرى . وهي أربعة :-

١- كتاب شيخ المحدثين ابن المدينى (٢٣٤) هـ . ولم نقف بهد -

على عنوانه

٢- " القصص والاسباب التي نزل من اجلها القرآن " لابي المطرف

الاندلسى (٤٠٢) هـ

٣- " أسباب نزول القرآن " لابن الجوزى (٥٩٧) هـ

٤- " الحجاب في بيان الأسباب " لابن حجر الحسقلانى (٨٥٢) هـ (١)

(١) انظر مقدمة الاستاذ السيد احمد صقر لتحقيقه كتاب أسباب نزول القرآن للواحدى ص " ٢٣ "

نحوه
الى
المدينة المنورة
توفي
في
المدينة المنورة

القيمة العلمية لهذه المصنفات

بدهى أن المجموعة الثالثة - المشتمة على كتب ابن المدينى وابى
المعترف وابن الجوزى وابن حجر - لا سبيل الى الحكم عليها لعدم
الوقوف على نصوصها .

وأما كتاب الجعبرى فهو لا يعد وأن يكون نسخة من كتاب
الواحدى . سوى أنه جرّده من الأسانيد ، مما هبط به كثيرا من اصله
وأما كتاب " الصحيح المسند من أسباب النزول " فعلى الرغم من
قلّة ما جاء فيه من الأسباب ، إلا أن قيمته العلمية تجرز من خلال
الروايات الصحيحة المسندة التى اشتمل عليها ، لأنها محققة
تحقيقا جيدا ، ومخرجة تخريجا دقيقا .

وأما كتاب الواحدى وكتاب السيوطى وكتاب الحكيم فننخصها
بالذكر على النحو التالى : -

ونبدأ بكتاب الواحدى أولا ، ونتبعه بكتاب السيوطى ، وذلك نظرا
للحلاقة الوثيقة بين هذين السفرين القيمين ، ثم نعرض بعد ذلك
لكتاب الحكيم . وكان الترتيب الزمنى يقتضى ان يكون " لباب النقول "
هو آخر الثلاثة عرضا ، غير ان علاقته الوثيقة بكتاب الواحدى
جعلته يتجاوز الترتيب الزمنى ، ولهذا لزم التنويه .

وفيما يلى نقدم عرضا لاسفار الثلاثة فنقول وبالله التوفيق :

الكتاب الأول : " اسباب النزول " للواحدى

=====

هذا الكتاب يعد من اشهر ما صنف فى اسباب النزول : قال

الامام الزركشى (١) فى معرض حديثه عن مصرفة اسباب النزول :

(وقد اعتنى بذلك المفسرون فى كتبهم ، وافردوا فيه تصانيف ،

منهم على بن المدينى شيخ البخارى ، ومن اشهرها تصنىف

الواحدى) (٢) وقال الامام السيوطى : (اشهر كتاب فى

هذا الفن كتاب الواحدى) (٣)

طبقاته :

حظى كتاب اسباب النزول للامام الواحدى بعناية كبيرة من

دور النشر ، وظهر فى طبعا عدة نجلها فيما يلى :

١ - طبع بمصر سنة (١٣١٥ هـ) وبهامشه كتاب (الناسخ والمنسوخ)

لابى القاسم بن حبة الله بن سلامة البغدادى المتوفى سنة (٤١٠ هـ)

٢ - طبع منفردا بمصر بشركة مكتبة مصطفى البابى الحلبي سنة

١٤٧٩^٣ هـ (١٩٥٩ م)

(١) هو الامام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى

احد المعلمين الاثبات فى الفقه والحديث واصول الدين . ولد

بالقاهرة سنة خمس واربعين وسبع مائة وتفق على مذهب الشافعى

وتتلمذ فى مصر على الشيخ جمال الدين الاسنوى والشيخ

سراج الدين الهلثينى والحافظ مفلطاي . وعلى الحافظ

ابن كثير بدمشق . وتوفى بمصر سنة اربع وتسعين وسبع مائة

(انظر : حسن المحاضرة ١/ ١٨٥ - والدرر الكامنة ٣/ ٣٩٧)

(٢) البرهان فى علوم القرآن ٢٢/ ١

(٣) لباب النقول ص (٧)

٣- اعادت طبعه منفردا شركة مكتبة مصطفى الباني الحلبي بمصر سنة

(١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م)

٤- طبع بدار الكتاب الجديد بالقاهرة بتحقيق الأستاذ / أحمد صقر

سنة (١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م) ()

٥- أعيد طبعه بدار الكتب العلمية في بيروت سنة (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م)

الاسباب الهامة على تأليف الكتاب

بدأ المؤلف بالكلام على فائدة السبب ، بعد ان اشار الى علوم القرآن ووصفها بأنها (فزيرة ، وأن ضرورتها جمة كثيرة ، يقصر عنها القول وان كان بالفا ، ويتقلص عنها ذيله وان كان سابقا) (١) وأوضح - رحمه الله - البواعث التي دعت الى تأليف كتابه في زمن - كثرفيه الخوف في كتاب الله على فير علم ، واتسم أهله بالجهالة واختراع الاشياء واختلاق الكذب والافتك . ونبه الى اتباع المنهج السليم في دراسة كتاب الله مشيرا الى أن أول ما يجب على المدارس للقرآن هو معرفة أسباب النزول التي لا يمكن معرفة تفسير الآية الا بالوقوف عليها . كما نبه على وجوب الرواية والسماع ممن شاهد والتنزيل ووقفوا على اسباب نزول القرآن الكريم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولبيان هذه المعاني يقول الواحدى رحمه الله : (غير ان الرفعات
اليوم عن علوم القرآن صادقة كاذبة فيها ، قد عجزت قوى العلم عن
تلافيها ، قال الامر بنا الى إفادة المبتدئين المستترين بعلوم
الكتاب إبانة ما انزل فيه من الاسباب ، اذ هي اوفى ما يجب الوقوف
عليها واولى ما تصرف العناية اليها ، لا متناع مصرفة تفسير الآي
وقصد سبيلها ، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها . ولا يحل
القول فى اسباب نزول الكتاب ، الا بالرواية والسمع ممن شاهدوا
التنزيل ووقفوا على الاسباب ، وبحثوا عن طمها وجدوا فى الدلائل
(. . .) وأما اليوم فكل أحد ينتزع شيئا ويخلق افكا وكذبا ،
ملقيا زمامه الى الجهالة ، فيرففكر فى الوعيد للجاهل بسبب الآية .
وذلك الذى حدا به الى املاء هذا الكتاب الجامع لاسباب
لينتهى اليه طالبوا هذا الشأن ، والمتكلمون فى نزول القرآن ، فيعرفوا
الصدق ويستغنوا عن التمويه والكذب ، ويجدوا فى تحفظه بعسد
السمع والطلب) (١)

الآخذ الذى وردت على كتاب الواحدى

لحل ما يساعد على معرفة القيمة العلمية لهذا المصنف : اولا :
الوقوف على ما ورد عليه من ماخذ ونقد فى منهجه ، وثانيا : ما أراه
اساسا للتقويم .
وفيما يلى عرض لاقوال النقاد ، واخص منهم بالذكر من القدامى
الامام السيوطى ، ومن المحدثين الدكتور صبحى الصالح .

(١) أسباب النزول للواحدي [١٠٢]

اولا : ما أورده الامام السيوطي

اجرى السيوطي مقارنة بين كتابه وكتاب الواحدى ضمنها : بعض
الماخذ ، فقال ما نصه : (اشتهر كتاب فى هذا الفن الآن كتاب
الواحدى . وكتابه هذا يتميز عليه بأمور :
احدها : الاختصار

✓ ثانيها : الجمع الكثير . فقد حوى زيات كثيرة على ما ذكر الواحدى
✓ ثالثها : مزوه كل حديث الى مخرجه من اصحاب الكتب المعتبرة
كالكتب الستة ، والمستدرک ، وصحيح ابن حبان ، وسنن البيهقى
والدارقطنى ، وصانيد احمد والبرار وابى يعلى ، ومعجم الطبرانى
وتفاسير ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، وأبى الشيخ ،
وابن حبان ، والفرىابى ، وعبد الرزاق ، وابن المنذر ، وغيرهم .
وأما الواحدى فتارة يورد الحديث باسناده ، وفيه - مع التلويل -
عدم العلم بضعف الحديث . فلا شك ان مزوه الى احد الكتب المذكورة
اولى من مزوه الى تخريج الواحدى ، لشهرتها واعتمادها ،
وركون الانفس اليها . وتارة يورده مقلوبا (١) فلا يدرك هل لسه
اسناد أو لا .

✓ رابعها : تمييز الصحيح من غيره ، والمقبول من المردود

✓ خامسها : المجمع بين الروايات المتعددة

✓ سادسها : تنقية ما ليس من اسباب النزول (٢)

(١) المقلوب هو الموقوف على التابعى قولا وفعلًا . انظر (الباصت
الحديث) لابن كثير ص ٤٦

(٢) لباب النقول ص (١٩٦)

هذا ما أورده الامام السيوطى من آخذ . . ولا مناص من الرجوع الى الكتابين ، لتحقيق اولا من اشتغال كتاب الامام الواحدى على هذه المثالب ، ولتبيين ثانيا مدى التزام السيوطى بهذا المنهج الذى اختطه لنفسه .

ونبدأ بالامر الاول : وهو الاختصار عند السيوطى الذى يفهم منه التلويل المعيب عند الواحدى .

وبالرجوع الى كتابيهما تبين ان الواحدى يحصر على ذكر الاسناد فى رواياته كلها ، على حين يحذفه السيوطى من جميع رواياته . وهذان الامران مطردان فى كل الروايات التى اخرجاها .

ونذكر - على سبيل المثال - ما أورده فى سبب نزول قوله تعالى (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ) (١) على النحو التالى / قال الواحدى (اخبرنا ابو نصر احمد بن حبيب اللبس المخلدى قال : اخبرنا ابو الحسن السراج قال : اخبرنا محمد بن يحيى بن سليمان المرقزى قال : حدثنا عاصم بن على قال : حدثنا شعبة قال : اخبرنى عبد الرحمن الاصفهاني قال : سمعت عبد الله ابن معقل قال : وقفت الى كعب بن عجرة فى هذا المسجد مسجد الكوفة ، فسألت عن هذه الآية : " فَعِدَّةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ " قال : حملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهى فقال : ما كنت ارى ان الجهد بلغ منك هذا . ما تجد شاة ؟ قلت لا . فنزلت هذه الآية : فَعِدَّةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ .

قال : صم ثلاثة أيام ، أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام . فنزلت في خاصة ، ولكم عامة . رواه البخاري عن أحمد بن أبي إياس وأبي الوليد . ورواه مسلم عن بنديار ، عن قند ر كلهم من شعبة (أ هـ (١)

وقال السيوطي في سبب نزول الآية نفسها ما نصه : (روى البخاري عن كعب بن عجرة أنه سئل عن قوله : " فَفِدْيَةٌ مِّنْ صِّيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نَسْكِ " قال : حملت الى النبي صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي ، فقال : ما كنت اري ان الجهد بلغ بك هذا . اما تجد شاة ؟ قلت : لا . قال : صم ثلاثة ايام ، او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام ، واحلق رأسك . فنزلت في خاصة وهي لكم عامة (أ هـ (٢)

قلت : والنظر الصحيح فيما كتبه المالمان الجليلان أنه لا فني لأحدهما من الآخر ، وأن العمل الذي قام به السيوطي متم لما صله الواحدى . فذكر الاسناد الذي قام به الواحدى ضرورى لا فني عنه للباحثين عن معرفة الروايات والوقوف عليها ، والا لم يبق للاسناد قيمة . وهل دخل الوضع الا بعد حذف الاسانيد واختصارها ؟ ثم آيين من طرق الترجيع بين الروايات المتعارضة الوقوف على اسرار الاسانيد ؟ بلى ، ان الاسانيد وذكرها من ضرورات البحث العلمى وهل اسباب النزول الا روايات منقولة .

(١) اسباب النزول للواحدى ص (٢١) وانظر صحيح مسلم ١١٨/٨
(٢) لباب النقول ص (٢٩) وانظر فتح الباري ١٨٦/٨

وقد اوضح ابن خلدون (٢) انه لا بد لصدق هذه الروايات من الوقوف على تحقق امكانها ووقوعها فقال رحمه الله : - (وصار التفسير على صنفين : تفسير نقلى مستند الى الآثار المنقولة عن السلف ، وهى مصرفة الناسخ والمنسوخ واسباب النزول ، ومقاصد الاى وكل ذلك لا يصرف الا بالنقل عن الصحابة والتابعين) ا هـ (١)

واذا كانت اسباب النزول روايات منقولة فان الطريق لمصرفتها ا ذكر الاسانيد . بيد انه قد فات الواحدى رحمه الله ان يبين مصدر هذه الروايات ، لان الوقوف على المصدر من اهم المهمات ، وقد قام بذلك السيوطى فاكمل عمل سابقه ، فجزاها الله عن الاسلام والمسلمين غير الجزاء .

الواحدى

واذا كان السيوطى كاب على/التطويل فى ذكر الاسانيد ، فانه يحاسب عليه - على حد قوله - عدم ذكر الكتب والابواب والفصول عند عزوه الروايات الى مصادرها ، اذ لا يكفى الباحث ان يقول : هو فى البخارى مثلا .

والحق ان هذه الاعمال مترتبة ترتيبا منطقيا يقتضيه البحث الدقيق المفيد . فلا بد للتأكد من صحة الروايات من الوقوف اولا على الاسانيد وثانيا على الكتب ، وثالثا على الجزء والصفحة - لاسيما فى الابحاث المعاصرة - ورابعا تمحيص الرواية ووزنها بالميزان الصحيح للتأكد من سلامتها من كل ما هو قاذح .

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد الحضرمى الاشبيلى الفيلسوف ، المورخ ، العالم الاجتماعى . ولد ونشأ بتونس ، وتولى القضاء بمصر . وكان فصيحاً عاقلاً طامحاً للمراتب العالية . ومن اشهر مولفاته كتاب (العبر) . توفى بالقاهرة سنة ثمان وثمانمائة من الهجرة . (انظر : الاطلام ١٠٦/٤)

وتأريخ العلامة ابن خلدون ١/١

(٢) تأريخ العلامة ابن خلدون (٧٨٦/١)

الامر الثاني :

واما الامر الثاني - وهو امتياز كتاب السيوطي بزيادات كثيرة على ما ذكره الواحدى - فهو امر ثابت محقق ، اورده السيوطي في مواضع شتى مبثوثة في ثنايا كتابه . ومن امثله ما يلي :-

أ/ قوله تعالى : " قُلْ هُوَ الْقَادِرُ " . . . الآيات اخرج ابن ابى حاتم عن زيد بن اسلم قال : لما نزلت : قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ حَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ الآية (١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ترجعوا بحدى كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيوف قالوا : ونحن بشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ؟ فقال بعض الناس : لا يكون هذا ابدا ان يقتل بعضنا بعضا ونحن مسلمون . فنزلت " انظر كيف نصرف الآيات لعلمهم بفقههم وكذب به قلوبهم وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبي مستقر وسوف تعلمون (٢) (٣)

ب/ قوله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ . . . الآية (٤)

اخرج ابن ابى حاتم عن عبيد الله بن زحر عن بكر بن بكسر ابن سودة قال : حمل رجل من العدو على المسلمين فقتل رجلا ثم حمل فقتل آخر ، ثم حمل فقتل آخر ، ثم قال : ايتفحنى الاسلام بعد هذا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، فضرب فرسه فدخل فيهم ، ثم حمل على اصحابه فقتل رجلا ، ثم آخر ، ثم آخر ، ثم قتل . قال : فيرون ان هذه الآية نزلت فيه : الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ . . . الآية (٥)

- | | |
|---------------------------------|------------------------------|
| (١) سورة الانعام (٦٥) | (٢) سورة الانعام ٦٦ ، ٦٧) |
| (٣) لباب النقول ص (١٠٠) | (٤) سورة الانعام (٨٢) |
| (٥) لباب النقول (١٠٠ ، ١٠١) | |

اقول : وبالسرجوع الى كتاب الواحدى تبين انه لم يتعرض لذكر
سبب نزول هذه الآيات كما انه لم يذكر كثيرا مما انفرد السيوطى
بذكره من اسباب النزول .

والذى اراه ان هذا ليس صيبا فى كتاب الواحدى . لانه ربما
ترك هذه الروايات لعدم صحتها عنده .

والواحدى - رحمه الله - ليس بدما فى هذا الامر . فان ائمة
الحديث يكتفون بايراد ما صح عندهم من الروايات ويتركون ما سواه .
الامر الثالث :

واما الامر الثالث ففيه ثلاثة مآخذ :-

المأخذ الاول : ان الواحدى لا يعزوا الاحاديث الى مخرجيها
من اصحاب الكتب المعتمدة .

والذى اراه ان السيوطى اصدر حكما عاما اطلقه على روايات
الواحدى دون ان يستثنى منها ما عزاه المصنف الى المصادر
المعتبرة كالصحيحين والمستدرک .

وفيما يلى امثلة لروايات الواحدى المعزوة الى مخرجيها :
أ/ روى الواحدى بسنده الى عائشة رضى الله عنها انها
قالت : (انزلت هذه الآية (١) فى الانصار . كانوا يحجون
لمناة ، وكانت مائة حَذَوْ قَدَحَ (٢) وكانوا يتخرجون ان يطوفوا
بين الصفا والمروة ، فلما جاء الاملام سألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك ، فانزل الله تعالى هذه الآية (قسـال

(١) حتى قوله تعالى : **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ** . الآية
البقرة (١٥٨)

(٢) فى رواية البخارى " قَدِيد " بالتصغير . وهى قرية كانت بين
مكة والمدينة . انظر فتح البارى ٣ / ٤٩٩

الواحدى : رواه البخارى (١) عن عبد الله بن يوسف عن
مالك (٢)

ب/ وروى الحديث نفسه من طريق آخر بسنده الى عائشة
رضى الله عنها ثم عقب عليه بقوله : (رواه مسلم (٣) من ابى بكر
بن ابى شعبة عن ابى اسامة عن هشام (٤)

ج/ وروى بسنده الى انس بن مالك قال : كنت ساقى القوم
- يوم حرمت الخمر - فى بيت ابى طلحة ، وما شربهم الا الفضيخ
والبسر والتمر (٥) واذا مناد ينادى : ان الخمر قد حرمت . قال
فارتقت فى سلك المدينة ، فقال ابو طلحة : اخن فارتقتا . قال :
فارتقتا فقال بعضهم : قتل فلان **وهل فلان** وهى فى بطونهم ، قال : فانزل
الله تعالى : " لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا
طَعِمُوا " الآية (٦) ثم عقب على الحديث قائلا " رواه مسلم (٧)

(١) انظر صحيح البخارى ، كتاب التفسير

(٢) اسباب النزول للواحدى ص ٢٤

(٣) انظر صحيح مسلم ، كتاب الحج

(٤) اسباب النزول للواحدى ص (٢٤)

(٥) البسر - بضم الباء وسكون السين - هو التمر اذا تكون ولم
ينضج . والفضيخ - بفاء وضاد معجمتين - على وزن " عظيم "

هو البسر اذا شدخ ونبذ . (انظر فتح البارى ١٠ / ٣٨) .

(٦) سورة المائدة " ٩٣ "

(٧) انظر صحيح مسلم ، كتاب الاشربة

عن ابى الربيع . ورواه البخارى (١) من ابى نعيم ، كلاهما عن حماد " (٢)

د / وروى بسنده الى انس ايضا انه قال : قال ابو جهل (٣)
اللبيم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم " فنزلت " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ
الاية (٤) قال الواحدى : رواه البخارى (٥) من احمد بن
النضر ، ورواه مسلم (٦) عن عبد الله بن معاذ . أ هـ (٧)
هـ / ثم ان الواحدى يعزو كثيرا من رواياته الى الحاكم ابى عبد الله
النيسابورى (٨)

(١) انظر صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة المائدة
(٢) اسباب النزول للواحدى ص " ١٢٠ .
(٣) قال الحافظ ابن حجر : " قوله : قال ابو جهل : اللهم
ان كان هذا ... الخ عطف على قوله : فان كان
هذا القول نسب الى جماعة ، فلعنه بدأ به ورضى الباقون
فنسب اليهم . وقد روى الطبرانى من طريق ابن عباس ان القائل
ذلك هو النضر بن الحارث ، قال : فانزل الله تعالى " سأل
سائل بعذاب واقع " وكذا قال مجاهد وعطاء السدى . ولا ينافى
ذلك ما فى الصحيح لاحتمال ان يكونا قالا ، ولكن نسبته الى
ابى جهل اولى (أ هـ انظر فتح البارى ٣٠٨ / ٨)

(٤) سورة الانفال " ٣٣ "
(٥) انظر صحيح البخارى : كتاب التفسير : سورة الانفال
(٦) انظر صحيح مسلم (١٣٩ / ١٧) كتاب صفة القيامة
(٧) اسباب النزول للواحدى ص (١٣٥)

(٨) هو الحاكم الحافظ الشهير امام المحدثين ابو عبد الله محمد بن
عبد الله بن محمد بن أحمد بن نعيم الضبي الطهماني النيسابورى
صاحب التصانيف المشهورة + ولد بنيسابور وتقلد بها القضاء
وكان اماما جليلا حافظا عارفا ثقة واسع العلم . توفي سنة خمس
واربع مائة من الهجرة (انظر مقدمة معرفة علوم الحديث للحاكم
بتصحيح وتعليق الدكتور السيد معظم حسين ص " ج ")

ومن ذلك ما أورده في سبب نزول قوله تعالى "وَلَا تَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا" (١) وقوله : "أَلَمْ تَرَ إِلَى
الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا فضِبَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ" (٢) وقوله "فَبَسَّ وَتَوَلَّى" (٣) .
نقد ساقى أحاديث في سبب نزول هذه الآيات من طريق ابن عباس
وحائشة رضى الله عنهم ، ثم عزاها الى الحاكم ابى عبد الله .

وبالرجوع الى المستدرك على الصحيحين للحاكم تبين انه
روى الاحاديث التى أوردها الواحدى بنصوصها ، ووصفها بانها
صحيحة على شرط الشيخين (٤)

وبهذا يتضح لنا ان مأخذ السيوطى هذا ليس على إطلاقه
بل لا بد فيه من استثناء الكتب التى اعتمد عليها الواحدى فسمى
كثير من رواياته . مع التسليم بان الواحدى احيانا لا ينسب الاحاديث
مع وجودها فى مصادرها من الكتب المعتبرة .
المأخذ الثانى :

واما المأخذ الثانى - وهو إيراد الواحدى الحديث تارة بإسناده
وفيه مع التطويل عدم الحلم بمنخرجه - فانه يصدق على كتاب
الواحدى فى كثير من رواياته .

ومن ذلك على سبيل المثال - ما أخرجه فى سبب نزول قوله
تعالى "قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ . . . الآية (٥) حيث قال :

(١) سورة آل عمران "١٦٩"

(٢) سورة المجادلة "١٤"

(٣) سورة عبس "١"

(٤) انظر المستدرك على الصحيحين كتاب التفسير (٢ / ٢٩٧ ،

(٤٨٢ ، ٥١٤)

(٥) سورة البقرة "٩٧"

(أخبرنا سعيد بن محمد بن أحمد الزاهد ، قال : أخبرنا الحسن بن أحمد الشيباني ، قال : أخبرنا المؤمل بن الحسن قال : حدثنا محمد بن اسماعيل بن سالم ، قال : أخبرنا أبو نصيم ، قال حدثنا عبد الله بن الوليد ، عن بكر بن شهاب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : - أقبلت اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم : نسألك من أشياء - فان أجبتنا فيها اتبعناك : أخبرنا : من الذي يأتيك من الملائكة ؟ فانه ليس نبي الا يأتيه ملك من عند ربه عز وجل بالرسالة بالوحى ، فمن صاحبك ؟ قال : جبريل . قالوا : ذاك الذى ينزل بالحرب وبالقتال : ذاك عدونا . لو قلت ميكائيل الذى ينزل بالمطر والرحمة اتبعناك . فانزل الله تعالى : " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ " . الى قوله تعالى " فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٢) " قلت واذا قد تبين صحة ما أورده السيوطى على الواحدى من إفعاله ذكر منزع الحديث فانه يترتب على هذا منطقيا ان يكون السيوطى قد تفادى ما وقع فيه الواحدى . فلننتظر اذن ، ما قاله عند تعرضه لسبب نزول الآية نفسها :

قال ما نصه : (أخرج أحمد والترمذى والنسائى من طريق بكر بن شهاب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : أقبلت يهود الى رسول الله فقالوا : يا أبا القاسم انا نسألك عن خمسة أشياء فان أنبأتنا تبهن عرفنا أنك نبي . فذكر الحديث ،

وفيه انهم سألوه عما حرم اسرائيل على نفسه ، وعن علامة النبى ،
وعن الرد وصوته ، وكيف تذكر المرأة وتزنت ، وعن ياتيه بخسبر
السما ، الى ان قالوا : فاعبرنا من صاحبك ؟ قال : جبريل .
قالوا : جبريل ؟ ذاك ينزل بالحرب والقتال والمذابعد ونساء
لو قلت ميكائيل الذى ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان خيرا .
فنزلت (١) (٢)

قلت وبهذا يظهر ان الحديث الذى رواه الواحدى ولم
يذكر له مصدرا هو الحديث نفسه الذى رواه السيوطى ونسبة الى
الامام احمد والترمذى والنسائى ، مع اختلاف بعض الالفاظ فسمى
الروایتين .

والذى أراه ان السيوطى محق غيما ذهب اليه من وصف كتاب
الواحدى بالتقصير فى هذا الشأن . غير ان الامر هنا يصدق
عليه ما قلناه من قبل بصدد الاختصار والتطويل . فليكن كسان
الواحدى ^{ينقل} ~~ينقل~~ ذكر المصادر ، فليكن السيوطى يحذف الاسانيد .
وشير ما يقال فى الخوفيق بين المنهجين ان كليهما متم للآخر :
فالواحدى يكمل ما اخفله السيوطى من ذكر الاسناد ، والسيوطى
يكمل ما اهمله الواحدى من نسبة الروايات الى معخرجيها ممن
اصحاب الكتب المحببة ، وفى كلي خير .

المأخذ الثالث :

واما ^٢المأخذ الثالث - وهو ايراد الحديث مقتطعا ، فلا

يدرى هل له اسناد اول - فبالرجوع الى كتاب الواحدى تبين
ان هذا الامر متحقق فى مواضع كثيرة منه . ونكتفى من ذلك بمثالين

(١) أى آية البقرة " ٩٧ " واولها (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ . .)

(٢) لباب النقول ص " ١٣ "

فيما يلي :

المثال الاول :

قال الواحدى فى سبب نزول قوله تعالى : " مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ " (١) مانصه :- (قال الضحاك ومقاتل نزلت فى نصارى نجران حين عبدوا عيسى) أ هـ (٢)

المثال الثانى :

وقال عند قوله تعالى : " وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ " الآية (٣) (وقال عكرمة : ان المجوس من اهل فارس لما انزل الله تعالى تحريم الميتة ، كتبوا الى مشركى قريش - وكانوا اولياءهم فى الجاهلية ، وكانت بينهم مكاتبة - ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ، ثم يزعمون ان ما ذبحوا فهو حلال ، وما ذبح الله فهو حرام . فوقع فى انفس ناس من المسلمين - من ذلك شىء " ، فانزل الله تعالى هذه الآية) (٤)

قلت : والمعروف ان الضحاك (٥) وعكرمة كليهما من التابعين فاذا علمنا ان الحديث المقطوع هو الموقوف على التابعى قسولا وشعلا (٥) ثبت صحة ما ذهب اليه السيوطى من ان الواحدى

(١) سورة آل عمران " ٧٩ "

(٢) اسباب النزول للواحدى ص " ٦٤ "

(٣) سورة الانعام " ١٢١ "

(٤) اسباب النزول للواحدى ص " ١٢٨ "

(٥) هو الضحاك بن مزاحم الهلالى بالولاء ابو القاسم الخراسانى روى عن ابن عمر وابن عباس وابى هريرة وغيرهم من الصحابة وثقه ابن حنبل وابن معين ، وابوزرعة ، وكان مشهورا بالتفسير توفى سنة خمس ومائة من الهجرة (انظر تهذيب التهذيب ٤٥٣/٤ وكتاب الاسرائيليات للدكتور أبى شهبه ص ١٠١)

(٦) انظر : الباعث فى الحديث ص " ٤٦ "

تارة يورد الأحاديث المقتطعة . ولما كانت أسباب النزول تعتمد
في إثباتها على الرواية الصحيحة ، كان الأولى ذكر الأسناد
متصلا .

وبهذا ينتهي الكلام على الأمر الثالث مع ما عده الثلاثة .

الأمر الرابع :

وأما الأمر الرابع - وهو امتياز كتاب السيوطي بتميز الحديث
الصحيح من غيره ، والمقبول من المردود - فهو أمر ثابت أيضا ،
ومن أمثله ما يلي :-

قوله تعالى : (وَاذْكُرُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا) الآية (١)

أ/ قال الواحدى : (قال الكلبي عن أبي صالح عن أبي

عباس : نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه) (٢) ثم
ذكر تمام الحديث ولم يخلق عليه بشي .

ب/ وقال السيوطي : (أخرج الواحدى والثعلبي ، عن

طريق محمد بن مروان السدي الصغير ، عن الكلبي عن أبي صالح
عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه) (٣)
ثم أكمل الحديث وخلق عليه قائلا : (هذا الإسناد واه جدا .

فإن السدي الصغير كذاب ، وكذا الكلبي ، وأبو صالح ضعيف) (٤)
وبالرجوع إلى كتب الجرح والتعديل تبين الآتي :-

أ/ جاء في كتاب المجروحين لابن أبي حاتم (٥) ما نصه :

(محمد بن مروان من أهل الكوفة ، يروي عن الكلبي وداود بن أبي

(١) سورة البقرة " ١٤)

(٢) أسباب النزول للواحدى " ١٢ "

(٣) لباب النقول " ١٠ "

(٤) المصدر نفسه

(٥) هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي

سند . روى عنه العراقيون . كان ممن يروى الموضوعات عن الاثبات
لا يحل كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار . ولا احتجاج به بحال
من الاحوال (١)

ب/ وجاء في تهذيب التهذيب بشأن السدى الصغير ايضا
ما نصه : (محمد بن مروان بن عبد الله بن اسماعيل بن عبد الرحمن
السدى الاصغر ، كوفى . . . قال عبد السلام بن حازم عن جرير
بن عبد الحميد : كذاب . وقال الدورى عن ابن معين : ليس بثقة .
وقال ابن نمير ليس بشئ* . وقال يعقوب بن سفيان : متحيف
فيرثقه . وقال صالح بن محمد : كان ضحيفا ، وكان يضع . وقال
ابو حاتم : ذاهب الحديث ، متروك الحديث ، لا يكتب حديثه)
أ هـ (٢)

ج/ جاء في تهذيب التهذيب ايضا بشأن الكلبى مانصه :-
(محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث بن عبد المزى
الكلبى - روى عن اخويه شعبان وسلمة وابى صالح باذام مولى أم

- البستى الشافعى ابو حاتم صاحب الصحيح . كان حافظا ثبتا
اماما حجة فى الحديث والفقه واللغة والكلام . توفى سنة اربع
وخمسين وثلاثمائة (انظر شذرات الذهب ١٦/٣ - وكتاب المجروحين
ص "ع")

(١) كتاب المجروحين من المحدثين ٢٨١/ ٢

(٢) تهذيب التهذيب ٤٣٦/ ٩

هاني* ، وحامر الشعبي وغيرهم . روى عنه ابنه هشام ، والسفيانان ،
وحمد بن سلمة ، وابن المبارك ، وابن جريج ، وابن اسحاق ،
وابو معاوية ، ومحمد بن مروان السدي الصغير ، وهشيم ، وابوصوانة
ويزيد بن زريع وآخرون . . قال معتمر بن سليمان عن ابيه
كان بالكوفة كذا بان احدهما الكلبى . وعنه قال : ليث . بن
ابى سليم : كان بالكوفة كذا بان احدهما الكلبى والاخر السدى (١)
د / وجاء فيه ايضا : (لِإِنْ ابا صالح اذا روى عنه الكلبى
فليس بشئ*) (٢)

قلت : وهذه النقول تتميز ما ذهب اليه السيوطى بشأن هؤلاء
الرواة الذين اعتمد الواحدى على رواياتهم دون ان يبين منازلهم
بين الرواة .

الامر الخامس :

واما الامر الخامس - وهو الجمع بين الروايات المتعددة ،
والذى جعله السيوطى مميّزا لكتابه على كتاب الواحدى - فتدل
عليه الروايات التي اوردها كلاهما فى سبب نزول قوله تعالى : "وَالَّذِينَ
يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ" (٣)

(١) تهذيب التهذيب " ١٧٨ / ١ "

(٢) المصدر نفسه " ٤١٧ / ١ "

(٣) سورة النور الايات " ٦ - ٩ "

حيث جاء في بعض تلك الروايات ان الآيات المذكورة نزلت في سعد
ابن عباد (٢) وفي بعضها نزلت في هلال بن امية (٢) وفي
بعضها الآخر انها نزلت في عويمر العجلاني (٣) فيران الواحدى
اورد الروايات على اختلافها دون ان يوفق بينها (٤) على حين
اورد ما السيوطى ثم نقل رأى الحافظ ابن حجر في التوفيق
بينها . (٥)

الامر السادس :

وأما الامر السادس - وهو تنحية ما ليس من اسباب النزول -
فهو اشترط الآخذ التي اورد ما السيوطى على الواحدى ، وقد ذكر
مثالين على ذلك في قوله الاتى :-

(والذى يتحرر في سبب النزول انه ما نزلت الآية ايام وقوعه
ليخرج ما ذكره الواحدى في سورة الفيل من ان سببها قصبة
قدوم الحبشة ، فان ذلك ليس من اسباب النزول فى شىء ، بهل

(١) هو سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن حرام بن خزيمه
ابن ثعلبة بن طريف بن الخزرج الانصارى سيد الخزرج وصاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم (انظر ترجمته فى الاصابة
٣٠ / ٢)

(٢) هو هلال بن امية بن عامر بن قيس بن عبد الاعلم بن عامر
بن كعب بن واقد الانصارى الواقفى . شهد بدرًا ومها
بعدها ، وكان احد الثلاثة الذين تيب عليهم (انظر الاصابة
٦٠٦ / ٣)

(٣) هو عويمر بن الحارث بن زيد بن جابر بن الجعد بن العجلان
العجلاني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (انظر ترجمته
فى الاصابة ٤٥ / ٣)

(٤) انظر اسباب النزول للواحدى * ١٨٠

(٥) انظر لباب النقول * ١٢٢

هو من باب الاخبار عن الوقائع الماضية كذكر قصة قوم نوح وهاد وشمود
وبناء البيت ، ونحو ذلك . وكذلك ذكره في قوله " **وَإِتَّخَذَ اللَّهُ**
إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا " (١) سبب اتخاذ خليلا ، فليس ذلك مسسنا
اسباب خزل القرآن كما لا يخفى (٢)

وبالرجوع الى كتاب الواحدى ثبت تعرضه لهذين الموضعين ،
وكان الصواب تركهما لعدم صلتها باسباب النزول .
فيرانه من الانصاف القول بان الواحدى لم ينص على أن قصة
اصحاب الفيل كانت سببا فى نزول السورة ، كما لم ينسبها الى
أن اتخاذ الله ابراهيم خليلا كان سببا فى نزول الآية .
ولكى نزيد الامر اوضحا نورد نص ما قاله . الواحدى ثم نذكر
ما نراه صوابا فى توجيهه على النحو التالى :

أ / قال من سورة الفيل **لَهَا** : (نزلت فى قطعة اصحاب
الفيل ، وقصدتهم تخريب الكعبة ، وما فعل الله تعالى بهم من
اهلاكهم وصرفهم من البيت ، وهى معروفة) أ هـ (٣)
والحق أنه من المستبعد جدا ان يكون الواحدى اراد بقوله
" نزلت فى قصة اصحاب الفيل " أن السورة نزلت بسبب هذه القصة ،
وذلك لانه يدرك البعد الزمنى الطويل بين مجىء الحبشة لهدم
الكعبة وبين نزول السورة - فضلا عن مله بان هام الفيل هو العام
الذى ولد فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، وان رسالته التى بدأت
بنزول القرآن لم تظهر الا بعد اربعين عاما من قدوم الحبشة

(١) سورة النساء " ١٢٦ "

(٢) لباب النقول " ٤ "

(٣) اسباب النزول للواحدى " ٢٥٩ "

وما دام هذا القصد بعيدا ، فما المراد - اذن - بقول

الواحدى : " نزلت فى قصة اصحاب الفيل " ؟

والذى اراه - فى الجواب على هذا السؤال - ان مراد الواحدى هو

ان السورة نزلت فى ذكر قصة اصحاب الفيل وبيان حالهم ومآلهم .

بدل على ذلك قوله بعد : " وقصد هم تخريب الكعبة وما فعل الله

تعالى بهم من اهلاكهم وصرفهم عن البيت الخ

ومعلوم ان قول الراوى : " نزلت هذه الآية فى كذا " ليس

- على اطلاقه - نصا فى السببية .

قال الامام ابن تيمية : (وقولهم " نزلت هذه الآية فى كذا ")

يراد به تارة انه سبب النزول ، ويراد به تارة ان هذا داخل فى

الآية وان لم يكن السبب ، كما تقول : ^{هو} (صُنِيَ بِهَذِهِ الْآيَةِ كَذَا) (١)

وبهذا يترجح ان المراد من عبارة الواحدى ليس ^{هو} (النس ملى

السببية ، وانما هو بيان ذكر قصة اصحاب الفيل .

ب/ وقال عند قوله تعالى : " وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا " (٢)

ما نصه :-

(اختلفوا فى سبب اتخاذ الله ابراهيم خليلا . فاخبرنا

ابو سعيد النضوى ، قال : اخبرنا ابو الحسن محمد بن الحسن

السراج ، قال : اخبرنا محمد بن عبد الله الحضرى : قال :

حدثنا موسى بن ابراهيم المزوى ، قال : حدثنا ابن ربيعة ،

عن ابي قبيل ، عن عبد الله ، عن عمر قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : يا جبريل ، لم اتخذ الله ابراهيم خليلا ؟

قال لا طعامه الطعام يا محمد (٣)

(١) مقدمة فى اصول التفسير " ٤٨ " (٢) النساء ١٢٥

(٣) اسباب النزول للواحدى " ١٠٤ "

اقول : هذا النص منصب على بيان اختلاف العلماء في سبب
اتخاذ الله ابراهيم خليلًا ، وليس فيه ذكر لسبب نزول الآية . وقد
ساق الواحدى جملة روايات ^{بحسب} هذه الرواية ، غير انها جميعا
تدور حول السؤال نفسه : لِمَ اتخذ الله ابراهيم خليلًا ؟ هذا صرح
التسليم بانه ليس من المناسب ذكر الموضحين ضمن اسباب النزول .
وبعد مناقشة ما اورده السيوطى من مأخذ ننقل الى مقاله
الدكتور صبحى الصالح لنقف على حقيقة .

ثانيا : ما أورده الدكتور صبحي الصالح :

ساقى الدكتور صبحي الصالح مثالا على خطأ تأريخى نسبته
 للامام الواحدى فقال : (يقرأ الواحدى مثلا قوله تعالى " وَمَنْ
 أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا
 أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ
 لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١)) فلا يستنتج منه انه وعيد امام
 مطلق للذين يستهينون بالمعابد ، ومحطون الشعائر وينتهكون
 الحرمات ، ويسعون فى خراب بيوت الله . بل يقع فى خطأ تأريخى
 فاحش ، لو كان متعلقا بشخصه هو لكان امره ، ولكنه يحمل
 حملا على نص فى كتاب الله . وما كان له ولا لغيره ان يحملوا على
 نص فى كتاب الله خطأ من أعطائهم . فمن عجب أن الواحدى
 لم يتخرج هنا من ان يذكر رأى قتادة (٢) الذى قال ، ان الآية
 نزلت فى بختنصر البابلى واصحابه ، فقد فزوا اليهود ، وخرّبوا
 بيت المقدس ، واعانهم على ذلك النصارى من الروم . فيذكر
 اتحاد النصارى مع بختنصر على تخريب بيت المقدس ، مع ان حادثة
 بختنصر هذا وقعت قبل ميلاد المسيح بست مائة وثلاثين سنة (٣)

(١) سورة البقرة " ١١٤ "

(٢) هو قتادة بن دعامة - بكسر الدال وتخفيف الحين - - يمين
 قتادة بن مزيز بن عمرو بن ربيعة ابو الخطاب السدوسي
 البصرى ، ولد اكمه ، وروى عن انس بن مالك ولم يسمع من
 صحابى فيه . وكان من علماء الناحية بالقرآن والفقه ومن حفاظ
 اهل زمانه . مات بواسط سنة سبع عشرة ومائة . (انظر

ترجمته فى تهذيب التهذيب ٨ / ٣٥١ - ٣٥٦)

(٣) مباحث فى علوم القرآن ص ١٣٢)

وكما هو واضح فان المراد بهذا النص هو قول الواحدى فى سبب نزول الاية المتقدمة من أنها (نزلت فى ططلوس الرومى واصحابه من النصارى ، وذلك انهم فزوا بنى اسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم ، وحرقوا التوراة ، وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف . وهذا قول ابن عباس فى رواية الكلبى . وقال قتاده : هو يختنصر واصحابه ، فزوا اليهود ، وخربوا بيت المقدس ، واعانتهم على ذلك النصارى من اهل الروم . وقال ابن عباس فى رواية عطاء (١) نزلت فى مشركى اهل مكة ومنعهم المسلمين من ذكر الله تعالى فى المسجد الحرام) أ هـ (٢)

ويهود الدكتور صبحى الصالح فيلتبس العذر للواحدى لسببين اثنين : اهدما جهله بحوادث التاريخ لكونه ليس مؤرخا والسبب الآخر ابراده رأى قتادة مكثفا بذكره دون ان يرجحه أو يختاره .

ورغم هذا الاعتذار فان عبارات الدكتور صبحى جاءت مفهومة بالقسوة الشديدة على الواحدى ، حتى جعلته مجترفا على كتاب الله ، حاملا اخطائه الفاحشة حملا على القرآن الكريم ، ولم يشفع لهذا العالم الجليل قوله فى مقدمة كتابه : (ولا يحل القول فى اسباب نزول الكتاب ، الا بالرواية والسمع من شاهد أو التنزيل ووقفوا على الاسباب ، ويبحثوا عن علمها وجدوا فى الطلاب ، وقد

(١) هو عدلاء بن ابي رباح - واسمه اسلم - القرشى بالولاء المكى . نشأ بمكة وكان مولى لبنى فهر ، وهو ثقة فقيه عالم كثير السير الحديث ، انتهت اليه فتوى اهل مكة . وكان من سادات التابعين فقها وعلماء وورعا وفضلا . (انظر تهذيب التهذيب

ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذى العثار ، فى هذا الحليم

بالنار (٠٠٠) (١)

والحق ان الدكتور صبحى الصالح احسن صنعا بالتماسه
العذر للامام الواحدى للسببين المتقدمين ، ولا مكان حمل قوله
السابق - كما يقول الدكتور صبحى نفسه - (على أدريئال الرومانى
الذى سماه اليهود بختنصر الثانى وقد جاء بعد المسيح بمائة
وثلاثين سنة وبنى مدينة على اطلال أُورُشليم ، وزينها وجعل فيها
الحمامات ، وبنى هيكلا للمشتري على اطلال هيكل سليمان ،
وحرم على اليهود دخول المدينة ، وجعل جزاء من يدخلها
القتل) أ هـ (٢)

وخلاصة القول ان هذا المأخذ لا يخض من القيمة العلمية
لكتاب الواحدى ، ولا سيما اذا كان الامر متعلقا بتحديد اسم
" بختنصر " المذكور فى الرواية ، وهل هو طيطوس^(٣) / ادرينال ؟
وما دام الاحتمال واردا على كونه " بختنصر الثانى " الذى
لا يتعارض مع رواية الواحدى فان التماس العذر لهذا العالم
الفاضل وتوجيه قوله الوجهة الحسنة خير من اشتداد الحملة
عليه ووصفه بالجرأة على القرآن الكريم الى درجة تجعله يحمل
اخطاؤه^(٤) على كتاب الله .

على ان القضية من اساسها لا تصلح ان تكون سببا للنزول .
وقد اتفق علماء القرآن على ان الاحداث والوقائع التاريخية التى
دلت وانقضت لا تصلح ان تكون اسبابا للنزول ، كما قالوا فى

(١) المصدر السابق ص ٤٠ (أسباب النزول للواحدى)

(٢) مباحث فى علوم القرآن ص ١٣٨

(٣) كما أورده د/ صبحى

قصة اصحاب الفيل التي نزلت الآية بعدها بقراءة نصف قرن .
 وانما الارجح ان تكون آية البقرة هذه نزلت في مشركي مكة
 الذين منعوا المسلمين من العبادة في المسجد الحرام . ومن
 المعلوم ان الحبرة بعموم اللفظ ، فالآية شاملة لكل من منع او يمنع
 مساجد الله ان يذكر فيها اسمه .
لم يَنْفَعِلْ
 واذا تأملنا فيما قاله الواحدى وجدنا انه نعم ينفعل ذكر السبب
 الحقيقى لنزول الآية ، والذي رجحناه من أنها نزلت في مشركي
 مكة .

على ان قول الواحدى "نزلت" ليس نصا منه على سبب النزول
 وانما هو تفسير . فقد قال علماء القرآن : قول الراوى نزلت الآية
 فى كذا ليس نصا منه على سبب النزول ، بل هولون من حمل
 الآية وتفسيرها .

والدكتور صحى لم يتنبه لذلك ، بدليل انه فهم منها النص
 على سبب النزول . واعتراضه على ما رجحناه من نزولها في مشركي
 المشركين اعتراض غير وارد . فهو بينى ذلك الاعتراض مستندا
 على قول الله تعالى " وسعى في خرابها " وينفى امكان نزول
 الآية في المشركين من قريش لانهم لم يسهوا في خراب المسجد .
 وهذه حجة لا تقوم أبداً ، لأن الخراب ليس تقصراً على
 هدم الأبنية فحسب ، بل كل من سعى للحيلولة بين المؤمنين
 ومساجدهم فهو مخرب لها ، وهذا هو ديدن المشركين كما لا
 يخفى .

وما دمنّا نأمل من أسلافنا ان يستمسكوا بأدب الحديث ،
فيجد ربنا نحن انفسنا ان نلتزم بهذا المبدأ السامي فنحفظ
لهم حقهم علينا فيما اكتسبنا من معارف ما كنا لنحظى بها لولا
ان من الله علينا بمصنفاتهم .

وحرّينا ان نكف فوائدها عنهم ، ونعف ألسنتنا وأقلامنا عن
تجريحهم والإساءة اليهم ، ونضرب الى الله ان يتقبل عنهم
احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم انه على ما يشاء قدير .

الكتاب الخامس :

" لباب النزول في اسباب النزول "

للسيوطي

هذا الكتاب من تصنيف الامام جلال الدين السيوطي وهو من الكتب المشهورة في علم اسباب النزول . وقد طبع عدة طبعات نجملها فيما يلي :

١- طبع في مصر ببولاق سنة ثمانين ومائتين وألف من الهجرة بهامش تفسير الجلالين .

٢- طبع منفرداً في مصر بعنوان " اسباب النزول " سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة والف من الهجرة بمطابع شركة الاعلانات الشرقية في سلسلة " كتاب التحرير " .

٣- طبع مرتين بمكتبة الرياض ، ا لخدمة وكانت أخراهما بلا تأريخ ، ولم أقف على الاولى .

٤- طبع مرتين في بيروت " دار احياء العلوم " وكانت أخراهما سنة تسع وسبعين وتسعمائة والف من الميلاد ، ولم أقف على الاولى أيضا .

ويستطيع القارى لهذا الكتاب ان يتبين الملامح العامة لمنهج المؤلف من خلال حديثه في المقدمة .

فقد بدأ السيوطي بالكلام على فوائد معرفة اسباب النزول ، وردّ قول من زعم ان لا فائدة لها لجريانها مجرى التأريخ ، مدّعياً رأيه بأقوال العلماء كقول الواحدى : (لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبیان سبب نزولها) (١) ،

وقول ابن دقيق العيد (١) : " بيان سبب النزول طريق قوى
 فى فهم معانى القرآن " ^(٢) وقول ابن تيمية : (معرفة سبب النزول
 تحين على فهم الآية ، فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب) (٣)
 ثم ا حال القارىء على كتابه " الاتقان فى علوم القرآن " للتصرف
 على فوائد أخر من مباحث وتحقيقات لا يحتفلها كتابه هذا .
 واكد السيوطى فى مقدمته ، على وجوب التقيد بالرواية
 والسمع عند الكلام على اسباب النزول ، واستشهد على ذلك
 بقول الواحدى : (ولا يحل القول فى اسباب نزول الكتاب ،
 الا بالرواية والسمع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الاسباب) (٤)

(١) هو محمد بن على بن وهب بن مطيع ابو الفتح تقى الدين
 القشبرى المعروف كآبيه وجده بابن دقيق العيد . وهو
 قاضى مجتهد من اكابر العلماء بالاصول . ولد بينبع على
 على ساحل البحر الاحمر سنة خمس وخشرين وستمائة ، ونشأ
 بمصر ، وتعلم بدمشق والاسكندرية ثم القاهرة وولى القضاء
 بمصر توفي بالقاهرة سنة اثنتين وسبعمائة (الاعلام ١٢٣/٧)
 (٢) انظر الاتقان ٢٩١
 (٣) مقدمة فى اصول التفسير ص ٤٧
 (٤) اسباب النزول للواحدى ص ٤

ثم تعرض لآراء العلماء في تصحيح الصحابي من سبب النزول فنقل رأى الحاكم ابي عبدالله ، وابن الصلاح (١) وخلاستهما ان الصحابي الذي شهد الوحي والتزيل اذا اخبر عن آية من القرآن انها نزلت في كذا فانه حديث مسند . كما اورد رأى ابن تيمية القائل فيه (قولهم نزلت الآية في كذا يراد به تارة انه سبب النزول ، ويراد به تارة ان ذلك داخل في الآية وان لم يكن السبب) (٢) وذكر ايضا تنازع العلماء في قول الصحابي " نزلت هذه الآية في كذا " هل يجرى مجرى المسند كما لو ذكر السبب/انزلت لاجله ، او يجرى مجرى التفسير الذي ليس بمسند ؟ ثم اوضح ان الامام البخارى يدخله في المسند ، وغيره لا يدخله فيه . وأشار الى قول الزركشى فيما عرف من عادة الصحابة والتابعين من ان احدهم اذا قال : نزلت هذه الآية في كذا فانه يريد بذلك انها تتضمن هذا الحكم لا ان هذا كان السبب في نزولها ، فهو من جنس الاستدلال بالحكم على الآية ، لا من جنس النقل لما وقع (٣)

(١) هو عثمان بن عبدالرحمن صلاح الدين بن موسى الشهرزورى الكردى الشرخانى ابو عمرو احد الفضلاء المقدمين فى التفسير والحديث والفقه واسماء الرجال . ولد فى شرخان وانتقل الى الموصل ثم الى خراسان فبيت المقدس حيث تولى التدريس وانتقل الى دمشق وولى التدريس بدار الحديث الى ان توفي بها سنة ثلاث واربعين وستمائة من الهجرة (انظر الاعلام للزركشى ٣٦٩/٤)

(٢) مقدمة فى اصول التفسير ص ٤٨

(٣) انظر البرهان ٣١/١

وذكر السيوطي في ذيل مقدمته تنبيهات ثلاثة اوضح فيها جوانب
من منهجه في البحث :

أ- ففي التنبيه الاول تعرض لقول التابعي في اسباب النزول
وبين انه حديث مرسل ، يقبل اذا توفرت فيه ثلاثة شروط ، وهي
صحة السند ، وكون التابعي من ائمة التفسير الآخذين عن
الصحابة ، وكون الحديث معتزدا بمرسل آخر .

قال رحمه الله : (ما جعلناه من قبيل المسند من الصحابي
اذا وقع من تابعي فهو مرفوع ايضا ، لكنه مرسل ، فقد يقبل
اذا صح السند اليه ، وكان من ائمة التفسير الآخذين عن
الصحابة - كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير - واعتضد بمرسل آخر
ونحو ذلك) (١)

ب- وفي التنبيه الثاني ذكر تعدد الاسباب في نزول الآية
الواحدة ، ووضح ان طريق الاعتماد في ذلك النظر السبي
الصبارة الواقعة :-

* فان عبر احد هم بقوله " نزلت في كذا " وذكر الآخر نفس
الصبارة ثم اضاف عليها امرا اخر ، فان العراء بهذا التفسير
لا ذكر السبب . ولا منافاة بين قولهما اذا كان اللفظ يتناولهما .
* وان عبر احد هم بقوله " نزلت في كذا " وصرح الاخر بذكر
سبب خلافه فهو المعتد .

* **وَإِنْ ذَكَرَ وَاحِدٌ سَبَبًا وَذَكَرَ الْآخَرَ سَبَبًا فَيَرَاهُ ، فَقَدْ تَكُونُ**
الْآيَةُ نَزَلَتْ عَقِيبَ تِلْكَ الْأَسْبَابِ ، وَقَدْ تَكُونُ نَزَلَتْ مَوْتِينَ .
ثم أوضح أن مما يعتمد في الترجيح النظر إلى الأسناد ،
وكون راوي أحد السببين . حاضرا القصة .
ج- وأما التنبيه الثالث فقد جعله السيوطي في المقارنة بين
كتابه وكتابه الولحدى ، وأورد أمورا ستة استدل بها على تميز
كتابه .

والحق أن هذه الأمور الستة هي الدعام التي بنى عليها
السيوطي كتابه وهي في جملة ما تكشف من محتوى الكتاب وتبرز
قيمه العلمية . ولا نود هنا أن نبطل الوقوف عندها ، فقد
ناقشناها نقاشا مستفيضا عند الكلام على المآخذ التي وردت على
كتاب الواحدى (١) وأثبتنا ما ظهر لنا من وجه الصواب فيما
أورده الصالحان الجليلان .

وأخيرا ؛ يبقى سؤال مهم ، ألا وهو : ما هي القيمة العلمية
لهذين السفسرين بعد عرضهما على النحو المتقدم ؟
وللإجابة على هذا السؤال أقول : إن ما تقدم من عرض لهذين
الكتابين يدل بلا أدنى ريب على أنه لا فنى لدارس القرآن الكريم
منهما بحال من الأحوال . وأن ما ورد فيهما من بيان أسباب

(١) انظر ص (٢٠ وما بعدها) من هذه الرسالة

الأنزول لهو زاد مفيد المفسرين ، وهو خير معين على الوصول
إلى تأنيده الحائب الكتاب الله الكريم .

هذا فضلا من أن الكتابين كلاهما متم للاخر . فحيث يكون
الواحد مهتما بذكر الاسناد ، يكون السيوطي معنيا بذكر
مصادر الروايات من كتب السنة المعتمدة .

وحبذا لو حقق هذا الكتابان تحقيقا علميا ^{جيدا} تخرج فيه الأحاديث
التي رواها الواحدى ، وتحتل روايات السيوطي عناية أكثر
تشمل ذكر مواضعها فى المصادر التى أحال عليها المصنف
رحمه الله .

الكتاب الثالث :

" اسباب الغزول والقصص الغرائبية "

لمحمد بن اسحق العراقي الحكيم

هذا الكتاب ما يزال مخطوطا . وقد ورد ذكره في كل من
" كشف الظنون " (١) وهدية العارفين " (٢) و معجم
المؤلفين " (٣) و " تاريخ الادب العربي " (٤)
وتوجد منه نسختان بمكتبة مركز البحث العلمي بجامعة ام القرى
بمكة المكرمة .

اما النسخة الاولى فهي نسخة " ميكروفيلمية " مصورة من النسخة
المخطوطة بمكتبة جستر بيتي ، تحت رقم " ٥١٩٩ " وهي منسوخة
بخد واضح ، وتحتوي على ثنتين وثلاثمائة ورقة ، واسطرها
تسعة عشر سديرا في كل صفحة .

واما النسخة الاخرى فهي ايضا " ميكروفيلمية " وهي مصورة
من النسخة المخطوطة بالمكتبة الازهرية تحت رقم " ٣٢٩ " ومنسوخة
بخد واضح ، واوراقها ثمان وستون وثلاثمائة واسطرها
عشرون .

والملاحظ على هذه النسخة الازهرية انها منسوبة - خطأ -
لعبد الجليل النقشبندی . والظاهر انه كان يمتلكها ثم
اهداهما الى مكتبة الازهر ، ولعل هذه العلامة كانت السبب

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة " ٧٦ / ١ "

(٢) هدية العارفين للبغدادي " ٩٧ "

(٣) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٥٠ / ٩

(٤) تاريخ الادب العربي لكارل بوركلمان " ٤١٥ / ١ "

في نسبتها له عن طريق الخطأ .

هذا وقد ذكر بروكلمان نسخة ثالثة مخطوطة لهذا المصنف

في مكتبة برلين (١)

ومع ان الواحدى كان متقدما في الزمن على الحراقى بزهاء

قرن من الزمان (٢) الا ان اللاحق لم يتأثر بسابقه في منهج

التصنيف .

فالحراقى : - رحمه الله - لم يشر الى منهج محدد يلتزمه

في تأليف مصنفه ، وهو ايضا لم يهتم به بحثه بمقدمة يتحدث

فيها عن شىء من علوم القرآن كما فعل الواحدى من قبل والسيوطى

من بعد . . ولكنه اكتفى بحمد حمد الله والصلاة على النبى

صلى الله عليه وسلم بقوله : (وبعد ، فان بعض الاخوان

سألنى ذكر مجرور قصص الانبياء واسباب النزول فأجبت الى ما كتب

وبالله المستعان وعليه التكلان) (٣)

وجلى من هذه العبارة ، ومن عنوان الكتاب ، ان المؤلف

التزم بيان امرين : احدهما ذكر اسباب النزول ، والاخر ذكر

قصص الانبياء .

ولنا ان نتساءل : هل التزم المؤلف بذكر هذين الامرين

او انه زاد عليهما شيئا آخر ؟

وبالرجوع الى المخطوطة تبين ان المصنف لم يقتصر على ذكر

اسباب النزول وقصص الانبياء فحسب ، بل انه اضاف الى ذلك

(١) تاريخ الادب العربى " ٤١٥ / ١ "

(٢) كانت وفاة الواحدى سنة " ٤٦٨ " هـ . وفاته الحراقى سنة

٥٦٧ هـ .
(٣) اسباب النزول والقصص الفرقانية (ورقة رقم ٢)

تفسير الآيات التي تعرض لذكر اسباب نزولها . وهذه الظاهرة
تبرز من حين إلى آخر في ثنايا الكتاب بصورة متكررة .
والآيات التي أوردنا المصنف - سوى قصص الأنبياء - ثلاثة
اقسام :-

- أ / قسم اقتصر في ذكره على بيان سبب النزول دون تفسير الآيات
ب / وقسم فسره دون ذكر سبب النزول .
ج / وقسم ذكر اسباب نزوله مع تفسير الآيات .
وفيما يلي نسوق امثلة للاقسام الثلاثة مكثفين من كل قسم
بثلاثة امثلة :-

أ - فمما جاء في القسم الاول :-

١ - قوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ
لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ " (١) :-

(نزلت في رؤساء اليهود : كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف
وحبي بن الخطيب ، وحدي بن الخطيب ، وابو ياسر (٢) .
اخطب ، وزيد بن التايه ، وشعبة وابي ثبابة ابني عمرو
جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ، سمعنا
انه نزل عليك " ألم " ، وهذا يدل على ان منتهى بقاء دينك
احدى وسبعين سنة . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه
ومن اين لك هذا ؟ قال حبي :- لأن الألف واحد ، والسلام

(١) سورة البقرة " ٦ "

(٢) هكذا ورد في المخطوطة . والصواب : (وابي ياسر)

ثلاثون ، والميم اربعون . فطى عليهم " المص " " المرقم " فقالوا
 هذا أكثر من الاول ، خلطت علينا ، لا ندري أي القليل نأخذ ام
 بالكثير ؟ والله ما نؤمن بك ولا نتبعك ، وانصرفوا عنه . فنزل
 قوله تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ... الآية** (١)
 ٢- قوله تعالى : **" وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
 أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ " ...** (٢) (نزلت فسى
 مسيلة الكذاب حين زعم أن الله تعالى اوحى اليه ، وكان نفذ
 الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولين فقالا : اشهد يا محمد
 أن مسيلة نبي : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لولا ان
 الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما) (٣)
 ٤- قوله تعالى : **" وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ
 نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِثًى كَبِيرًا " (٤)**
 (نزلت في كفار قريش والحرب ، كانوا يدفعون البنات أحياء
 كانوا يحزون كلابهم ويقتلون اولادهم خوف الفقر) (٥)
 قلت : ومع ان قوله " نزلت " ليس نصا في ذكر سبب النزول ،
 وانما هو اقرب الى التفسير ، فقد جعلته من القسم الاول المختصر
 فيه على سبب النزول تمييزا له عن القسم الثاني الذي سيصرح فيه
 بالتفسير .

-
- (١) اسباب النزول للحراقي ، ورقة رقم " ٢ "
 (٢) سورة الانعام " ٩٣ "
 (٣) اسباب النزول للحراقي ، ورقة رقم " ٣ "
 (٤) سورة الاسراء " ٣١ "
 (٥) اسباب النزول للحراقي ، ورقة رقم " ٦٧ ، ٦٨ "

ب - ومما جاء في القسم الثاني ما يلي :-

١ - قول المصنف في سورة الاسراء : (سَبَّحَانَ الَّذِي أَسْرَى

بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنْ بَيْتِ أُمِّ هَانِيٍّ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ ، مِّنَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ - وَالْحَرَمُ كُلُّهُ مَسْجِدٌ - إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى بَيْتِ

المقدس ، يعنى الأقصى من مكة ، الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ بِالْأَشْجَارِ

وَالْعِوَاءِ وَالْخَيْرِ ، أسرى به من يثرب زمزم إلى مسجد بيت المقدس ،

وذلك في رجب في ليلة سبعة وعشرين وذلك سنة احدى وخمسين

سنة وتسعة اشهر وثمانية وعشرين هو ما (١) وفي تلك الليلة

فرضت عليه الصلاة (٢)

٢ - قوله رحمه الله في سورة " الشمس " :-

(قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا : يعنى زكى نفسه بالعمل . وَقَدْ سَابَّ

مَن دَسَّاهَا : يعنى اخفاها بالفجور) (٣)

٣ - وقوله ايضا في سورة " الشرح " : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ،

فشرح الله صدره بالاسلام والنبوة . وَوَضَعْنَا يَدَكَ ، يعنى

الوزر الذى كان قبل النبوة ، وهو الثقل الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ،

(١) أى منذ ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم

(٢) اسباب النزول للحرقى ورقة رقم " ٦٥ ، ٦٦ "

(٣) اسباب النزول للحرقى ورقة رقم " ١٥٠ "

اثقله . وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ، فى السموات والارض ، تذكر مسمع
الوحدانية ، وفى النداء . فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، وليس بتكرار
وانما المراد الاول ، لَانَّ الالف واللام للتعريف ، والمعرفة اذا
كررت فهى واحدة لا تكرر ، فالعسر الاول المذكور بالالف واللام
هو الثانى . فَإِذَا فُرُغْتَ فَانصَبْ : اذا فرغت من الرسالة والتبليغ
والحكم والقضاء فانصب لعبادة ربك لما تريد من الطوع ، وقيل :
فانصب : يعنى انتصب لصلاة الليل (١) هـ .

قلت : وارى ان هذا لا صلة له باسباب النزول ، ولا بعنوان
الكتاب ، فى اظله ، اذا تجاوزنا واعتبرنا الاسراء والمعراج
وشرح الصدر من قصص الانبياء . اما " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا " ^١
فمخرجة عن موضوع الكتاب .

جـ - ومما جاء فى القسم الثالث ما يلى :-

١ - قول المصنف فى سورة البقرة : (فَإِنَّ طَلَقَهَا) (٢) يعنى
رفاعة بن عبد الرحمن القرظى ، طلق تميم بنت وهب بن عتيك
النضرى ثلاثا ، وتزوجها عبد الرحمن بن الزبير ثم طلقها ، فقال
تعالى : فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا ، يعنى القرظى وتيممة
بعثد جديد وصهر جديد (٣)

٢ - وقوله فى سورة المائدة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ
بَيْنَكُمْ) (٤) نزلت فى بديل بن أبى مارية مولى العاص بن وائل

(١) المصدر السابق ورقة رقم " ١٥١ "

(٢) سورة البقرة " ٢٣٠ "

(٣) اسباب النزول للعراقى ، ورقة رقم " ٧ "

(٤) سورة المائدة " ١٠٦ "

السبي ، كان خرج مسافرا في البحر ، مسافرا الى ارض المجاشي
ومعه نصرانيان ، احدهما تعمير بن أوس الداري ، وعدى بن
بدا ، فمات بديل في المركب ، فرمى به في البحر ، وكان كتب
وصية ثم جعلها في متاعه ، ودفع المتاع الى تعمير وصاحبه وقال لهما
بلغنا هذا المتاع الى اهلنا . فحمل المتاع وحبسا منه جاما من
فضة موه بالذهب (١) قيمة الجاه ثلاثمائة مثقال ، وكان بديل
مسلم . فلما سلم الجاه عدم الورثة الجاه (٢) فسألا (٣)
صاحبه : هل باع من رحله مئنة شيئا ؟ قال : لا . قالوا :
فقد عدمنا الجاه الفلاني . قال : لا علم لنا . فارتفعوا الى
النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية : اثنان ذوا عدل منكم :
يعني من المسلمين . امر الله من حضرته الوفاة في السفسر
واراد الوصية باشهاد ذوي عدل مسلمين ، فان لم يكونا فأخيران
من اهل الذمة ، ولا يجوز شهادة اهل الذمة في حق المسلمين
الا في الوصية في السفر ، لأن الظاهر أن المسلمين ربما لا يثفق
لحضورهم فيفتقر الى اشهاد فيهم . ويقال تحبسونهما من
بعد الصلاة من اليمين ، يعني تعينا وعديا ، بعد صلاة العصر

(١) هكذا وردت " موه " والصواب " موهها " .

(٢) عدم الورثة الجاه : اي افتقدوه .

(٣) هكذا وردت " فسألا " بالف التثنية .

عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم . فحلفا انهما لم يخونا في
 شيء من مال بديل ، فحَلَّا (١) النبي صلى الله عليه وسلم
 بينهما ، ثم وَجِدَ الجاهل بعد ذلك عند تميم الداري (٢) فقالا
 كنا اشتريناه منه ، فقالوا لهما : الستم قلتم (٣) ما باع من رحله
 شيئا ؟ فعادوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزل قولهم
 تعالى : " فَإِنْ عَثَرْتُمْ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَايَ يَقُومَانِ
 مَقَامَهُمَا " (٤) يعني من اولياء الميت . فلما نزلت الآية قام من
 وقته عبد الله بن عمرو بن العاص ، والمطلب بن ابي وداعة
 السهميين . من الذين اسْتَحَقَّ عليهما الْاَوْلِيَانِ : يعني
 اسْتَحَقَّ عليهما (٥) الاثم ، الاولى فالاولى ، الاقرب فالاقرب
 لانهما اولياء بديل الميت ، فيحلفان دبر صلاة العصر ان الذي
 قلنا في وصية صاحبنا حق ، وان المال كان اكثر مما اتيتم به ،
 وان هذا الاناء من متاع صاحبنا الميت ، وقد كتبه في وصيته
 معكما ، وانكما غتتما . وهو معنى قوله : " لشهادتنا احق من
 شهادتهما " يعني النصرانيين (٦) ا هـ (٧)

-
- (١) هكذا وردت (فحَلَّا النبي) والصواب (فحَلَّى)
 (٢) كان تميم الداري نصرانيا ثم اسلم سنة تسع ، وهو من خيار
 الصحابة رضي الله عنهم (انظر الاصابة ١ / ١٨٣)
 (٣) هكذا ورد الفعلان بضم الجيم
 (٤) سورة المائدة " ١٠٧ "
 (٥) ، (٦) هكذا وردت " عليهما " بالفتنة . والصواب في
 الآية الكريمة " عليهم " بضم الجيم
 (٧) اسباب النزول للعراقي ، ورقة رقم ٢٠ ، ٢١ .

٣- وقوله ايضا في سورة البلد : (لَا اَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١)
يعنى مكة . وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) يعنى محمدا ، لم يحل
الله تعالى مكة الا له ، وانما احلت له ساعة من نهار ، قاتل
فيها ، وقتل من شاء ، واسر من شاء ، ودخل النبي عليه
السلام مكة وهو حلال ، ولا بأس له بذلك ، وكان يوم الفتح .
وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) : اقسام بآدم والخلق كلهم ، يريد الآباء
والأبناء . لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) : وعلى هذا أدخل
القسم ، قيل منتصب القائمة ومعتدل ، والكبد الاعتدال وقيل
نطفة ثم مضغة ، وقيل مبيضاً في بطن امه . أَفَحَسِبَ الْإِنْسَانُ
- أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) نزلت في الحارث بن عمرو بن نوفل
يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا (٦) اى كثروا مجتمع بحضه على بعض
من اللبد . أَفَحَسِبَ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) بل قد رأيناه (أ هـ (٨)
قلت : ما تناوله من التفسير يعتبر من التفسير الاجمالى الذى

لا يشفى فليلا .

(١) سورة البلد (١)

(٢) البلد (٢)

(٣) البلد (٣)

(٤) البلد (٤)

(٥) البلد (٥)

(٦) البلد (٦)

(٧) البلد (٧)

(٨) اسباب النزول للحراقي وثقة رقم ١٤٩ / ١٥٠

علام اعتمد الصراقي في تصنيفه ؟

عرفنا فيما مضى ان الواحدى والسيوطى كليهما قد اعتمد فى ذكر اسباب النزول على روايات مسندة - على تفاوت بينهما فى درجة الاسناد - فعلام اعتمد الصراقي فى ذكر ما اورده - من اسباب النزول ؟

الواقع أن كتاب الصراقي يخلو تماما من الإسناد . فهو لم يورد حديثا مرفوعا أو موقوفا أو مرسلا ، بل انه لم يرو شيئا ممن أخذ منهم من شيوخه كما هو الشأن فى كتاب الواحدى . وهذا الامر من الوضع بحيث لا يحتاج الى سوى أمثلة عليه ، لنسبه يشمل كل ما اتى به المصنف من اسباب النزول . بيد أن الكتاب لا يزال مشطوطا وهو بهذا بعيد من تناول القراء ، فلا بأس اذن من تقديم نماذج من طريقته فى ذكر أسباب النزول . ونكتفى من ذلك بالشواهد الثلاثة الآتية :

- أ - (قوله تعالى : **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** الآية (١) نزلت فى **الْحَرَبِيِّينَ** ، بنى قريظة الذين جاءوا المدينة وخرجوا فقتلوا **رِجَالَهُ** **إِبِلَ الصَّدَقَةِ** وساقوها) أ هـ (٢)
- ب - (**يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ** **إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ** (٣) نزلت فى المنافقين : عبد الله بن أبي رأس المنافقين ، **خَلَفَ** ان لا يتخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم ويكون معه على عدوه) أ هـ (٣)

-
- (١) سورة المائدة " ٣٣ "
 - (٢) اسباب النزول للصراقي ، ورقة رقم " ١٦ "
 - (٣) سورة التوبة " ٦٢ "
 - (٤) اسباب النزول للصراقي ، ورقة رقم " ٤٠ "

جـ (قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ (١) نزلت الآية في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق الخرجي ، ومسطح بن اثانة ابن خالي ابي بكر الصديق رضي الله عنه (٢) وحمنة بنت جحش الاسدية وعبادة بن عبد المطلب من المهاجرين الاولين (٣) وحسان بن ثابت . .) أهـ (٤) قلت : وهكذا يتضح ان كتاب العراقي مجرد تجريدا كاملا من الاسناد فما هي اذن قيمته العلمية ؟

- (١) سورة النور "١١"
- (٢) الصواب ان ام مسطح بنت خالة ابي بكر . جاء في كتاب الاصابة "٤٠٨/٣" : - (مسطح بن اثانة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي المطلبى ، كان اسمه موقا ، واما مسطح فهو لقبه ، واه بنت خالة ابي بكر ، اسلمت واسلم ابوها قديما . .)
- (٣) لم اعثر له على ترجمة . والظاهر أن هنالك ومما جاء في الاصابة . قال الحافظ بن حجر : (قال ابو نعيم : هذا وهم شنيع وخطأ قبيح ، وانما هو مسطح بن اثانة بن المطلب . ثم ساقى من طريق ابراهيم عن سعد بن اسحق في قدوم المهاجرين المدينة قالر : ونزل عبدة بن الحارث واخواه الطفيل وحصين ، ومسطح بن اثانة بن عباد بن المطلب ، وسويبط بن سعد بن حرملة ، وطبيب بن عمرو ، وعلى بن عبد الله بن سلمة العجلاني . وهو كما قال ابو نعيم . وسبب الوهم ان لفظة " ابن " تصغفت واوا فصار الواحد اثنين مسطح بن اثانة وعباد بن المطلب . وعباد انما هو جد مسطح) أهـ انظر (الاصابة ١٢٨/٣)
- وقال ايضا بشأن الذين جاءوا بالافك : (واما اسماءهم فالمشهور في الروايات الصحيحة عبد الله بن أبي ومسطح بن اثانة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش) أهـ انظر فتح الباري (٨/٤٦٤)
- (٤) اسباب النزول للعراتى ، ورقة رقم "١٠١"

القيمة العلمية لكتاب العراقي

بعد هذا العرض نستطيع القول بان كتاب العراقي ^{٢٥} يفوّز كثير
مما ورد في كتابي الواحدى والسيوطى . ، وهو بهذا ^{٢٦} يقلّ منهما
كثيرا في قيمته العلمية . ولعل ما يرفع من قيمة هذا المصنف ان
^{٢٧} يقين الله له من يحققه تحقيقا مفيدا ^{٢٨} يوصل اسباب النزول الواردة
فيه بمصادرها الصحيحة من كتب السنة المطهرة ، وثقبتها مما
يشوبها من مثالب .

ومع الترقّب الصادق لإنجاز هذا العمل الجليل، نتضرع الى الله
تعالى ان يجزى العراقي خيرا على ما أسدى من خدمة
لكتاب الله على قدر طاقته ، وبحسب نيته وإخلاصه . . .
والله الهادى الى سواء السبيل .

الفصل الثاني

فوق الاستعانة بالسبب

على فهم الأدبية

وارزالت

الإشكال

عنها

الفصل الثاني :

الاستعانة بالسبب على فهم الآية وارزالة الاشكال عنها

ان الدارس للقرآن الكريم المتدبر لمعانيه لا يستطيع ألجته ان يستغنى عن معرفة سبب النزول . ذلك ، لان كثيرا من آيات القرآن الكريم لا يمكن فهمها فهما صحيحا بمضول عن معرفة سبب نزولها . ومهما حاول المفسر الوصول الى مقصد النص القرآنى بعيدا عن سبب نزوله ، فانه لايزداد الا تخبطا وبعدا عن المعنى المقصود من النص .

وقد نبه كثير من العلماء الى هذا الامر ، وقرروا ان معرفة السبب تحين على فهم الآية ، وانه يتعذر على المفسر فهم الآية دون الوقوف على قصتها . وفيما يلى نورد بعضا من اقوالهم فى هذا الشأن :-

أ/ نقل الزركشى من الامام القشيرى (١) قوله :- (بيان سبب النزول طريق قوى فى فهم معانى الكتاب العزيز ، وهو امر يتحصل لتصاحبة بقرائن تحتف بالقضايا) (٢)

(١) هو محمد بن رافع بن ابي زيد القشيرى بالولاء ، ابو عبد الله النيسابورى الزاهد . كان اماما فى الحديث ، ثقة ثبتا صالحا زاهدا ، وهو شيخ عصره بخراسان فى الصدق والرحلة . مات سنة خمس واربعمين ومائتين (انظر تهذيب الرحلة) (٢) البرهان ١/ ٢٢٠

(٢) البرهان ١/ ٢٢٠

ب/ وقال الواحدى واصفا اسباب النزول : (إِذْ هِيَ أَوْفَى مَا يَجِبُ
الوقوف عليها ، وَأَوْلَى مَا تَصْرِفُ العناية إليها ، لا متناع معرفة
تفسير الآية وقصد سبيلها ، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها) (١)
ج/ ونقل السيوطى عن ابن دقيق العيد قوله : (ببيان
سبب النزول طريق قوى فى فهم معانى القرآن) (٢)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية (٣) : (معرفة سبب النزول
يعين على فهم الآية ، فان العلم بالسبب يورث العلم بالمُسَبَّب) (٤)
وهؤلاء العلماء وغيرهم ممن نوهوا باهمية معرفة اسباب النزول
ثم يطلقوا القول على عواضة دين ان يكون لهم مستند فيما يقولون
ولكنهم رجعوا الى المأثور من التفسير كَالْفَوْاءِ فيه جملة من الشواهد
الدالة على اهمية معرفة السبب . ومن ثم جاءت اقوالهم تلك ضاربة
صادقة ، تشير الى النهج القويم الذى ينبغى ان يسلكه المشتغلون
بتفسير الكتاب العزيز .

ولتوضيح هذا الامر يحسن ايراد طرف من تلك الشواهد الدالة
على اهمية معرفة السبب . وفيما يلى نذكر ستة منها :

(١) اسباب النزول للواحدى " ٤ "

(٢) الاتقان ٢٩/١

(٣) هو الامام احمد تقي الدين ابو العباس بن الشيخ شهاب
الدين ابي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ مجد الدين ابي
البركات عبد السلام بن ابي محمد عبد الله بن ابي القاسم الخضر
ابن محمد الخضر بن على بن عبد الله المعروف بابن تيمية
الحرانى الدمشقى الحنبلى . كان اماما علما فى العقيدة
والتفسير والحديث والاصول والفقه والحربية والمنطق وله
مؤلفات عدة ، ولد سنة احدى وستين وستمائة ، وتوفى سنة
ثمان وعشرين وسبعمائة من الهجرة (انظر كتاب تاريخ المذاهب
الاسلامية للشيخ ابي زهرة ٤٠٦/٢)

(٤) مقدمة فى اصول التفسير ص " ٤٧ "

الشاهد الأول :

قوله تعالى : (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثُمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (١)

فهذه الآية لم يفهمت على ظاهرها لاقتضت نفى وجوب استقبال

القبلة في الصلاة ، ولقَامَ تعارض بين قولها تعالى : " فَكُلُّ وَجْهٍ لَكَ شَاغِرٌ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَرْقَهُ " (الآية ٢) ولكن بالرجوع الى سبب النزول يتضح المعنى المراد من الآية وهو انها نزلت في نافلة السفر كما ورد في صحيح الامام مسلم على النحو التالي :

(حدثنا عبيد الله بن عمر القنبري ، حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الملك بن ابي سليمان قال : حدثنا سعيد بن جبيرة عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو مقبل من مكة الى المدينة على راحلته حيث كان وجهه . وفيه نزلت : " فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثُمَّ وَجْهَ اللَّهِ " (أ هـ (٣)

الشاهد الثاني :

قوله تعالى (إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) (٤)

نقد أشكلت هذه الآية على عمرو بن الزبير رضي الله عنهما

حيث فهم منها عدم ركنية الصفا والمروة ، لان الآية نفت الجناح ، ونفى الجناح لا يدل على الفرضية ، وانما يدل على الإباحة .

(١) سورة البقرة " ١١٥ "

(٢) سورة البقرة " ١٤٤ "

(٣) صحيح مسلم ٢٠١/٥

(٤) سورة البقرة " ١٥٨ "

ولم يزل عروة رضى الله عنه على ذلك الفهم حتى رده حالته
 أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها الى المصنى المراد من الآية ،
 وبينت له سبب نزولها على هذا النحو الذى رواه الامام البخارى :
 (حدثنا ابو اليمان ، اخبرنا شعيب ، عن الزهري ، قال
 عروة : سألت عائشة رضى الله عنها فقلت لها : رأيت قول الله
 تعالى : " إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوَّاعًا
 فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا " فوالله ما على أحد جناح أن يطوف
 بالصفا والمروة + قالت : بئس ما قلت يا ابن أختي ، ان هذه
 لو كانت كما أولَّتها عليه كانت : لا جناح طيه ان لا يطوف بهما ،
 ولكنها أنزلت في الانصار كانوا قبل ان يسلموا يَسْلُونَ لِمَنَاءِ الطَّافِيَةِ
 التى كانوا يحسدونها عند المَشَّالِ (١) فكان من أهل بيتهم ان
 يطوف بالصفا والمروة ، فلما اسلموا سألوا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن ذلك : قالوا : يا رسول الله ، انا كنا نتخرج ان نطوف
 بين الصفا والمروة . فانزل الله " إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ " .
 الآية . قالت عائشة رضى الله عنها : وقد سن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الطواف بينهما فليس لاحد ان يترك الطواف بينهما .
 ثم اخبرت ابا بكر بن عبد الرحمن فقال : ان هذا كَلِمٌ ما كنت سمعته .
 ولقد سمعت رجلاً من اهل العلم يذكر ان الناس - الا من ذكرت
 عائشة ممن كان يُهْلُ بِمَنَاءِ - كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة
 فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة ففى
 القرآن قالوا : يا رسول الله كنا نطوف بالصفا والمروة وان الله

(١) المَشَّالُ - بضم الميم وفتح اللام الاولى مشقة - موضع بين مكة
 والمدينة (انظر فتح البارى ٣ / ٤٩٨)

انزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا ، فهل علينا من حرج ان
نطوف بالصفا والمروة ؟ فانزل الله تعالى : - " إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ
مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ " الآية . قال ابو بكر : فاسمع هذه الآية نزلت فى
الفريقين كليهما : فى الذين كانوا يخرجون ان يطوفوا فى الجاهلية
بالصفا والمروة ، والذين يطوفون ثم يخرجوا ان يطوفوا بهما فى
الاسلام من اجل ان الله تعالى امر بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا
حتى ذكر ذلك بعد ما ذكر الطواف بالبيت (ا هـ (١)

قلت : وهذا الاشكال الذى قام فى ذهن عروة رضى الله عنه
يمكن ان يحدث لأى مفسر للقرآن الكريم ما لم يكن حالاً بسبب نزول
الآية إِذْ أَنْ نَفَى الْآيَةَ لِلجَنَاحِ يمكن ان يؤمم بِحَدَمِ فرضية السعى
بين الصفا والمروة، لاسيما اذا لم يكن المفسر على علم بقول السيدة
عائشة رضى الله عنها : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سنَّ
الطواف بينهما فليس لاحد ان يترك الطواف بينهما » لأن هذا الحديث
يثبت فرضية السعى بين الصفا والمروة حيث انَّ المقصود بالسنة هنا
هو الفرض والشرع . فقولها : " وقد سن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الطواف بينهما " - المقصود به شرع وفرض بدليل من السنة ، لا من
الكتاب ، وقرينة وحى قوله " مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ " . والدلالة على الفرضية
واضحة فى قولها : " فليس لاحد ان يترك الطواف بينهما " . ففى
هذا النص القاطع دليل واضح على فرضية السعى بين الصفا
والمروة .

الشاهد الثالث :

قوله تعالى : (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِعَاقِرَةً مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (١)

قرأ مروان بن الحكم هذه الآية الكريمة ففهم منها انها نذير بالعذاب لكل امرئ فرح بما أُوتِيَ وأحب ان يُحمد بما لم يفعل ، ففرح من ذلك فرحا شديدا لانه ما من امرئ يخلو من الفرح وحسب الحمد ، فأرسل الى ابن عباس يسأله عن ذلك فاجابه بان الآية نزلت في اهل الكتاب . وقد روى الامام البخارى هذه الحادثة كما يلي :

(حدثني ابراهيم بن موسى ، اخبرنا هشام أن ابن جريج اخبرهم عن ابن أبي مليكة ان علقمة بن وقاص اخبره ان مروان قال لبوابه : اذهب يا رافع الى ابن عباس فقل : لئن كان كله امرئ فرح بما أُوتِيَ وأحب ان يُحمد بما لم يعمل معذبا ، لَنَحْذَرُنَّ أَجْمَعُونَ فقال ابن عباس : ما لكم ولهذا ؟ انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموا اياه واخبروه بخبره فأروه أن قد استحمدوا اليه بما اخبروه عنه فبعاسألهم ، وفرحوا بما اتوا من كتمانهم ، ثم قرأ ابن عباس " وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ " كذلك حتى قوله " يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا " (٢)

(١) سورة آل عمران " ١٨٨ "

(٢) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ .

وقد ذكر البخاري سببا آخر لنزول الآية فقال : (حدثنا سعيد ابن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثني زيد بن اسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رجلا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الفزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ، فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا ، وأحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا ، فنزلت " لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ " الآية) (١) قلت : لا تعارض بين حديث ابن عباس وحديث أبي سعيد الخدري ، لأنَّ الجمع بينهما بأن تكون الآية نزلت في المنافقين واليهود معا .

هذا وقد نقل الزركشي اعتراض بعض العلماء على جواب ابن عباس على مروان ، حيث قالوا : إنَّ الجواب لا يكفي ، لأن اللفظ أعم من السبب ، وبينوا ان الجواب هو ان الوحيد مرتب على أكثر الامرين المذكورين ، وهما : الفرح وحب الحمد ، لا عليهما انفسهما ، اذ هما من الامور الطبيعية التي لا يتعلق بها التكليف امرا ولا نهيا .

ثم أجاب - رحمه الله - على هذا الاعتراض بأنه لا يخفى من ابن عباس رضي الله عنهما ان اللفظ اعم من السبب لكنه بين أن المراد باللفظ خاص . (٢)

(١) صحيح البخاري و كتاب التفسير باب لا تحسبن الذين يفرحون

(٢) انظر الجرحان " ٢٧١ "

واقول : ما ذكره المختصون على ابن عباس من ان الوعيد في هذه الآية مرتب على أثر الامرين المذكورين لا عليهما انفسهما ، فيرسل . لان الوعيد هنا مرتب على الامرين نفسيهما ، حيث إن اليهود فرحوا يكذبهم على النبي صلى الله عليه وسلم وأحبوا ان يحمدهم على الكذب والكتمان . فالحب والفرح هنا مذمومان لذاتيهما ، ولذلك ترتب عليهما الوعيد المذكور .

وكان الأولى أن يقال إن ابن عباس رضي الله عنهما ابان للسائل سبب نزول الآية ، وهو خاص بقوم ^{اضمر} أعداء النبي صلى الله عليه وسلم . ولكن الآية تظل بعد ذلك حكما عاما ينطبق على كل من اتصف بتلك الصفات التي نزلت بشأنها . وصورة السبب داخلة دخولا قاطعا . ولا شك ان ابن عباس عندما اجاب عن سؤال مروان كان يدرك الفرق الشاسع بين مكر أعداء الله الذين نزلت فيهم الآية وبين تَعَوُّف المسلمين الذين فهموا أن مجرد الفرح ومحبة الحمد يدغلانهم في هذا الوعيد +

الشاهد الرابع :

قوله تعالى : (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا كَانُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (١)

وهذه الآية اخذاً في فهمها صاحبان جليلان هما قدامة بن مظعون (٢)

- (١) سورة المائدة " ٩٣ "
- (٢) شوالصحابي الجليل قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب ابن حذافة بن جَعْفَر القرشي . كان احد السابقين الاولين هاجر الهجرتين وشهد بدرا وكان واليا على البحرين في خلافة عمر ، ومات سنة ست وثلاثين في خلافة علي (الاصابة ٢٢٨ / ٣)

وعمر بن معد يكرب (١) لانهما لم يثقا على سبب نزولها ، فكانا
يقولان **إِنَّ الْخَمْرَ مَبَاحَةٌ وَبِحُجَّتَانِ** بهذه الآية (٢)
بيد ان الناظر في سبب نزولها يدرك ان المراد بها هم الصحابة
الذين ماتوا قبل تحريم الخمر وكانوا يشربونها .

روى الامام البخارى في صحيحه عن انس رضى الله عنه انه قال :
(كنت ساقى القوم في منزل ابي طلحة ، فنزل تحريم الخمر فأمر
بناديا فنادى . فقال ابو طلحة : اخرج فانظروا هذا الصوت ؟
قال : فخرجت فقلت : هذا مناد ينادى : الا ان الخمر قد حرمت
فقال لى : اذهب فأهرقها . قال : فجرت في سكك المدينة ، قال
وكانت خمرهم يومئذ الفضيخ ، فقال بعض القوم : قتل قوم وهى فى
بطونهم . قال : فانزل الله : **(لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جُنَاحٌ فِيمَا كَفَرُوا)** (٣)

قلت : ولما كان قدامة بن مظعون لا يعلم شيئا عن سبب نزول
الاية فقد سأل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على النحو الذى ورد
في تفسير القرطبي كما يلى :-

(لما قدم الجارود (٤) من البحرين قال : يا أمير المؤمنين ،

(١) هو الصحابي الجليل عمرو بن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن
عاصم بن زيد الزبيدي الشاعر لقارس المشهور . ابل في
القادسية بلا حسنا ، ومات سنة احدى وعشرين من الهجرة
(الاصابة ١٨/٣)

(٢) البرهان ٢٨/١

(٣) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب ليس على الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جناح

(٤) هو الجارود بن عمرو بن المعلى سيد عبد القيس . كان نصرانيا
ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة ثمان فأسلم وكان
صليبا على دينه . توفي سنة احدى وعشرين في خلافة عمر
(الاصابة ٢١٦/١)

ان قدامة بن مظعون قد شرب مسكرا ، واني اذا رأيت حقا من حقوق
الله حَقَّ عَلَىَّ ان ارفعه اليك . فقال عمر : من يشهد على ما تقول ؟
فقال : ابو هريرة . فدعا عمر أبا هريرة فقال : علام تشهد يا ابا
هريرة ؟ فقال : لم أراه حين شرب ، ورأيت سكران يقي . فقال عمر :
لقد تَنَطَّعْتَ فِي الشَّهَادَةِ (١) ثم كتب عمر الى قدامة وهو بالبحرين
بأمره بالقدم عليه ، فلما قدم قدامة - والجارود بالمدينة - كلم
الجارود عمر فقال : أَقِمَّ عَلَى هَذَا كِتَابُ اللَّهِ . فقال عمر للجارود :
أَشْهَدُ أَنْتَ أَمْرٌ عَصَمَ قَالَ الجارود : انا شهيد . قال : قد
كنت أديت الشهادة . ثم قال لعمر : اني أدشدك الله . فقال عمر
أَمَّا وَاللَّهِ لَتَطْلُكَنَّ لِسَانُكَ أَوْ لَا سَوْفَ . فقال الجارود : أَمَّا وَاللَّهِ
مَا ذَلِكَ بِالْحَقِّ ، أَيَشْرِبُ ابْنُ عَمِّكَ وَيَسْوَفُنِي ؟ فأوعده عمر . فقال
ابو هريرة وهو جالس : - يا امير المؤمنين ان كنت في شك من شهادتنا
فَسَلِّ بِنْتَ الْوَلِيدِ امْرَأَةَ ابْنِ مَظْعُونٍ . فأرسل عمر الى هند ينشدها
بالله فَأَقَامَتْ هِنْدُ عَلَى زَوْجِهَا الشَّهَادَةَ ، فقال عمر : يا قدامة اني
جالدك ، فقال قدامة : والله لو شربت كما يقولون ما كان لك ان
تجلدنى يا عمر . فقال : ولم يسا قدامة ؟ (٢) قال : لان الله

(مختار الصحاح ص ٦٦٦)

(١) تَنَطَّعْتَ : اى تَعَمَّقْتَ وَخَالَيْتَ (وتفسير القرطبي ٢٢٩٥/٣)

(٢) هذا هو الصواب : انه (قدامة) . وقد ورد خطأ فى

البرهان " ٢٨/١ " والاتقان " ٢٩/١ " ان الذى حاج عمر

هو عثمان بن مظعون . لكن المعروف ان عثمان توفي عقب

فروة بدر ، اما قدامة فقد عاش حتى خلافة علي (انظر الاصابة

٢٢٨/٣) والمدخل للدكتور محمد ابى شهبة ص ١٣٨

سبحانه يقول : " لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا كَانُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " فقال عمر : أخطأت التأويل يا قدامة ، إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله . ثم أقبل عمر على القوم فقال : ماترون في جلد قدامة ؟ فقال القوم : ما نرى أن تجلده ما دام وجعاً . فقال عمر : انه والله لئن يلقى الله تحت السوط أحب إليّ أن ألقى الله وهو في عنقي ، والله لأجلدنه ، اتوني بسوط ، فجاء مولاه أسلم بسوط رقيق صدير ، فأخذه عمر فمسح به بيده ثم قال لأسلم ، أَعَذَّتْكِ دِقْرَارَةُ أَهْلِكَ (١) اتوني بسوط فير هذا . قال : فجاء أسلم بسوط تام ، فأمر عمر بقدامة فجلد . فذاضب قدامة عمر وهجره ، فجاء قدامة مهاجراً لعمر حتى قفلوا عن حجهم ، ونزل عمر بالسقيا (٢) ونام بها ، فلما استيقظ عمر قال : عجلوا عليّ بقدامة فأتوا فأتوني به ، فوالله لأرى في النوم انه جاءني آتٍ فقال ، " سألتم قدامة فانه اخوك " فلما جاؤا قد امست أبي أن يأتيه ، فأمر عمر بقدامة أن يجرّ إليه جرّاً حتى كلمه عمر واستغفر له ، فكان أول صلحهما (٣) .

(١) الدِقْرَارَةُ واحدة الدَقَارِير وهي الاباطيل وعادات السوء (القرطبي

٢٢٩٥/٣) .

(٢) السَقْيَا - بالضم - موضع بين المدينتين ووادي الصفراء : المصدر السابق " ٢٢٩٦ "

(٣) تفسير القرطبي : ط كتاب الشعب " ٢٢٩٥/٣ "

قلت : وهذا الخبر من حيث الاجمال مقبول . ومن حيث
التفصيل في النفس من بعض اجزائه شئ * ، فعمراجل من ان يجلد
وجعاً ، وهو يعلم ان المرض يستوجب تأخير الحقوبة على المريض
وكذا ما يتعلق بجبر قدامة إليه ، اذ لا بد للصلح من ان يقوم على
التراضى . وأياً ما كان الامر فان هذه الحالة تدخل في صفو الله بسبب
إما أنه مجتهد أخطأ التأويل ، أو أنه حديث عهد بالاسلام .

وقد يتبادر الى ذهن القارى سؤالان في هذا المقام : أولهما
ان سبب النزول في الشرب ، والآية نصت على الطعام ، فكيف
التوفيق بين الأمرين ؟ والسؤال الثانى هو أن رفع الجناح من مطلق
الطعام جاء في الآية مشروطاً بالتقوى والایمان ، والتقوى والاحسان
فما علاقة ذلك بصحابي مات قبل ان يحرف التحريم ؟
اقول في الجواب على السؤال الاول : ان اسم ^{الطعام} قد يقع على
المشروبات كما في قوله تعالى : " وَمَنْ لَمْ يَلْعَمْ فَأَنَّهُ مِنِّي " (١)

اذ المقصود هنا الماء .

وقد يراد بالطعم التذوق ، وهو حاصل في الشرب والاكل .
قال صاحب روح المعاني :- (وَمَنْ لَمْ يَلْعَمْ فَأَنَّهُ مِنِّي : أى من لم
يذقه من ربح الشئ إذا ذاقه مأكولاً كان أو مشروباً) اهـ (٢)
وجاء في تفسير الرازى : قال اهل اللغة : (٣) لم يطعمه

اى لم يذقه ، وهو من الطعم ، وهو يقع في الطعام والشراب (٤)

- (١) سورة البقرة " ٢٤٩ " قال تعالى (.....) إِنَّ اللَّهَ مَبْتَلِيكُمْ
بِنَهَرٍ نَّهْرٌ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَلْعَمْ فَأَنَّهُ مِنِّي (.....)
- (٢) روح المعاني للأنوسى " ١٧٠ / ١ "
- (٣) لسان العرب " ٢٥٩ / ١٥ "
- (٤) مفاتيح الغيب " ١٨٠ / ٦ "

وجاء فيه ايضا : ان (الطعام فى الاقلب من اللفة خلاف الشراب ، فكذلك يجب ان يكون الطعم خلاف الشرب ، الا ان اسم الطعام قد يقع على المشروبات كما فى قوله تعالى : " وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي " وعلى هذا يجوز ان يكون قوله تعالى " جَنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا " أى شربوا الخمر ، ويجوز ان يكون معنى الطعم راجعا الى التلذذ بما يأكل ويشرب . وقد تقول العرب : تَلَعَّمْتُ طَعْمًا - بتشديد العين - أى ذُقْتُ حتى تشتهي (١) . واذا كان معنى الكلمة راجعا الى الذوق صلح للمأكول . والمشروب معا (٢)

واما الجواب على السؤال الثانى فهو ان المراد باشتراط الايمان والتقوى ~~والاحسان~~ والايمان والاحسان انما هو اثبات هذه الصفات لمن ماتوا من اصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل تحريم الخمر ، اذ الآية هنا تُثَبِّتُ عَلَيْهِمْ وَتَعْمَدُ أحوالهم واعمالهم المصحوبة بالايمان والتقوى والاحسان . وما هذا التكرار الا لتأكيد تلك الصفات الحميدة فيمن مضوا من الصحابة قبل تحريم الخمر + وقد تنبه الفخر الرازى لمثل هذا التساؤل فأورده فى تفسيره

ثم اردفه بالجواب على النحو التالى :-

قال : (ان المقصود من هذا التكرير التأكيد والمبالغة فى الحث على الايمان والتقوى . فان قيل : لِمَ شَرَطَ رفع الجناح من تناول الملعومات بشرط الايمان والتقوى ، مع أن المعلوم أن من لم يؤمن بهن لم يتحقق ثم تناول شيئا من المباحات فانه لا جناح عليه فى

(١) مختار الصحاح ص ٣٩٢

(٢) تفسير الرازى " ٨٣ / ١٢ "

ذلك تناول ، بل عليه جناح في ترك الايمان وفي ترك التقوى ،
الا ان ذلك لا يتعلق له بتناول ذلك المباح ، فذكر هذا الشرط في
هذا المعترض فيرجأ - قلنا : ليس هذا للاشتراط . بل لبيان
ان اولئك الاقوام الذين نزلت فيهم هذه الآية كانوا على هذه الصفة
ثناء عليهم وحمدا لا حوالهم في الايمان والتقوى والاحسان .

ومثاله ان يقال لك : هل على زيد فيما فعل جناح ؟ وقد علمت ان
ذلك الامر مباح ، فتقول : ليس على احد جناح في المباح اذا
اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا ، تريد أن ^{يكون} زيدا ^{بأن} ^{يكون} بقى مؤمنا
محسنا فانه غير مؤاخذ بما فعل (١)

وأقول : ارى ان رفع الجناح في هذا الموضع دال على الاباحة
ولكن هذه الاباحة ابيحت بالجزء دون الكل . فالمباح الشرعي الذي
اذن الشارع في فعله او تركه هو وسيلة يأخذ حكم ما ينتهي اليه .
فان كان المباح وسيلة الى المطلوب انقلب من مباح البسي مندوب
او واجب . وان وصل المباح الى محذور انقلب من الاباحة البسي
الكراهة او التحريم . فمثلا : يباح ان نسب الاصنام ، لكن اذا كان
سب الاصنام يؤدي الى رد المشركين علينا بالمثول كان سب الاصنام
حراما ، مع انه في الاصل مباح . فقوله : (ليس على الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا " هذا للاباحة . وقوله : " اذا
ما اتقوا . الخ " . . شرط للابقاء على الاباحة . فان صاحب قول
المباح اجتناب التقوى والاحسان بطلت الاباحة وكان معنوا .

الشاهد الخامس :

قوله تعالى : (وَاللَّائِي يَكْتُمْنَ مِنَ الْمَخِيِّ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْتَبْتُمْ
فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ . .) الآية (١)

لقد اشكل هذا الشرط - وهو قوله ان ارتبتم - على بعض الاثمة
ففهموا منه ان الارتياح متعلق بدم الحيض ، حتى قال الظاهرية
ان الآية لا عدة عليها اذا لم ترتب (٢)

ولا ريب ان الذى حملهم على هذا الفهم هو عدم الوقوف على
سبب نزول الآية . فلو انهم علموا سبب النزول لادركوا ان المقصود
بقوله " إِنْ أَرْتَبْتُمْ " اى ان جهلتم حال هؤلاء النسوة فلم تعلموا هل
عليهن عدة او لا .

وقد ذكر الحاكم فى مستدركه سبب نزول هذه الآية . فاعرج
عن أبى بن كعب - وصححه - انه قال : (لما نزلت الآية التى فى
سورة البقرة فى عَدِّ مِنْ عَدِّ النِّسَاءِ قَالُوا : قَدْ بَقِيَ عَدُّ مِنْ عَدِّ
لِلنِّسَاءِ لَمْ يُذَكَّرْ : الصَّغَارُ وَالْكِبَارُ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ . فَاَنْزَلَتْ

وَاللَّائِي يَكْتُمْنَ مِنَ الْمَخِيِّ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْتَبْتُمْ الآية (٣)
وفى هذا بيان لمعنى الشرط فى قوله : إِنْ أَرْتَبْتُمْ اى إِنْ أَشْكَلَ
عليكم حكمهن وجهلتم كيف يَعْتَدْنَ فهذا حكمهن (٤)

(١) سورة الطلاق ٤

(٢) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٣٧

(٣) المستدرک ٤٩٠ / ٢

(٤) انظر البرهان ٢٩ / ١

والذى أوقع اهل الظاهر فى هذا الامر - زيادة على ما ذكر من عدم وقوفهم على السبب - ففلتهم عن ان الشرط متقدم فى المعنى وإن تأخر لفظاً . والتقدير على هذا : إن ارتبتم فى عدة بعض النساء ، فاليكم الحكم : الثلاثى يفسن من المحيض والثلاثى لم يحضن عدتهن ثلاثة أشهر . وايضاً أخذهم بمفهوم الشرط ، بدليل انهم قالوا : هذا العدد مشروط بالارتياح ، ومعناه انه اذا لم يكن ارتياح فهذا العدد غير مقرر وهذا خطأ ، لان الشرط فى الارجح لا مفهوم له لانه مقدم ، ورفع المقدم لا ينتج كما هو مقرر فى المنطق : تقول ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود ، لكنها غير طالعة فلا ينتج دائماً ان النهار ^{غير} موجود بل يمكن ان يكون النهار موجوداً وبه يتم الشاهد السادس :

قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَدَّوْا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ . .) الآية (١)

ان المتدبر لهذه الآية بمعزل عن سبب نزولها ربما تخبط فى فهمها وخرج بحكم خاطئ يتناول علاقة المرء بزوجه واولاده . ولكن سبب النزول يزيل الاشكال ويوضح معنى الآية على الوجه المطلوب كما رواه الامام الترمذى بسنده عن ابن عباس - وقد سأله رجل عن هذه الآية - قال (هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة ، و أرادوا ان يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فابنى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا الناس قد

فَقَهَرُوا فِي الدِّينِ ، هَمُّوا أَنْ يَمَاقِبُوهُمْ . فَاَنْزَلَ اللَّهُ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ الْآيَةُ (١)

قلت : ولو تأملنا أن " مِنْ " للتبحيض لزال أى اشكال عن الآية

متى فهمنا أن بعض الاولاد والاموال قد يكون عدوا لنا ، فيتعين

علينا العذر للتمييز بين العدو وغير العدو .

وهكذا يتضح من هذه الشواهد صدق ما سقناه آنفاً من

اقوال العلماء الدالة على أهمية معرفة السبب . وقد رأينا أن

جميع الاشكالات التي كانت تبدو لأول وهلة في هذه الشواهد قد

زالت جميعها بفضل معرفة اسباب النزول ، وذلك لان العلم بالسبب

يورث العلم بالصعب كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (٢)

(١) رواه الترمذى في جامعه (٩٢ / ٥) وقال : هذا حديث حسن

صحيح

(٢) انظر : مقدمة في اصول التفسير ص ٤٧ "

الفصل الثالث

في تحليل النصوص وحكمة التشريع

وفيه مباحث

المبحث الأول :

هل تمثل النصوص بعبارة أولاد ؟

المبحث الثاني :

معرفة حكمة التشريع .



المبحث الأول

هل تعلل النصوص بعلة أو لا ؟ وما المراد بذلك ؟

جاء في مختار الصحاح : (العلة المرض ، وَحَدَّثَ بِشَقْلٍ صَاحِبِهِ مِنْ وَجْهِهِ ، كَأَنَّ تِلْكَ الْعِلَّةَ صَارَتْ شِفَا ثَانِيًا مَنَعَهُ مِنْ شَقْلِهِ الْأَوَّلِ) (١)

وأوضح صاحب "إرشاد الفحول" هذا المعنى بقوله : (العلة في اللغة : اسم لما يتغير الشيء بحصوله ، أُخِذَ من العلة التي هي المرض ، لِأَنَّ تَأْثِيرَهَا فِي الْحُكْمِ كَتَأْثِيرِ الْعِلَّةِ فِي ذَاتِ الْمَرِيضِ يُقَالُ : اعْتَلَّ فُلَانٌ إِذَا حَالَ مِنَ الصَّحَّةِ إِلَى السَّقَمِ . وَقَدْ تَكُونُ مَأْخُذَةً مِنَ الْعَلَلِ بَعْدَ النَّهْلِ ، وَهُوَ مَعَاوِدَةُ الشَّرْبِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُجْتَهِدَ فِي اسْتِخْرَاجِهَا يَحَاوِدُ النَّظَرَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى) (٢)

وأما في اصطلاح الأصوليين فقد وردت لها عدة تعاريف ،
نجتزئ منها ما يلي :-

أولها : أَنَّ العلة (هي الأمر الذي إذا وَجَدَ وَجِدَ الْحُكْمُ حَقِيقَةً بِلَا فَصْل) (٣)

(١) مختار الصحاح ص ٤٥١

(٢) إرشاد الفحول للشوكاني ص ٢٠٦

(٣) كشف الاسرار ١٧١/٤

الثاني : أنها هي (المَصْرِفَةُ للحكم ، بان جُعِلَتْ مَلَأً على

الحكم ، إن وَجِدَ المعنى وَجِدَ الحكم) (١)

الثالث : ان العلة هي (ما شَرَعَ الحكم عنده تحصيلًا لمصلحة

من جَلَبِ نفع او دَفَعَ مفسدة ، وذلك مَبْنِيٌّ على أَنَّ الاحكام مَطْلُوبَةٌ

بمصالح العباد) (٢) .

الرابع : أنها هي (الحكمة الباعثة على تشريع الحكم ، وهي

مصلحة يُطَلَّبُ به جلبُها او تكميلُها ، ومفسدة يُطَلَّبُ درؤها

أو تقليلُها) (٣)

الخامس : أنها هي (الوصف الظاهر المنضبط المناسب

للحكم) (٤)

قلت : وهذه التعريفات بعضها من بعض ، وهي في جملة

تَقْضِي الى معنى واحدٍ يتمثل في كونها هي الحكمة الباعثة على تشريع

الحكم ولا خلاف يُذكر في مؤداهَا .

(١) ارشاد الفحول " ٢٠٧ "

(٢) فواتح الرحموت بشرح مُسَلَّم الثبوت " ٢ / ٢٦٠ .

(٣) اصول الفقه للشيخ محمد الخضرى " ٢٩٨) .

" ٤ " اصول الفقه للشيخ محمد ابى زهرة " ٢٣٧ "

فاذا رجعنا الى تعريف السبب علمنا انه هو كل وصف ظاهر منفي دلالة الدليل السعوى على كونه مَعْرِفًا لحكم شرعى (١) — علمنا ان السبب والعلة يكادان يكونان شيئاً واحداً ، بيد أنه لا مناص من ملاحظة الفرق الدقيق بينهما ، عند البعض ، وذلك أن السبب يُفْضَى الى الحكم الشرعى دون تأثير فيه ، على حين ان العلة تُقْضَى اليه مع التأثير.

يقول الامام محمد أبوزهرة رحمه الله : (فانه من المتفق عليه ان العلة والسبب كلاهما أَمَارَةٌ على وجود الحكم ، فالإسكار فى الخمر أَمَارَةٌ على وجود الحكم وهو التحريم ، والسفر فى رمضان أَمَارَةٌ على جواز الفطر ، وكذلك الشهر أَمَارَةٌ على وجوب الصيام ، والزوال أَمَارَةٌ على وجوب الظهر ، وهكذا . . . فهل هما فى الشرع بمعنى واحد ؟ هكذا قال طه الأصول ، فاعتبرا السبب والعلة بمعنى واحد . وقال بعض الأصوليين : انهما متسايران فى الحقيقة ، فالسبب يُطْلَق على ما لا يكون بينه وبين الحكم مناسبة ، وعلى ذلك يكون الوقت سبباً لوجوب الصلاة ، ولا يكون الإسكار - من حيث كونه علةً للتحريم - سبباً ، وذلك للمناسبة بين الإسكار والتحريم . وكذلك لا يُعَدُّ السفر سبباً لجواز الإفطار ، وذلك للمناسبة بين الحكم وبين السفر . ولذلك يعتبر هؤلاء الأصوليون العلة وصفاً مناسباً مؤثراً ، فلها تأثير فى الحكم ، وان كانت قد نصبت أَمَارَةً لحكم الشارع فى الجملة . وفى الحقيقة ان الاختلاف اصطلاحي لفظي ، والحقائق

نى جملتها متحدة . فالذين يعتبرون الحلقة داخلة فى معنى السبب
يقسمون السبب الى قسمين ، سبب غير مناسب للحكم ، وسبب مناسب
للحكم . وبهذا التقسيم تلتقى الحقائق وتجتمع (١)
ومن هذا المنطلق فانه ليس من العسير إدراك العلاقة الوثيقة
المرتبطة بين تحليل الأحكام والنصوص من جهة ، وبين أسباب النسخ والنزول
بوصفها عللاً للأحكام والآيات النازلة فيها من جهة أخرى . بسبب
لعله من المفيد : - فى هذا المقام - ان نورد ما ذكره الامام الشوكانى (٢)
من انشلاق العلماء السبب على الحلقة ، حيث يقول : (وللعلة أسباب
تختلف باختلاف الاصلاحات : فيقال لها السبب ، والأمرارة ،
والداعى ، والمستدعى ، والباعث ، والحامل ، والمناك ، والدليل
والمقتضى ، والموجب ، والمؤثر) (٣)
وان قد ثبت بالدليل ان السبب والحلة صنوان ، فما القول فى
تحليل النصوص والأحكام الشرعية ؟ وبعبارة أخرى : هل تُحلل
النصوص بحلة أو لا ؟

(١) اصول الفقه للامام ابى زهيرة ص ٥٨ / ٥٩
(٢) هو العالم الكبير والمجتهد القدير محمد بن على بن محمد
ابن عبد الله بن الحسن اليمنى الصنعانى المعروف بالشوكانى
ولد سنة ثلاث وستمائة و ألف وحفظ القرآن وبرع فى
التفسير وعلومه ، والحديث وعلومه ، والفقه واصوله ، والعربية
وفنونها ، والحكمة وفروعها . وولى القضاء نحو عشر سنوات ثم
بقى بصنعاء الى ان توفى بها سنة خمس مائة ومائتين والست
(انظر : الفوائد المجموعة بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى اليمانى
ص ١١)

(٣) ارشاد الفحول ص ٢٠٧

والإجابة على هذا السؤال أقول : =

القول في هذا - كما جاء في "فتاوى فتح الرحمن" (١) أن
المذاهب أربعة :

الأول : لا يجوز أن تحلل النصوص بحلة إلا أن قام الدليل
بخصوصه أنها متعلقة .

وبناءً على هذا المذهب لا يحل القول في أسباب النزول إلا
استناداً إلى دليل سمعي واضح قاطع في الدلالة على السبب .
الثاني : تحلل النصوص بكل وصف ، وكل ما هو صالح للحلية
ولا يطلب الدليل على العلة إلا عند تعارض الأوصاف .

ومعنى هذا أن كل ما يقال في أسباب النزول نقيه ولو لم يكن
صريحاً ولا قاطعاً ، إلا إذا تعارض مع ما هو أصح وأقطع فتلغى
الأول ونأخذ بالاقوى .

الثالث : الأصل في النصوص التحليل ، لكن لا بكل وصف ،
بل بالدليل على أن الوصف المعين هو الحلة .

ومعنى هذا أننا لا نطلب لكل نص سبباً يقتضى نزوله . فمن
النصوص ما نزل ابتداءً ، ومنها ما نزل بسبب . وهذا هو المختار .

الرابع : الأصل في الأحكام التحليل ، لكن ينبغي مصرفة
مسلك الحلة (٢) من كون النص معطلاً .

ومعنى هذا أننا لا نطلب الأسباب إلا في آيات الأحكام فقط ،

(١) انظر تفصيل هذه المذاهب في فواتح الرحمن ٢/٢٩٣

(٢) المراد بالمسلك هنا الدليل . ومسالك الحلة هي الطرق التي
تصرف بها الحلة ، ومنها الإجماع والنسب . (انظر مسلك
الثبوت ٢/٢٥٠ - وأصول الفقه للشيخ أبي زهرة ص ٢٤٣)

ومن المعلوم ان النصوص منها ما نزل بسبب ، ولا نقول بالسبب الا
استنادا الى نقل صحيح واضح صريح فى الدلالة على السببية .
والفرق بين المذهب الثالث والمذهب الاول ان المذهب الاول
يجعل الاصل عدم ذكر السبب ، وذكر السبب أمر عارض . أما
المذهب الثالث فيجعل الاصل ذكر السبب ، لكن بالدليل .
وأما المذهب الرابع فيجعل السبب متعلقا بآيات الاحكام .
والمذهب الثانى يأخذ ويقبل أى قول فى بيان السبب ، ففيه تساهل .
وكما سبق فانى أختار المذهب الثالث الذى رجحه جمهور
الاصوليين فيما يتعلق بالتحليل وعدمه . وقد استعرت من كلامهم
ما ذهبت اليه ، فاملا على رجح ما قالوه بموضوع أسباب النزول ،
ولعلنى وفقت فى هذا الاستنباط .
ولهذه فدتوتنا تتضمن أمرين : الأول : الاصل فى البحث
معرفة السبب ان وجد . والأمر الثانى التسليم بان النص - وهو
الافلب - نزل بخير سبب فلا يبحث فيه عن حصر العلة فى سبب النزول
لانه لا سبب له . لكن قد توجد له حلة أو حكمة أو أمانة تدل على
انته معلل بخير سبب النزول ، وقد لا يوجد شىء فى النص من
بيان السبب او الحلة او الحكمة او الامانة .
وهذه نماذج من تحدد الحكمة او الحلة أو الأمانة ، وانها
على مراتب فى التصريح بها أعلاها :
أ / " من اجل " كقوله تعالى : " مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ
بَنِي إِسْرَآءِيلَ " الآية (١)

ب / ثم " اللام " كقوله تعالى : " رَسَلا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ " . الآية (١)
 ثم " إن " كقوله : (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (٢)
 د / ثم " الفاء " كقوله تعالى : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْلَبُوا أَيْدِيَهُمَا) (٣)

وهكذا يتنوع التصريح بالحكمة قوة وضحا ، تصريحاً وتلميحاً ،
 ليحصل الفكر البشرى عمله فى استنباط الاحكام وحكمها أو تلخيصها .
 ولقد استبحر الاصوليون فى بيان ذلك وافاضوا فيه ، فكانت ملاحظاتهم
 من أدق ما وصل اليه العقل البشرى فى الكشف والاستنباط .
 وبعد هذا البيان الموجز نورد بعض الأمثلة على ما نقول مكتفين
 من كل سورة نختارها بآيتين مع ذكر سبب نزولها ، والإشارة إلى
 ما يكون بينهما من الآيات التى نزلت بلا اسباب ، وذلك للدلالة
 على ان هذه الأخيرة هى اكثر ما نزل من القرآن الكريم . ثم نزيد
 الامر ايضاحاً : بإثبات جدول لإحصاء النوصين من الآيات الكرىمات .
 والمعتكف فى هذا الامر هو كتب اسباب النزول . فقد توجد
 اسباب فى كتب التفسير لايات لم يرد ذكرها فى كتب الاسباب المجردة .
 لكن الاختيار هنا هو اخذ اسباب النزول من مدارجها الأصلية .
 ونبدأ بالأمثلة مكتفين منها بستة على النحو التالى :-

(١) . سورة النساء " ٦٥ "

(٢) سورة الانفال " ١ "

(٣) سورة المائدة " ٣٨ "

المثال الاول :

فى سورة البقرة نجد الآية السادسة والحشرين - وهى قوله تعالى : " **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا** " الآية - قد نزلت بسبب . وكذلك الآية الرابعة والاربعين ، وهى قوله تعالى : " **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ** " الآية وبين هاتين الآيتين سبع عشرة آية نزلت بلا اسباب . اما قوله تعالى : " **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي** " . فقد ورد فى سبب نزولها ان الله تعالى لما ضرب مثلين للمنافقين بقوله : " **مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا** " (١) وقوله : " **أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ** " (٢) قال المنافقون : ان الله أطلّى وأجلّ من ان يضرب هذه الامثال

فانزل الله هذه الآية (٣)

واما قوله تعالى (**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ**) فقد نزل فى يهود المدينة . كان الرجل منهم يقول لصهره : ولذوى قرابته ولمن بينهم وبينه رضاع من المسلمين : اثبت على الدين الذى انت عليه وما يامرّك به هذا الرجل - يحنون محمدا صلى الله عليه وسلم - فان أمره حق . فكانوا يأمرّون الناس بذلك ولا يفعلونه . فنزلت هذه الآية (٤)

(١) سورة البقرة " ١٧ "

(٢) سورة البقرة " ١٩ "

(٣) انظر اسباب النزول للواحدي " ١٢ "

(٤) انظر لباب النقول " ١٠ ، ١١ "

المثال الثانى :

ومما نزل بسبب فى سورة آل عمران الآيتان الحادية والثلاثون
والثامنة والخمسون ، وهما قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾
﴿ فَاتَّبِعُونِي ۖ ۝١٠٠ ۝١٠١ ﴾ الآية ، وقوله ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾
.. وبينهما سبع وعشرون آية نزلت بلا اسباب (١)

وقد ورد فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾
اللَّهُ " أَنْ أَقْوَامًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَعُوا أَنَّهُمْ
يُحِبُّونَ اللَّهَ ، فقالوا : يا محمد انا نحب ربنا ، فأنزل الله :
(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ۖ ۝١٠٠ ۝١٠١) الآية (٢)
وجاء فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاحِبًا نَجْرَانِ
فَقَالَ أَحَدُهُمَا : مَنْ أَبُو عِيسَى ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَمْجَلُ حَتَّى يُؤْمَرَ بِهِ (٣) فنزل عليه : ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ
عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾
الى " مِنَ الْمُفْتَرِينَ " (٤)

(١) لباب النقول " ٣٨ " طبعة سلسلة " كتاب التحرير " بمصر

(٢) اسباب النزول للواحدى " ٥٧ "

(٣) اى يطلب ويرجو أمّ ربه .

(٤) لباب النقول " ٣٨ "

المثال الثالث :

وفى سورة النساء الآيتان الرابعة والعشرون والثانية والثلاثون
رهما قوله تعالى : "وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ .." وقوله تعالى :
"وَلَا تَتَّبِعُوا مَا أَفَضَلَ اللَّهُ بِهِ يَخْضَعُكُمْ عَلَى بَعْضٍ" وقد نزلت كلاهما بسبب
وبينهما ثمان آيات نزلت بلا أسباب (١)

فاما قوله : (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ) فإنه لما سبى رسول الله صلى
الله عليه وسلم أهل أوطاس فقال بعض المسلمين : يا نبي الله ، كيف
نقع على نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن ؟ انزل الله تعالى هذه
الاية " والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايما نكم " الاية (٢)
واما قوله [وَلَا تَتَّبِعُوا مَا أَفَضَلَ اللَّهُ بِهِ يَخْضَعُكُمْ عَلَى بَعْضٍ] فقد نزل
لما قالت السيدة **أُمِّ سَلَمَةَ** : يا رسول الله تخزوا الرجال ولا تخزوا ؟
وانما لنا نصف الميراث . (٣)

المثال الرابع :

وفى سورة هود. نجد ما نزل بسبب الآيتان : الثامنة والرابعة
عشرة بعد المائة وهما قوله تعالى : " وَلَقَدْ أَخْرَنَّا عَنْهُمُ الصَّعَابَ
إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ .. " الاية . وقوله : " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفًا "

(١) لباب النقول " ٥٠ "

(٢) اسباب النزول للواحدى " ٨٥ "

(٣) المصدر نفسه .

مِّنَ اللَّيْلِ . . . وبينهما مائة آية وست آيات نزلت بلا أسباب . (١)
ولقد ورد فى سبب نزول قوله " وَلَقَدْ أَخْرَنَّا عَنْهُمُ الذَّابَّ " انه
لما نزل قول الله تعالى : " اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ
مُّعْرِضُونَ " (٢) قال ناس : ان الساعة قد اقتربت فتناهؤا . فتناهى
القوم قليلا ثم عادوا الى مكرهم مكر السوء ، فانزل الله : " وَلَقَدْ
أَخْرَنَّا عَنْهُمْ الذَّابَّ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لِّيَقُولُوا مَا يَحِبُّهُمْ " (٣)
كما جاء فى سبب نزول قوله : " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ " .
ان رجلا اصاب من امرأة قبلة فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك
له فأنزل الله تعالى : هذه الآية : " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفَا :
مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ " (٤)
المثال الخامس :

وفى سورة الجبر الايتان الرابعة والحشرون والخامسة والاربعون
وهما قوله تعالى " وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ "

(١) لباب النقول " ١٠٣ "

(٢) سورة الانبياء " ١٠٣ "

(٣) لباب النقول " ١٠٣ "

(٤) اسباب النزول للواحدى " ١٥٣ "

وقوله " إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ " وبينهما إحدى ومثرون آية
نزلت بلا أسباب (١)

وسبب نزول قوله تعالى " وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّقِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّاعِينَ " ان امرأة حسنا كانت تصلي خلف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول
لئلا يراها ، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر ، فاذا
ركع نظر من تحت إبطيه ، فنزلت . (٢)

وأما قوله تعالى : " إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ " فقد نزل لما
سمع سلمان الفارسي قوله تعالى : " وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ " (٣)
ففرحاً ركباً من الخوف فجىء به للنبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله ،
فقال : يا رسول الله ، أنزلت هذه الآية " وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ "
فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي . (٤)

المثال السادس :

وفي سورة الإسراء نجد الآيتين : التاسعة والعشرين والخامسة
والاربعين وهما قوله تعالى : " وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ
وَلَا تَبْسُطْ يَدَكَ الْبَاطِلَ فَتَقْدِرَ مَلُومًا مَّحْسُورًا " وقوله : " وَإِذَا قَرَأْتَ "

(١) لباب النقول "١٠٥"

(٢) المصدر نفسه .

(٣) سورة الحجر "٤٢"

(٤) لباب النقول "١٠٥"

هذه القصة غير صحيحة .
والمراد التمتع والتأخر في الطلوع والوقوف
في الصف الأول

الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا .

وبينهما ست عشرة آية نزلت بلا أسباب (٢)

وقد جاء في سبب نزول قوله : " وَلَا تَجْمَلُ يَدَكَ مَغْلُولَةً . . . "

أَن فُلَاحِمًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنْ أُمِّي تَسَأَلُكَ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ الْيَوْمَ . قَالَ : فَتَقُولُ لَكَ : اكْسِنِي قَمِيصَكَ ، فَطَلَعَ قَمِيصَهُ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ، فَجَلَسَ فِي الْبَيْتِ حَاسِرًا ، فَأَنْزَلَ

اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ (٣)

وجاء في سبب نزول قوله تعالى : " وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا

بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا " - أنه كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلى القرآن على مشركي قريش

ودعاهم إلى الكتاب قالوا يهزءون به : قلوبنا في أكنة (٣) مما

تدعوننا إليه وفي آذاننا وقر (٤) ومن بيننا وبينك حجاب ، فأنزل

الله : " وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ . . . " (٥)

(١) المصدر السابق " ١٠٩ " « لباب التفسير »

(٢) أسباب النزول للواحدي (١٦٥)

(٤) الأكنة: الأفيال

(٥) التوقرسفتح الواو - الثقل والمراد هنا الصمم .

(انظر مختار الصحاح (٥٨٠ و ٧٣٢)

وهكذا تجرّز في هذه الامثلة حقيقة زيادة الآيات : النازلة بلا اسباب . ولتأكيد هذه الحقيقة نثبت فيما يلي جدولا مفصلا لبيان الآيات النازلة ابتداءً من اسباب ، والآيات التي نزلت بأسباب والمصتمد في هذا الإحصاء هو كتاب لباب النقول في اسباب النزول ، المطبوع في القاهرة ضمن سلسلة كتاب التحرير تحت عنوان * اسباب النزول *.

وتبرز أهمية هذه الطبعة في كونها صُنيتْ بذكر أرقام الآيات ، مما ساعد على الإحصاء . لذلك كانت هذه الطبعة مصدراً ذات قيمة بحد المصحف الشريف .
وما هو الجدول :-

آياتها	ما نزل بسبب	ما نزل بلا سبب	السورة
٧	-	٧	١- الفاتحة
٢٨٦	٨٧	١٩٩	٢- البقرة
٢٠٠	٨٩	١١١	٣- آل عمران
١٧٦	٨١	٩٥	٤- النساء
١٢٠	٣٧	٨٣	٥- المائدة
١٦٥	٢٢	١٤٣	٦- الانعام
٢٠٦	٧	١٩٩	٧- الاعراف
٧٥	٢١	٥٤	٨- الانفال
١٢٦	٣٣	٩٣	٩- التوبة
١٠٩	١	١٠٨	١٠- يونس
١٢٣	٣	١٢٠	١١- هود

السورة	آياتها	ما نزل بسبب	ما نزل بهلا سبب
١٢ - يوسف	١١١	٢	١٠٩
١٣ - الرعد	٤٥	٨	٣٧
١٤ - ابراهيم	٥٢	١	٥١
١٥ - الحجر	٩٩	٦	٩٣
١٦ - النحل	١٢٨	١٤	١١٤
١٧ - الاسراء	١١١	١٩	٩٢
١٨ - الكهف	٠٠٠	٦	١٠٥
١٩ - مريم	٩٩	٣	٩٦
٢٠ - طه	١٣٥	٥	١٣٠
٢١ - الانبياء	١١٢	٥	١٠٧
٢٢ - الحج	٧٨	١٢	٦٦
٢٣ - المؤمنون	١١٩	٦	١١٣
٢٤ - النور	٦٤	٣٢	٣٢
٢٥ - الفرقان	٧٧	٩	٦٨
٢٦ - الشعراء	٢٢٧	٩	٢١٨
٢٧ - النمل	٩٣	-	٩٣
٢٨ - القصص	٨٨	٦	٨٢
٢٩ - المتكفرون	٦٩	٧	٦٢
٣٠ - الروم	٦٠	٧	٥٣
٣١ - لقمان	٣٤	٣	٣١
٣٢ - السجدة	٣٠	٥	٢٥
٣٣ - الاحزاب	٧٣	٢١	٥٢
٣٤ - سبا	٥٤	٢	٥٢
٣٥ - فاطر	٤٥	٤	٤١
٣٦ - يونس	٨٣	١٨	٦٥
٣٧ - الصافات	١٨٢	٨	١٧٤
٣٨ - هود	٨٨	٨	٨٠
٣٩ - الزمر	٧٥	١٢	٦٣

السورة	آياتها	ما نزل بسبب	ما نزل بلا سبب
٤٠- غافر	٨٥	٤	٨١
٤١- فصلت	٥٤	٣	٥١
٤٢- الشورى	٥٣	٦	٤٧
٤٣- الزخرف	٨٩	٦	٨٣
٤٤- الدخان	٥٩	١٤	٤٥
٤٥- الجاثية	٣٧	٢	٣٥
٤٦- الاحقاف	٣٥	٨	٢٧
٤٧- محمد	٣٨	٦	٣٢
٤٨- الفتح	٢٩	٦	٢٣
٤٩- الحجرات	١٨	١٣	٥
٥٠- ق	٤٥	٣	٤٢
٥١- الذاريات	٦٠	٣	٥٧
٥٢- الطور	٤٩	١	٤٨
٥٣- النجم	٦٢	١٢	٥٠
٥٤- القمر	٥٥	٦	٤٩
٥٥- الرحمن	٧٨	١	٧٧
٥٦- الواقعة	٩٦	٢٤	٧٢
٥٧- الحديد	٢٩	٣	٢٦
٥٨- المجادلة	٢٢	٩	١٣
٥٩- الحشر	٢٤	٤	٢٠
٦٠- المتحفة	١٣	٥	٨
٦١- الصف	١٤	٤	١٠
٦٢- الجمعة	١١	١	١٤
٦٣- المنافقون	١١	٣	٨
٦٤- التباين	١٨	٥	١٣
٦٥- الطلاق	١٢	٣	٩
٦٦- التحريم	١٢	٣	٩
٦٧- الملك	٣٠	١	٢٩

السورة	آياتها	ما نزل بسبب	ما نزل بملا سبب
٦٨- القلم	٥٢	٧	٤٥
٦٩- الحاقة	٥٢	١	٥١
٧٠- المعارج	٤٤	٢	٤٢
٧١- نوح	٢٨	-	٢٨
٧٢- الجن	٢٨	٥	٢٣
٧٣- المزمل	٢٠	٢	١٨
٧٤- المدثر	٥٦	٢٩	٢٧
٧٥- القيامة	٤٠	٦	٣٤
٧٦- الانسان	٣١	٣	٢٨
٧٧- المرسلات	٥٠	١	٤٩
٧٨- النبأ	٤٠	٢	٣٨
٧٩- النازعات	٤٦	٨	٣٨
٨٠- ص	٤٢	١٢	٣٠
٨١- التكويم	٢٩	٢	٢٧
٨٢- الانفطار	١٩	١	١٨
٨٣- المطففين	٣٦	١	٣٥
٨٤- الانشقاق	٢٥	-	٢٥
٨٥- البرق	٢٢	-	٢٢
٨٦- الطارق	١٧	٤	١٤
٨٧- الأعلى	١٩	١	١٨
٨٨- الناشية	٢٦	١	٢٥
٨٩- الفجر	٣٠	١	٢٩
٩٠- ي البلد	٢٠	-	٢٠
٩١- الشمس	١٥	-	٠٥
٩٢- الليل	٢١	٢١	-
٩٣- الضحى	١١	٥	٦
٩٤- الشرح	٨	١	٧

السورة	آياتها	ما نزل بسبب	ما نزل بلا سبب
٩٥- التين	٨	١	٧
٩٦- الحلق	١٩	١٤	٥
٩٧- القدر	٥	٣	٢
٩٨- البينة	٨	-	٨
٩٩- الزلزلة	٨	٢	٦
١٠٠- الحاديات	١١	١١	-
١٠١- القارعة	٢٠	-	١١
١٠٢- التكاثر	٨	٨	-
١٠٣- العصر	٣	-	٣
١٠٤- البقرة	٩	٩	-
١٠٥- الفيل	٥	-	٥
١٠٦- قريش	٤	٤	-
١٠٧- الماعين	٧	٧	-
١٠٨- الكوثر	٣	٣	-
١٠٩- الكافرون	٦	٦	-
١١٠- النصر	٣	٣	-
١١١- المسد	٥	٥	-
١١٢- الاخلاص	٤	٤	-
١١٣- الفلق	٥	٥	-
١١٤- الناس	٦	٦	-

قلت : ويمكن الخروج من هذا الجدول بنجمة أقسام لسور

للقران الكريم على النحو التالي :

أ/ هنالك من السور ما استوت فيه الآيات النازلة ابتداءً والآيات

النازلة بأسباب وهذا القسم تمثله سورة واحدة وهي سورة النور .

ب/ ومنها ما نزلت جميع آياته بلا اسباب ، وتلك إحدى عشرة
سورة وهي : النمل ، ونوح ، والانشقاق ، والبرق ، والبلد ،
والشمس ، والبينة ، والقارعة ، والحصر ، والهمزة ، والفيل .
ج/ ومنها ما نزلت جميع آياته بأسباب ، ومجموعه اثنتا عشرة
سورة وهي : الليل ، والحاديث ، والتكاثر ، وقريش ، والماعون ،
والكوثر ، والكافرون ، والنصر ، والمسد ، والاخلاص ، والفلق ،
والناس .

د / ومنها ما كانت آياته النازلة بأسباب أكثر من النازلة ابتداءً
ومجموعه ثلاثون سورة وهي المدثر ، والعلق ، والقدر .
وجملة هذه الأقسام الأربعة المتقدمة تبلغ سبعاً وعشرين سورة
هـ/ ومنها ما كانت آياته النازلة ابتداءً بلا أسباب أكثر من التي
نزلت بأسباب . وهذا القسم يمثل ما بقى من سور القرآن الكريم
وعدها سبع وثمانون سورة ، وهو الذي يثبت أن معظم القرآن الكريم
نزل ابتداءً بلا أسباب .

هذا وقد ترد في بعض كتب التفسير أسباب لم توجد فسمى
كتب أسباب النزول . فيرأى لم أعول عليها ، لأن أخذ الشيء من
مصدره أولى ، ولأن أسباب النزول لا يقال فيها إلا بعد ثبوت النقل
الصحيح ، وقد يتساهل بعض المفسرين فينقل بعضهم من بعض
بلا روية ولا تحقق . وانى ارى انه لا مانع من ثبوت اسباب بالطريق
الصحيح لم تذكر في كتب اسباب النزول ، حيث لم يدع اصحابها
الاستقراء التام . وعلى كل فمضى ثبت السبب سنداً ومتناً قلنا به .
والله يهدينا سواء السبيل .

المبحث الثاني :

معرفة حكمة التشريع

تدورقنا في المبحث الاول من هذا الفصل الى مسألة تحليل النصوص ، وناقشناها على النحو الذي تقدم في موضعه هنالك ، بعد ان عرضنا أقوال العلماء في تعريف الحلة وبيننا تقارب آرائهم في ذلك (١) وخلصنا الى اختيار التعريف ا لجامع لتلك المعاني وهو ان الحلة هي " الحكمة الباعثة على تشريع الحكم ، وهي مصلحة يَحْتَلَبُ به جَلْبِهَا او تَكْمِيلُهَا ، ومفسدة يَحْتَلَبُ دَرْؤُهَا أو تَقْلِيلُهَا " (٢) ولعلنا من تمام هذا الفصل ان نتحدث في المبحث الثاني منه عن .حكمة التشريع ، بعد الكلام عن تحليل النصوص وذلك للعلاقة الوثيقة بينهما كما لا يخفى فنقول :

حكمة التشريع :

من الثابت المؤكد أن إدراك الحكمة الباعثة على التشريع يعتبر من أهم فوائد معرفة أسباب النزول . وذلك امر لا تقتصر جدواه على المؤمنين فحسب ، بل الشأن فيه أن يجلب الفائدة والمصلحة لكل من يُعْمِنُ النذار ويَحْمِلُ الفكر .

فاللؤمن قد تعتريه بعض الصوامل والمؤثرات التي تضعف مسن إيمانه وتجعله عرضة للشكوك والأوهام والهواجس ، ومن ثم يجسد نفسه قد غرطت تفريدا مخلّا بواجباته الدينية . كل ذلك ممكن حدوثه في غياب معرفة الحكمة الباعثة على التشريع .

(١) انظر ص ٧٨ وما بعدها (من هذا المبحث

(٢) اصول الفقه للحضري ص "٢٩٨"

لكن الامر يختلف تماما عندما يكون المؤمن مدركا لحكمة التشريع .
فهو حينئذ يجد السلاح الواقى له من كل ما من شأنه ان يزعزع
المقيدة ، ويدعو إلى التواشى والتكاسل عن القيام بالواجبات
الدينية . وبذلك يستطيع أن يثبت من إيمانه ، ويؤمن إلى صحة
مقيدته ، وينطلق فى طريق الايمان بخطى ثابتة ، منفذا أحكام
الله بقناعة تامة دون تردد أو تكاسل .

مع ان المفروض فى المؤمن - فى حالة عدم إدراكه للحكمة -
ان يسلم بوجود حكمة قد غفيت عليه . فالايان جزاء نافع يلهم الانسان
احيانا مصرفة الحكمة واحيانا يلهمه الثقة فى وجود الحكمة ، وان
غفيت عليه ، فلعلها تذكشف لغيره .

اما الكافرا اذا استطاع ان يتجرد من أهوائه ، وينظر إلى
دلائل الايمان نظرة مجردة - فانه لا محالة واجد فى حكمة التشريع
ما يقوده إلى الايمان بالله ، وذلك عندما يدرك ، من خلال
التشريع أن الدين قائم على العدل ورعاية المصالح بين الناس
ورفع الظلم والبغى منهم ، وتهذيب الفرد والمجتمع (١)
ومسألة التدشج فى تحريم الخمر هى خير شاهد على الحكمة
الإلهية البالغة فى هذا التشريع الحكيم .

فقد ورد فى سبب نزول آيات تحريم الخمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم (قدم المدينة والناس يشربون الخمر ويأكلون الميسر
فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فانزل الله " يَسْأَلُونَكَ

(١) انظر : مناهل العرفان " ١٠٢ / ١ "

عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ (١) فقال
الناس : ما حرم علينا ، إنما قال : إثم كبير . وكانوا يشربون
الخمير حتى كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين ، أم أصحابه
سوى المشرب فخلط في قراءته ، فأنزل الله : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ " الآية (٢) ثم
نزلت آية أظلم من ذلك : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ " إلى قوله
" فَهَلْ كُنتُمْ مُنْتَهِينَ " (٣) قالوا : انتهينا ربنا . . . (٤)
واخرج الواحدى بسنده (عن عمر بن الخطاب قال : اللهم
بين لنا في الخمير بيانا شافيا ، فنزلت الآية التي في البقرة :
" يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ " فدعى عمر فقرئت عليه ، فقال : اللهم
بين لنا في الخمير بيانا شافيا ، فنزلت الآية التي في النساء :
" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى " - فكان منادى
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام الصلاة ينادى : لا يقربن
الصلاة سكران . فدعى عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في
الخمير بيانا شافيا ، فنزلت هذه الآية : " إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ فَدَعَى
عمر فقرئت عليه فلما بلغ " فَهَلْ كُنتُمْ مُنْتَهِينَ " قال عمر : انتهينا . . . (٥)

(١) سورة البقرة " ٢١٩ "

(٢) سورة النساء " ٤٣ "

(٣) سورة المائدة " ٩٠ ، ٩١ "

(٤) لباب النقول ص " ٧٧ "

(٥) أسباب النزول للواحدى ص (١١٨)

قلت : فهذا التدرج كان لحكمة عظيمة يعلمها الله تعالى .
فلو ان التشريع نزل من اول وهلة بتحريم الخمر دفعة واحدة لَشَقَّ
أمره على بعض الناس ، ولما استجابوا لأمر ربهم ، ولخسروا بذلك
نفسانا مبينا .

على أن بعضهم أدرك مساوئ الخمر وما تجر اليه من إْحْسَن
فادحة فكانت نفسه تتشوق الى التحريم القاطع كما فعل عمر .
ولكن الله تعالى - وهو العليم بأحوال عباده - شرع لهم ما
فيه مصلحتهم ، فتدرج بهم في تحريم الخمر حتى اذا ما تهيبات
نفوسهم للاقلاع منها ، أنزل عليهم التحريم القاطع ، فتقبلوه طائعين
مذعنين .

الشرائع الالهية وضعت لمصلحة العباد :

وكون الشرائع الالهية وضعت لمصلحة العباد أمر ثابت بالادلة
الحقلية والنقلية . ويكفينا هنا ان نشير الى ذلك في إيجاز
بالمور التالية : فمن رحمة الله تعالى بعباده :-
أ / انه أرسل رسلاً أبانوا لهم حقائق الدين ، وأمرهم بإنذار
المعاندين وتبشير المؤمنين . وذلك ليصرف كل إنسان طريق
الخير وما يُقْضَى إليه من المثوبة الحسنة ، فيحرص عليه ، وينأى بنفسه
عن مسالك التهلكة المفضية الى سوء المصير .

وفي ذلك يقول الله تعالى : (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا
يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ مَزِيدًا حَكِيمًا) (١)

ب/ وأنه تعالى أرسل رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم رحمة
 للعالمين . والتعبير بالرحمة لا يفاد رصفة ولا كبيرة من المصالح
 إلا أحصاها . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١)
 ج/ وأنه تعالى وصف نفسه بالرحمة والرفقة واللطف بعباده .
 وهذه الصفات الثلاث تقتضى وجود المصلحة فى أطنى مراتبها
 قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) وقال تعالى :
 " اللَّهُ لَدِيلٌ بِعِبَادِهِ " (٣)
 د / وأنه تعالى نفى من نفسه الظلم . ونفى الظلم يقتضى إثبات
 العدل . ومن قول بالعدل فتقد حيزت له المصالح أجمعين .

الحكمة تتجلى فى مقاصد الشريعة

وما دنا بصدد الحديث عن حكمة التشريع فلا مناص من الإشارة
 الى بيان مقاصد الشارع الحكيم فى وضع الشريعة حيث ان الحكمة
 تتجلى واضحة من خلال عرض هذه المقاصد .
 ومن المعلوم ان مقاصد الشرع لا تعدو ثلاثة أقسام : ضرورة
 وعاجية ، وكمالية .

(١) سورة الأنبياء " ١٠٧ "

(٢) سورة البقرة " ١٤٣ "

(٣) سورة الشورى (١٩)

أ) فالضرورة هي مَا لَدَّ مِنْهَا فِي قِيَامِ مَصَالِحِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا ، بحيث إذا فَقَدَتْ لَمْ تَجْرِ مَصَالِحُ الدُّنْيَا عَلَى اسْتِقَامَةٍ ، بَلْ تَفُوتَ الْحَيَاةُ بِفُوتِهَا ، وَيَفُوتُ فِي الْأَمْرِ الْفَوْزُ بِرِضَا اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَهُوَ الْخَصِيمُ السَّرْمَدِيُّ الَّذِي لَا يَزُولُ : وَحِفْظُ الضَّرُورِيَّاتِ بِمَا يَقِيمُ أَرْكَانَهَا وَذَلِكَ مِرَاعَاتُهَا مِنْ جَانِبِ الْوُجُودِ . وَمَا يَدْرَأُ مِنْهَا الْإِخْطِلَالُ الْوَاقِعُ أَوِ الْمَتَوَقَّعُ ، وَذَلِكَ مِرَاعَاتُهَا مِنْ جَانِبِ الْعَدَمِ .

(فَأَصُولُ الْعِبَادَاتِ رَاجِعَةٌ إِلَى حِفْظِ الدِّينِ مِنْ جَانِبِ الْوُجُودِ كَالْإِيمَانِ ، وَالنُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وَالصَّيَامِ ، وَالْحَجِّ . وَالْعَادَاتُ رَاجِعَةٌ إِلَى حِفْظِ النَّفْسِ وَالْحَقْلِ مِنْ جَانِبِ الْوُجُودِ كَتَنَاوُلِ الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ وَالْمَبْلُوسَاتِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَالْمَعَامِلَاتُ رَاجِعَةٌ إِلَى حِفْظِ النَّسْلِ وَالْمَالِ مِنْ جَانِبِ الْوُجُودِ ، وَإِلَى حِفْظِ النَّفْسِ وَالْحَقْلِ أَيْضًا ، لَكِنْ بِوَسِيلَةِ الْحَادِثِ : وَالْمُرَادُ بِالْمَعَامِلَاتِ مَا كَانَ رَاجِعًا إِلَى مَصْلَحَةِ الْإِنْسَانِ مَعَ غَيْرِهِ كَانْتِقَالَ الْأَمْلاكِ بَحْيُونٍ وَبَغَيْرِ رِيَّوْنٍ : وَالْجَنَائِيَّاتُ تَرْجِعُ إِلَى حِفْظِ الْجَمِيعِ مِنْ جَانِبِ الْعَدَمِ . وَالْمُرَادُ بِالْجَنَائِيَّاتِ مَا كَانَ عَائِدًا عَلَى مَا تَقْدُمُ بِالْإِبْطَالِ : فَشَرَعَ فِيهَا مَا يَدْرَأُ ذَلِكَ الْإِبْطَالَ وَيَتَلَاثَى تِلْكَ كَالْقَصَاصِ وَالذَّرِيكَاتِ وَالْحُدُودِ ، وَتَضْمِينِ قِيَمِ الْأَمْوَالِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ :)

(وَمَجْمُوعُ الضَّرُورِيَّاتِ خَمْسَةٌ : وَهِيَ حِفْظُ الدِّينِ وَالنَّفْسِ ،

وَالنَّسْلِ ، وَالْمَالِ ، وَالْحَقْلِ .

ب/ (وَأَمَّا الْحَاجِيَّاتُ فَهِيَ الَّتِي يُفْتَقَرُ إِلَيْهَا مِنْ حَيْثُ التَّوَسُّعُ

وَرَفْعُ التَّضْيِيقِ الْمُؤَدَّى فِي الْخَالِبِ إِلَى الْحَرَجِ وَالْمَشَقَّةِ الْآخِيقَةِ

بِفُوتِ الْمَدْلُوبِ . فَإِذَا لَمْ تَرَأَ دَخَلَ عَلَى الْمَكْلُوفِينَ - عَلَى الْجُمْلَةِ -

الحرج والمشقة ، لكنه لا يبلغ الفساد العام . وهي جارية ففى
 العبادات والعادات والمعاملات والجنايات . ففى العبادات كالرخص
 المصغفة بالنسبة الى حقوق المشقة بالمرض والسفر . وفى العادات
 كإباحة الصيد والتمتع بالطيبات . وفى المعاملات كالقراض والمساواة (١)
 والسلم (٢) وفى الجنايات كضرب الذميمة على العاقلة ، وتضمن
 الضائع وما أشبه ذلك .

جـ / (وأما الكماليات فمعناها محاسن العادات . ويجمع ذلك
 قسم مكارم الأخلاق . وهي تجرى فيما جرى فيه الأوليان : ففى
 العبادات كالطهارات ، وأخذ الزينة ، والتقرب بالنوافل . وفى
 العادات كأداب الأكل والشرب ، وتجنب الإسراف والاقتصا ،
 وفى المعاملات كالمنع من بيع النجاسات ، وفضل الماء والكفا . وفى
 الجنايات كمنع قتل النساء والصبيان والرهبان فى الجهاد .
 فهذه الأمور راجعة الى محاسن زائدة على أصل المصالح الضرورية
 والحاجية ، إذ ليس فقدائها بمخلل بأمر ضرورى ولا حاجى ، وإنما
 جرت مجرى التحسين والتزيين (أ هـ (٣)

(١) المساواة هي دفع الشجر لمن يقوم بسقيه ويتعهده حتى يبلغ
 تمام نضجه نظير جزء مملوك من ثمره . (فقه السنة لسيد سابق
 ٣٤٣/٤)

(٢) السلم هو بيع شئ موصوف فى الذمة بثمن معجل (فقه السنة
 لسيد سابق ١٢١/٤) .

(٣) أصول الفقه للخضرى ص ٣٠٠

أقول : وبعد هذا البيان الإضافي يحسن أن نضرب أمثلة من الكتاب الكريم للوقوف على طُرُق من حكمة التشريع . ولتكن هذه النماذج في نطاق الضروريات الخمسة ، وهي حفظ الدين ، والنفس والنسل ، والمال ، والعقل ، على النحو التالي :-
أولاً : حِفْظ الدين .

ان حكمة التشريع تبدو واضحة في الآيات التي تدعو إلى حفظ الدين من حيث الإيمان بالله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والصوم والحج . وهذه هي أركان الاسلام الخمسة ، فلنتناول كل ركن منها على حدة :
الركن الأول : الإيمان .

في مجال العقيدة نجد القرآن الكريم يدعو إلى الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب . وهو لا يقف عند مجرد الدعوة إلى الإيمان ، بل يربطه بنتائج اللازمة في أسلوب جزل يأخذ القلوب بتأثيره القوي ، حيث يعرض جوانب من مشاهد القيامة ، يبرز فيها أحوال المؤمنين والكافرين في الدار الآخرة . ولا مجال هنا لإحصاء الآيات التي تتحدث عن هذا الأمر ، لانه ما من سورة تخلو من الحديث عنه ، بيد أن المقام يقتضي عرض بعض النماذج . ونكتفي منها بالمثالين الآتين :-

أ / فمن ذلك قول الله تعالى : (ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَدُّوا) (١)

(١) سورة نافر ، ١٠ .

وهو خطاب للكافرين في الدار الآخرة ، وقد ورد في سياق آيات من القرآن الكريم تذكّرهم بما كانوا عليه في الدنيا من نذهم الإيمان بالله ، وتبيين ما يترتب على ذلك يوم القيامة من سوء العقاب الذي يجعلهم يمقتون انفسهم ويتمنون على الله ان يخرجهم من النار بعد اعترافهم بذنوبهم .

وحكمة التشريع ظاهرة هنا ، فان الله شرع الإيمان للناس ليدروا من انفسهم هذا المصير السيئ ، ولو أنهم فعلوا ما أمرهم به الله لجلبوا لانفسهم المصلحة التي شرع الإيمان من اجلها .

قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادونَ لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ . قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخَيَّتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ . ذَلِكَمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَاْلْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ " ١ .

فتأمل كيف قلل الاحكام التي أصدرها ، سواء كانت من جهة الاخبار بها ام كانت من جهة انشائها . فقد اخبر سبحانه ان الكافرين ينادون " لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ " وهذا الحكم حيثيته مما افصح عنه " ان " التعليلية في قوله " إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ " وهذا هو السبب في مقت الله لهم . ثم حكى عنهم قولهم " رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخَيَّتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ " والجواب : لا . فكانت قال : الحكم عليكم أنه لا سبيل لكم للخروج من النار ، والسبب ما كنتم عليه في الدنيا ، ذلكم بانه اذا دُعِيَ الله وحده كفرتم .

ب/ ولعل من أروع حِكَم التشريع في هذا المجال ما ورد بسبب نزول قوله تعالى : " آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكَتَبَهُ وَرَسُولُهُ " الآية (١) فقد ورد فيه أنه (لما نزلت " وَإِنْ تَبَدُّوا مَا نَسِيَ آفُسُكُمْ أَوْ تُخَفُّوا بِحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ ") (٢) اشتد ذلك على الصحابة ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جثوا على الركب ، فقالوا : قد انزل عليك هذه الآية ، ولا نطيقها فقال : أتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا : سمعنا واطعنا فقرائك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وجرت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها : آمَنَ الرَّسُولُ الآية . فلما فعلوا ذلك نسخها الله ، فانزل : " لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا " (٣) الى آخرها (٤)

ففي الآية الاولى اختبار مسير للمسلمين ، ولكنهم شصروا بشقل . التبعة فشكوا أمرهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، فيرانه استنكر منهم ذلك وأمرهم بالسمع والطاعة . وهنا نلاحظ الحكمة والوضحة ، فان طاعتهم لله تجلب عليهم المصلحة في الدنيا والآخرة ، فما إن أذعنوا لأمر الله تعالى وقالوا كما علمهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى نزل القرآن يمتدحهم ويشيد بإيمانهم ثم اتبع ذلك بالتخفيف عنهم فنزلت الآية الأخيرة لترفع عنهم لم يطيقوه أول مرة .

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ [٢] سورة البقرة : ٢٨٤ - (٣) البقرة ٢٨٦
(٤) اسباب النزول للواحدى (٥) =
ولباب المقول ٢٦

الركن الثاني : الصلاة .

الحكمة من مشروعية الصلاة واضحة جليلة ، ولا يحتاج بيانها الى كبير عنا . فهي صلة بين العبد وربه ، وأعظمُ بذلك من حكمة كما انها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتكون سبباً في عفو الله عن المسيئين .

قال تعالى : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ...) (١)

وقال جل شأنه : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ الْكَثِيرَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) (٢)

وقد اخرج الواحدى فى سبب نزول هذه الاية بسنده

(عن معاذ بن جبل رضى الله عنه انه كان قاعدا عند النبى صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فقال : يا رسول الله ، ما تقول فى رجل اصاب من امرأة لا تحل له ، فلم يدع شيئا يصيبه الرجل من امراته الا قد اصابه منها ، الا أنه لم يجامعها ؟ فقال توضأ وضوءاً حسناً ثم قم فصل . قال : فأنزل الله تعالى هذه الاية : " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ " الى آخرها .

(١) سورة العنكبوت " ٤٥ " .

(٢) سورة هود " ١١٤ " .

→ فقال مصاد بن جبل : أهريق له أم للمسلمين عامة ؟ فقال : بل هي للمسلمين عامة (أ هـ (١)

وقال السيوطي في سبب نزولها أيضا :-

(روى الشيخان (٢) عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قيلة ، فأنتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فأُنزل الله " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلَّذِينَ كَرِهُوا " فقال الرجل ألي هذه ؟ قال : لجميع أمتي كلهم (٣)
وقال أيضا ما نصه :

(اخبر الترمذي (٤) وفيه من أبي اليسر (٥) قال :
اغتنى امرأة تبتاع تمرًا ، فقلت ، إن في البيت أطيب منه فدخلت
معى البيت ، فأهويت إليها فقبلتها ، فأنتى رسول الله صلى الله

- (١) اسباب النزول للواحدى " ١٥٤ "
- (٢) انظر صحيح البخارى " ٦٤ / ٦ " كتاب التفسير ، سورة هود .
- (٣) لباب النقول ص " ١٠٣ "
- (٤) انظر جامع الترمذى بشرح تحفة الاخوذى ١٢٨ / ٤
- (٥) هو ابو اليسر - بفتحتين - كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو الانصارى السلمى - بفتحتين - شهد العقبة وبدرًا والمشاهد وكان آخر من مات من اهل بدر وكانت وفاته بالمدينة سنة خمس وخمسين من الهجرة (الاصابة ٢٢١ / ٤)

عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فقال : **أَخْلَقْتَ غَايِبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا ؟ وَأَطْرَقَ طَوِيلًا حَتَّى أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : " وَأَقْبِبِ الصَّلَاةَ طَرَفَيَّ النَّهَارِ إِلَى قَوْلِهِ : " لِلذَّاكِرِينَ " (١) (٢)**

قلت : يبدو وجلياً مما تقدم أن في مشروعية الصلاة مصلحة كبيرة ، تتمثل في اكتساب القرب من الله تعالى ، وتطهير النفوس باجتناؤها الفحشاء والمنكر ، ومحاول ذنوب والآثام من صحائف المؤمنين . ولا فرواً أن هذا كله مؤداة إلى النعيم المقيم في الدار الآخرة .

هذا ولما كان الوضوء والتيمم من لوازم الصلاة فقد شرعها الله تعالى لحكمة بينها القرآن الكريم ، وهي أن الله تعالى يريد أن يطهر عباده ويزكيهم ويتم نعمته عليهم ، وذلك دفعالما يتوهم من قصد الحرج والمشقة في هذه العبادة التي يسرها الله على عباده

قال تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسَ نِسَاءً فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرٍّ وَلَكِنْ يَرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (٣)**

(١) سورة هود ١١٤

(٢) ليلت النقول ص ١٠٣

(٣) المائدة : ٦

وقد اخرج السيوطى فى سبب نزول هذه الآية ما نصه :

[روى البخارى (١) طريق عمرو بن الحارث عن عبد الرحمن

ابن القاسم عن ابيه عن عائشة قالت : سقطت قلادة لى بالبيداء ونحن

داخلون المدينة ، فأتناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل فثنى

رأسه فى حجرى راقداً ، وأقبل أبو بكر فلكزنى لكزة شديدة وقال :

كَبَسْتُ النَّاسَ فى قلادة ؟ ثم إن النبی صلى الله عليه وسلم استيقظ

وحضرت الصبح ، فالتبس الماء فلم يوجد ، فنزلت : " يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ " الى قوله : " تَشْكُرُونَ " فقال

أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ (٢) : لقد مارك الله للناس فيكم آل أبى بكر (٣)

الركن الثالث : الزكاة

فى القرآن الكريم جملة من الآيات التى تأمر بأداء الزكاة ،

وتحمت على الإنفاق فى سبيل الله بصفة عامة . والدارس لتلك

الآيات لا يكاد يفتىب عن ناظره أسلوب القرآن الكريم فى الترفيب

والترهيب مما يجعله يدرك بوضوح الحكمة الإلهية من وراء مشروعية

الزكاة القائمة على مصلحة العباد فى الدارين .

(١) انظر نحو هذا الحديث فى صحيح البخارى " ٦٣/٦ " كتاب

التفسير، سورة المائدة .

(٢) هو أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ بن سمار بن عتيك بن عبد الأشهل الانصارى

الأشهل . كان من السابقين الى الاسلام وهو أحد النقباء

ليلة العقبة ، وكان ممن ثبت يوم احد ، توفى سنة عشرين من

الهجرة (انظر الاصابة ١/٤٩)

(٣) لباب المنقول ص (٦٩)

أ / فمن تلك الآيات قول الله تعالى : - (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ
الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ
وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (١)

وقد اخرج الواحدى فى سبب نزولهن بسنده الى عمر بن
الخطاب رضى الله عنه انه كان يقول :- (كان اذا نزل الوحي على
رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسَمِعُ عند وجهه دوى كدوى النحل
فمكثنا ساعة ، فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا
وأعطينا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارزقنا . ثم قال :
لقد أنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ
" قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ " الى عشر آيات (٢)

قلت : واى مصلحة - مهما عظم شأنها وجل قدرها - يمكن ان
تضارع الفائدة التى يجنيها المؤمن من فوزه بمرضاة الله ودخول الجنة ؟
فضلا من التكافل الاجتماعى الذى يحدثه أداء الزكاة ؟

ب / ومنها قوله تعالى : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ
وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (٣)

وقد نزلت هذه الآية - كما اخرج الواحدى بسنده الى ابن
عباس رضى الله عنهما - (فى قوم كانوا قد تخلفوا عن رسول الله .
صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، ثم ندوا على ذلك ، وقالوا :

(١) سورة المؤمنون ، الايات : (١ : ٤)

(٢) اسباب النزول للواحدى ص (١٧٨)

(٣) سورة التوبة (١٠٣)

تكون في الكِنِّ والظلال مع النساء ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في الجهاد ؟ والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون الرسول هو يطلقها ويمذرنا . واوثقوا أنفسهم بسوارى المسجد (١) فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بهم فرآهم فقال : من هؤلاء ؟ قالوا : هؤلاء تغلفوا منك ، فماهدوا الله ان لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم وترضى عنهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وَأَنَا أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَا أُطْلِقُهُمْ وَلَا أَعْذِرُهُمْ حَتَّى أَوْمَرَ بِإِطْلَاقِهِمْ ، رَفَعُوا عَنِّي وَتَغْلَفُوا عَنِ الْغُزُومِ الْمُسْلِمِينَ ، فانزل الله هذه الآية (٢) فلما نزلت أرسل اليهم النبي صلوات الله عليه واطلقهم وعذرهم . فلما اطلقهم قالوا : يا رسول الله هذه أموالنا التي خلقتنا منك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً ، فأنزل الله عز وجل " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ " الآية (٣)

وقد اختلف العلماء في هذه الآية فبعضهم يرى انها خاصة بمن نزلت فيهم ، والبعض الآخر يرى انها في الزكاة المفروضة (٤)

(١) وهؤلاء هم : ابولبابة ، ومرداس ، واوس بن خذام ، وشعبة بن وديعة (لباب النقول " ٩٩ ")

(٢) هي الآية " ١٠٢ " من سورة التوبة : (وَأَخْرَجَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ فَوَّحٌ رَحِيمٌ)

(٣) اسباب النزول للواحدي " ١٤٨ "

(٤) انظر تفسير القرطبي ٣٠ / ١٣ / ٤ (طبعة كتاب الشعب)

ومن ذهب المذهب الثاني الامام القرطبي (١) رحمه الله حيث قال :

(قوله تعالى : " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً " مطلق غير مقيد بشرط في المأخوذ والمأخوذ منه ، ولا تبين مقدار المأخوذ ولا المأخوذ منه ، وإنما بيان ذلك في السنة والاجماع حسب ما ذكره ، فتؤخذ الزكاة من جميع الاموال (٢))

ومعها يكن من شيء فان الحكمة واضحة في سياق الآية من تطهير النفوس وتركيتها واسترواحها بدعا النبي صلى الله عليه وسلم . وأنعم بذلك من حظ لا تدانيه الحظوظ ، وأعظم به من حظوة تتعشقها قلوب الأبرار من عباد الله الصالحين .

الركن الرابع : الصوم :

نص القرآن الكريم على حكمة مشروعية الصوم في قوله الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٣)

(١) هو الامام ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري الشرجي الاندلسي القرطبي المفسر . كان من عباد الله الصالحين ، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا . وكانت أوقاته كلها معمورة بالعبادة والتأليف توفي سنة احدى وسبعين وستمائة (كتاب الاسرائيليات للدكتور ابي شهبه ص " ١٩٢ ")

(٢) الجامع لاحكام القرآن للامام القمطي ٣٠٨٤/٤

(٣) سورة البقرة " ١٨٣ "

وَلَا جُورَ أَنْ اِكْتِسَابَ الْمُؤْمِنِ التَّقْوَىٰ انما هو اثر مباشر من آثار الصوم ، وثمره طيبة من ثمراته . وبها لها من تجارة رابحة ، فان التقوى هى زمام الامر وجماع الخيرات كلها . وصدق الله تعالى اذ يقول (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (١) والتعبير بمطلق الخير يشمل كل ما يمكن تصوّره من فوائد الصوم كتطهير النفوس ، وتزكيتها ، والاكتثار من ذكر الله ، وعوارة المساجد ، وقيام الليل ، وكثرة الإنفاق فى سبيل الله ، وعطف المُؤسرين على الفقراء ، الى غير ذلك من فوائد الصوم الكثيرة التى تدل على حكمة الله البالغة فى مشروعيته القائمة على مصلحة العباد فى الدارين .

الركن الخامس : الحج

من البدهة ان الحكمة فى مشروعية الحج اظهر منها فى العبادات الأخرى . فقد جاء التعبير عنها فى القرآن الكريم بأنها منافع يشهد بها حجاج بيت الله الحرام . قال تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَنُ مِنَ الْعَالَمِينَ) (٢) وقال جل شأنه : وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . كَيْشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ .. (٣)

الآيات (٣)

(١) سورة البقرة " ١٨٤ "

(٢) سورة آل عمران " ٩٧ "

(٣) سورة الحج " ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ "

وفى الآية الاولى دليل وجوب الحج على المستطيعين اليه سبيلا
فقد ذكر السيوطى انه (لما نزل : " وَمَنْ يَبْتَغِ فِيمَا إِسْلَامُ دِينًا فُلْنُ
يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (١) قالت اليهود : فنحن
مسلمون . فقال لهم النبی صلى الله عليه وسلم : ان الله فرض
على المسلمين حج البيت ، فقالوا : لم يكتب علينا ، وأبوهم ان يحجوا
فانزل الله : " وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ " (٢)
وفى آيات سورة الحج جاءت حكمة التشريع صريحة مبرر عنها
بلام التعليل . ويلاحظ في أسلوب القرآن الحكيم أن كلمة " منافع "
وردت بالتنكير لتكون شاملة لمصالح الدنيا والآخرة .

وهكذا نأتى الى نهاية الكلام عن المقصد الاول من مقاصد
الشرع الحكيم ، لننتقل منه الى بيان بعض ما ورد فى المقاصد الاخرى
وما التوفيق الا من عند الله .

ثانيا : حفظ النفس

لقد قضيت الشريعة الاسلامية بهذا الامر رعاية فائقة ، وأحاطته
بسياج متين من الوقاية والضمان ، حيث إن الله - جلّت حكمته -
شرع القصاص لحفظ النفوس من فوائل المعتدين .

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي
الْقَتْلِ الْقَتْلِ الْحَرِّ وَالْعَبْدِ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى ، فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ
أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاةٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّنْ
رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ
حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٣)

- (١) آل عمران ٨٥
(٢) آل عمران ٩٧
(٣) سورة البقرة ١٧٨ ، ١٧٩

والمطلع على سبب النزول يستجلى بوضوح الحكمة البالغة من وراء هذا التشريع الحكيم . فقد جاء فيه **﴿ أَنْ حَيِّنَ مِنَ الْحَرْبِ اقْتَتَلُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِقَلِيلٍ ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ قَتْلٌ وَجِرَاحَةٌ حَتَّى قَتَلُوا الْمَبِيدَ وَالنَّسَاءَ ، فَلَمْ يَأْخُذْ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ حَتَّى اسْلَمُوا فَكَانَ أَحَدُ الْحَيِّنِ يَتَعَاوَلُ عَلَى الْآخَرِ فِي الْحَدِّ وَالْأَمْوَالِ فُحِلُّوا إِلَّا يَرْضَوْا حَتَّى يُقْتَلَ بِالْمَبِيدِ مِنَ الْحَرِّ مِنْهُمْ ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الرَّجُلِ مِنْهُمْ ، فَنَزَلَتْ فِيهِمْ ، الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى ۖ ۝ ١ ۝ ﴾** (١)

فالقصاص فيه حياة للمقتول بإحياؤه من أن يذهب هدرًا ، وإبقاءً على حياة من يريد القتل بعد أن يرتدع وينزجر . وفوق هذا كله يجيء التعليل له بقوله **" لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "** فالقضية حينئذ حياة في القصاص ليتقوا الناس سخط الله وعذابه **﴿ إِنَّهُمْ تَقَاضَوْا إِلَى هَذَا الْمَبْدَأِ التَّشْرِيعِيِّ . وَلَا رَيْبَ أَنْ حُرِفَ "لَعَلَّ" لِتَعْلِيلِ الْحُكْمِ وَالْبَاحِثِ عَلَيْهِ .** هذا وقد قال الله تعالى **(وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) (٢)** وهذه الآية الكريمة بينت أن الحكمة من النهي من قتل النفس هي رحمة الله بنا . فقوله **" إِنَّ "** للتوكيد والتعليل ،

(١) أسباب النزول للواحدى ص " ٢٦ "

(٢) سورة النساء " ٢٩ "

كَأَنَّ سَائِلًا قَالَ : وَلِمَ يَنْهَانَا اللَّهُ عَنْ قَتْلِ أَنْفُسِنَا وَنَحْنُ أَحْرَارٌ فِيهَا ؟
فَقَالَ : إِمْدَارُهَا يَنْفَى الرَّحْمَةَ ، وَهُوَ الْخَالِقُ ، وَهُوَ الْحَيُّ وَالْمَعِيتُ
فَيَنْبَغِي أَنْ يَتْرَكَ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ .

والانسان بطبيعته مفلطور على فريزتي حبا للحياة والالتقاء .
اي طول العمر والخوف على نفسه فأمره الله ان يفوض الأمر لخالقه
ولكل نفس أجل . هذا هو القانون والنظام فاذا خرج الانسان من
هذا بان فرض نفسه للتهلكة او تمجل موته فقد أثم .

ثالثا : حفظ العقل

هذا المقصد من مقاصد الشرع قد نال نصيبا وافرا من
العناية به في القرآن الكريم ، وذلك لِعِظَمِ شأنه ، وَعُلُوِّ قدره ومكانه .
فبكمال العقل يشرف الانسان ، ويبلغ حظه من الأسباب التي تُفُضُّ
به الى سعادة الدارين .

وقد ورد في التنزيل الحكيم ما يفيد بأن تعاطي الخمر
من العوامل المثيرة للعداوة والبغضاء بين الناس ، كما انه يصد عن
ذكر الله وعن الصلاة وما من أحد يرتضى العداوة والبغضاء ويستنكف
ان يكون عبد الله إلا . كان في عقله شيء من الخل .

وانما كانت الخمر سببا لكل هذه الموبقات لانها تخامس
العقل : اي تخطيه وتحجبه عن دلائل الهداية والرشاد . ومن
ثم جاء بها في القرآن الكريم كما يلي :

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ (١) رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ
تَتْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي
الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) (٢)
ومما ورد في سبب نزول هاتين الآيتين :

أ / ما أخرجه الواحدى بسنده الى سعد بن أبي وقاص قال :
(أتيت على نفر من المهاجرين فقالوا : تعال نطعمك ونسقيك خمرًا
وذلك قبل ان يحرم الخمر فأتيهم في حشٍّ - والحش البستان - وإذا
رأسٌ جزور مشويًا فندهم ، ودن من خمر ، فأكلت وشربت ، وذكرت
الأنصار والمهاجرين فقلت : المهاجرون غير من الأنصار ،
فأخذ رجل كحى الرأس (٣) فجدع أنفى بذلك فأتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فأنزل الله في شأن الخمر : (إِنَّمَا
الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ . . . الآية) (٤)

(١) الأنصاب جمع نصاب : وهي حجارة كان المشركون يقربون لها
الذبايح . والأزلام القداح : كانوا إذا أرادوا السفر جعلوا
قداحا للخروج والجلوس فيفعلون ما تشير به عليهم (انظر
تفسير الطبري ٧٦/٦)

(٢) سورة المائدة " ٩٠ / ٩١)

(٣) اللحي : منبت اللحية من الانسان وغيره (مختار الصحاح ٥٩٥)
والمراد هنا عظم الفك الاسفل للبعير

(٤) اسباب النزول للواحدى ص " ١١٨ "

ب/ وما ذكره السيوطي ^{يُنْمِيهِ} إلى ابن عباس رضي الله عنهما

قال : (إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار شربوا فلما أن ^{كَمَل} القوم عث بعضهم ببعض ، فلما صَحَّوْا جعل الرجل يرى الآخر في وجهه ورأسه ولحيته فيقول : صَنَحَ بِي هذا أخى فلان وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن ، فأنزل الله هذه الآية *
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ الْإِثْمُ الْكَبِيرُ (١)

قلت : ولا تعارض بين الروايتين إذ يمكن الجمع بتعدد النزول . وواضح مما تقدم أن الخمر قد ذهبت بالحقول وكادت تؤدي إلى فتنة طاحنة لولا أن من الله على الناس بتحريمها *
وأياً ما كان فإن الخمر ما حرمت إلا للمحافظة على عقل الانسان الذي هو كيانه الحقيقي . وإذا تأملنا الآيات أدركنا إلى أي مدى كان الأثر السيء * عندما صُرف العقل عن مجال نظره فكيف بتعطيله وإهداره ؟ قال تعالى : " وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ " (٢) وقال في أكثر من موضع :
(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) (٣) و (يَتَفَكَّرُونَ) (٤)
(وَيَعْقِلُونَ) (٥) و (لِّأُولِي النِّهَالِ) (٦)

(١) (باب النقول ص ٧٧)

(٢) سورة الملك " ١٠ "

(٣) سورة يونس " ٦٧ "

(٤) سورة الرعد " ٣ "

(٥) سورة النحل " ١٢ "

(٦) سورة طه " ٢٨ "

وكل هذا تمجيد لمَلَكَاتِ العقل ، وتعدد اختصاصه .

فاذا ضاع العقل ضاع التكليف ، انما خطاب شرعيا الا بتكليف ، ولا تكليف الا بعقل .

ولما كان العقل هو مناط التكليف الشرعى فقد مُنِيت به الشريعة صناية فائقة ، ومن كم كانت حكمة التشريع فى تحريم الخمر هى حماية العقل والمحافظة عليه . ولذا فقد جاء التحمير فى الآية بـ " لعن " لبيان أن الفلاح مرهون بتجنب الخمر . فقال تعالى : " فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " .

رابعاً حفظ المال

قال الله تعالى : (وَأَيُّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرُوهُ تَذْوِيرًا . إِنَّ ابْنَ السَّبِيلِ كَانَ إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) (١)

وقال تعالى : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) (٢)

وأخرج الواحدى بسنده فى أسباب النزول انه جاء فلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إِنَّ أُمَّي تَسْأَلُكَ كَذَا وَكَذَا ، فقال : ما عندنا اليوم شئ ، قال : فتقول لك : اكْسِنِي قميصك قال فخلع قميصه فدفعه إليه وجلس فى البيت حاسرا ، فأنزل الله سبحانه وتعالى " وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ " الآية (٣)

(١) سورة الاسراء " ٢٦ ، ٢٧ (

(٢) سورة الاسراء " ٢٩ "

(٣) أسباب النزول " ١٦٥ (

وروي السيوطي في باب النقول هاته (أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بئر ، وكان مصطفا كريما ، فقسمه بين الناس ، فأثابه قوم فوجدوه قد فرغ منه ، فأنزل الله : " وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ مَنْتِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ " الآية (١)

قلت : وإذا تأملنا في الآيات المتقدمة نجد حكمة التشريع واضحة فيها . ففي قوله تعالى " إِنَّ الْمُذْرِبِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ " نجد أداة التأكيد والتحليل " إِنَّ " مبينة لعلالنهى عن تبذير المال وتضييعه بلا طائل كما أنها تؤكد حقيقة هامة وهى أن التذير قد يهبط بالإنسان الى دركات الشياطين . ولا ريب أن الشخص المذير سيجد نفسه يوما صفر اليدين من المال ، وهو بطبيعته المسرقة لا يستطيع صبرا على الفاقة ، وسيؤدى به ذلك الى اتباع الشيطان فى كل مساره ، فيستمرى السرقة والقتل والنش والميسر ، جرياً وراء الكسب الحرام .

وأما الفاء فى قوله (فَتَقْعَدَ مَلُومًا مُحْسُورًا) فهى للتحليل أيضاً . والذى يمحينا هنا هو تحليلها لقوله " وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ " فقد أوضحت أن الحكمة من وراء هذا النهى هى ان الإسراف فى الانفاق يورث صاحبه الحسرة والندامة لفقدانه كل ما يملك بسبب هذا الإسراف المكشيت . والمعلوم ان الفعل هنا نصب فى جواب

النهي ، وما ذلك الا لان الفاء للسببية ، والسبب علة باعثة على تشريع الحكم .

وهكذا الشأن في قوله تعالى : **وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا** . **وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ سَتَتَىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا** . . .
الاية (١)

فانظر كيف اعتبر مال اليتيم مالا للوصي ، وكيف امر بحفظ المال حتى نأمن منهم الرشد كي لا يضيعوه .
خامسا : حفظ النسل

قال تعالى : **(وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)** (٢)

في هذه الاية الكريمة نهى الله تعالى عن قرب الزنى . والمراد بقربه فعل مقدماته المفضية إلى ارتكابه ، فيكون النهي عن فعله من باب اولى

وقوله : **" إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً " : وَسَاءَ سَبِيلًا " بيان لحكمة التشريع في الاية لان الحرف " إِنْ " يفيد التعليل والتوكيد**

(١) سورة النساء " ٥ ، ٦ "

(٢) سورة الاسراء " ٣٢ "

والحكمة فى تحريم الزنى واضحة جلية لان (من عرف آثاره
واذبحاره من تدني عن العرض والشرف ، وضياع للانساب ، واعتدائه على
كرامة الناس ، وتطليعه لهم بالعار والشنار ، وتعريضه لاولاد للتشرد
والضياح حيث يولد " اللقيط " وهو لا يدري أباه ، ولا يعرف حسبه
ولا نسبه - الى غير ما هناك من اضرار) (١) من عرف ذلك أدرك
حكمة الله البالغة فى هذا التشريع الحكيم •

[وجريمة الزنى تعتبر فى نظر الاسلام جريمة من اشنع الجرائم
ومفكرا من أخبث المنكرات ولذلك كانت عقوبته صارمة لان فى هذه
الجريمة هدرًا للكرامة الانسانية وتصديعًا لبنيان المجتمع وفيه ايضا
تعريض النسل للخطر حيث يكثر " اللقياء " وأولاد البغاء ، ولا يكون
هناك من يتعهد بهم ويربهم وينشئهم النشأة الصالحة] (٢)
قال تعالى : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا
مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) الآية (٣)
(ان الذى يرتكب هذه الجريمة لمجرد الاستمتاع والشهوة
ليس انساناً بل هو حيوان ، وذلك لان الحيوان تسيطر عليه شهوته
فهو يسير تبعاً لها ، والانسان يحكمه عقله ولهذا يسير مع منطق

(١) روائع البيان للشيخ محمد على الصابونى (١١ / ٢)

(٢) المصدر نفسه : (٥٢ / ٢)

(٣) سورة النور " ٢ "

العقل . وليست هذه الخريزة التي اودعها الله في الانسان لمجرد
نيل الشهوة او قضاء الوطر بل هي من اجل غاية نبيلة سامية
هي بقاء النسل (١)

ثم انظر الى آيات اللعان التي تحافظ على الأعراض حتى من

الكلمة الجارحة وهو عين صيانته والصافضة عليها من اي تدنيس .
قال تعالى (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ
فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ . وَالْخَامِسَةَ
أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَيَذَرُونَ عَنْهَا الْحَدَّ أَنْ
تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ . وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ
عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ . وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ
اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ) (٢)

وقد بين الواحدى وفيره سبب نزول هذه الآيات (٣) غير أن
الذى له مساس بالموضوع هو الوقوف عند فضل الله ورحمته بعد تقريره
لاحكام اللعان . فلو لا فضله ما صينت الأعراض هذه الصيانة ولولا
رحمته لخاض الناس فى أعراض فيرهم بلا بينة . . وختام الآية بالحكمة
فى قوله " وَإِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ " يشير إلى حكمة التشريع وهى صيانة
الأعراض بأجل ما تصان به .

ومكذا يتبين ما تقدم أن الشرائع الالهية وضعت لحكمة بالغة
وهى مصلحة العباد فى الدارين . والامثلة على ذلك كثيرة ، ولو
اردنا استقصاءها لطال بنا المقام ، فهذا حسبنا ، وبالله التوفيق

(١) روائع البيان ٥٣/٢

(٢) سورة النور (٦ - ١٠)

(٣) انظر اسباب النزول " ١٨٠)

الفصل الرابع

فی دفع ترہم الحصر

وتعیین البہات

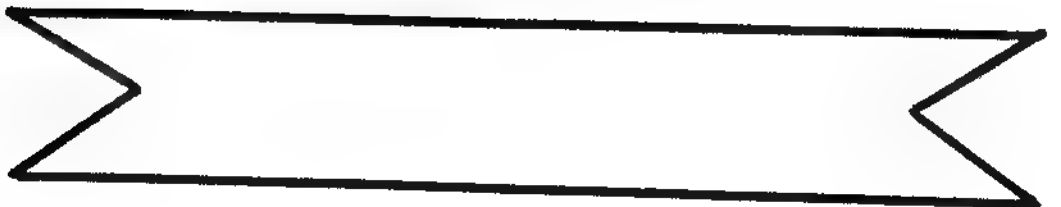
وفیہ مباحات

الکتاب الاول :

دفع ترہم الحصر .

المبحث الثاني :

تعیین البہات .



الفصل الرابع :

دفع توهم الحصر وتعيين المبهمات

هذان الأمران من الأمور الدالة على أهمية معرفة أسباب النزول وقد أوردهما العلماء ضمن فوائد الأسباب . (١)

ولا ريب أن دفع توهم الحصر وتعيين المبهمات من أهم العوامل التي تعين الدارس للقرآن الكريم على الإدراك السليم والفهم الصائب لمدلولات النصوص القرآنية . وسأبين ذلك في بحثين على النحو التالي :-

المبحث الأول :

دفع توهم الحصر

من النصوص ما يفيد بظاهره الحصر ، على حين يكون المعنى المراد منه سوى ذلك ؛ وفي مثل هذه الحالة ينبغي الرجوع إلى أسباب النزول للوقوف على مقصد النص .

(١) انظر البرهان (٢٢/١) ، والاتقان (٣٠/١)

ومن ذلك قوله تعالى : (قُلْ لَا أُجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى بَلَغِمْ يُطَهَّرُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) الآية (١)

فإن من يتدبر هذه الآية يحفل من سبب نزولها يتوهم من ظاهر النص أنها حصرت المحرمات في الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أُهل لغير الله به .

لكن الحصر غير مراد في الآية ، بدليل أن هنالك محرمات أُخرى ذكرت في آيات أخر ، كالتى وردت في قوله تعالى : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْفِقَةُ وَالْمُؤَوَّدَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ) الآية (٢)

والحق أن المراد من الحصر الضوئى الذى ورد في سياق الآية السابقة هو مشادة الكفار ومحادتهم ومعاملة لهم بالمشاسل . فقد ذهب الإمام الشافعى إلى أن الآية إنما نزلت بسبب معاندة الكفار وإصرارهم على تحريم ما أحل الله ، وتحليل ما حرم الله (٣)

(١) سورة الأنعام (١٤٥)

(٢) سورة المائدة (٣)

(٣) انظر : مناهل العرفان (١٠٥ / ١)

وبيان ذلك : (أَنْ الْكُفَّارَ لَمَّا حَرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ ، وَأَحَلُّوا
مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، وَكَانُوا عَلَى الْمُضَادَّةِ وَالْمُحَادَّةِ جَاءَتِ الْآيَةُ مُنَاقِضَةً
لِذَرَضِهِمْ فَكَأَنَّهُ قَالَ : لَا حَلَالَ إِلَّا مَا حَرَّمْتُمُوهُ ، وَلَا حَرَامَ إِلَّا مَا
أَحَلَّيْتُمُوهُ ، نَارِئًا مَنْزِلَةً مِنْ يَقُولِ لَكَ : لَا تَأْكُلِ الْيَوْمَ حَلَاوَةً ،
فَنَقُولُ : لَا أَكُلُ الْيَوْمَ إِلَّا حَلَاوَةً . وَالْغَرَضُ الْمَعَانِدَةُ ، لَا النَّفْسِيَّةُ
وَالْإِثْبَاتُ عَلَى الْحَقِيقَةِ . وَكَأَنَّهُ قَالَ : (لَا حَرَامَ إِلَّا مَا أَحَلَّيْتُمُوهُ
مِنَ الْمَيْتَةِ ، وَالدَّمِ ، وَلَحْمِ الْخَنَازِيرِ ، وَمَا أَهْلُ لُغَةِ اللَّهِ بِهِ .
وَلَمْ يَقْصِدْ حِلَّ مَا وَرَاءَهُ ، إِذِ الْقَصْدُ اثْبَاتُ التَّحْرِيمِ لَا اثْبَاتُ الْحِلِّ) (١)

وهكذا يتضح مما تقدم أَنَّ الحَصْرَ الْحَقِيقِيَّ فَيَرُ وَارِدٌ فِي
الْآيَةِ مَوْلُودًا مَعْرِفَةِ السَّبَبِ لِحَاجَاتِ أَنْ يُفْهَمَ ذَلِكَ مِنْهَا ، وَلِقَامِ - حِينَئِذٍ -
تَعَارُضِ بَيْنِهَا وَبَيْنِ آيَةِ الْمَعَانِدَةِ الَّتِي ذَكَرَتْ أَنْوَاعًا أُخْرَى مِنَ الْمَحْرَمَاتِ .
فَيَرُ أَنَّ الْوُقُوفَ عَلَى سَبَبِ النُّزُولِ دَفَعَ تَوْشُّمَ الْحَصْرِ وَأَبَانَ الْمَعْنَى
الْمُرَادَ عَلَى وَجْهِهِ الْمَطْلُوبِ .

(١) انظر : البرهان (١ / ٢٢٣) ، والإِتْقَان (١ / ٣٠)

ويلاحظ أن في الآية إشارة إلى هذا المعنى المراد منها ،
وذلك في قوله تعالى (فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ) أي الآن . ومن المعلوم
أن سورة الأنعام مكية ومن أوائل ما نزل فكان القصد فيها لدفع
التوهم . واستخدام القرآن لهذا الأسلوب إنما المراد به مزيد
من التأكيد للمعاندين والخصوم . فهم في الواقع هم الذين
وقفوا على المضادة والمحادثة للقرآن الكريم فوقف منهم نفس الموقف ،
فالقرآن لم يبدأهم بذلك وإنما أمرهم ونهاهم ، فلما ارتكبوا
جريمتين : - رفض الأمر وتنفيذ الضد - بين لهم أنهم انحدروا بذلك
إلى العضيض ، وليس منعناه أنه من أجل عنادهم حرم كما يُخلن .
كلا إن القرآن يحرم حيث يوجد مقتضى التحريم ، لا لأنه يبنى تحريمه
على جل الكفار ، وتحليله على تحريمهم ، وإنما يريد أن ينقل لنا
صورة ما انتهوا إليه من ترك الأمر وتنفيذ الضد . ونتيجة لذلك
فإنهم كانوا في جانب ، والصواب في جانب آخر .

المبحث الثاني

تعيين المبهمات

في القرآن الكريم ألفاظ تتحدث أحيانا عن أفراد معينين ،
وأحيانا عن جماعات مصروفة . غير أن تلك الألفاظ فيها من الإبهام
والصموم ما لا يمكن معه التصرف على أشخاص هؤلاء وأولئك إلا بالرجوع
إلى أسباب النزول . ولهذا كان تعيين المبهمات من أهم فوائد
معرفة أسباب النزول . فان السبب يدل على من نزلت فيه الآية
أو الآيات بعينه ، فلا يشتبه بغيره ، فينتج عن ذلك اتهام السببي
ومראה الجاني ، كما حدث من مروان بن الحكم حينما اتهم عبد الرحمن
ابن أبي بكر بأنه هو الذي نزل فيه قول الله تعالى :- (وَالَّذِي
قَالَ لِيُؤَدِّيهِ أَفٍّ لَّكُمَا اتَّعِدَا إِنِّي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي
وَهُمَا يَسْتَفْهِتَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا
إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) (١) فردت عليه أم المؤمنين عائشة نافية

ذلك الاتِّهامَ حيث قالت : (كَذَبَ وَالله ، ما نزلت فيه ، والله ما
نزلت إلا في فلان بن فلان الفلاني) (١)

وهذه أمثلة لبعض المبهمات التي وردت في القرآن الكريم
نذكرها مع بيان أسباب نزولها لنرى مدى أهمية معرفة السبب في
تعيين هذه الألفاظ وأمثالها . وسنختارها مرتبة على حسب
ورودها في المصحف ، على النحو التالي :

أولها " مَبْنٌ " في قوله تعالى : " وَمِنَ النَّاسِ مَن يُفْجِرُكَ
قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلْسِنُهُ
الْغِيصَامُ (٠٠٠) الْآيَةُ (٢) فإن المراد بهذا اللفظ هو الأخنس
ابن شريق الذي (أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر له
الإسلام فأعجبه ذلك منه ، ثم خن فمَرَّ بزرع لقوم من المسلمين وحمَّر
فأحرق الزرع وحقَّر الحمَرَّ ، فأنزل الله الآية) (٣)

(١) انظر فتح الباري (٥٧٧/٨)

(٢) سورة البقرة (٢٠٤)

(٣) لباب النقول ص (٢٨)

الثاني : مَنْ * أَيْضًا ، في قوله تعالى : * وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعَاصِينَ (١)
 فإن المراد به صهيبي الرومي حينما (أقبل مهاجرًا نحو رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من قريش من المشركين ، فنزل من
 راحلته ونشرا في كنانته ، وأخذ قوسه ، ثم قال : يا معشر قريش
 لقد علمتم أني من أرواكم رجلا ، وأيم الله لا تصلون إليّ حتى أرمي
 بما في كنانتي ، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء * ، ثم
 افعلوا ما شئتم . قالوا : دلنا على بيتك ومالك بمكة ونخلّي عنك ،
 وعاهدوه إن دلهم أن يدعوه ، ففعل . فلما قدم على النبي صلى
 الله عليه وسلم قال : أها يحيى ، ربيع البيع ، ربيع البيع ، وأنزل
 الله : * وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ * (٢)

(١) سورة البقرة " ٢٠٧ "

(٢) أسباب النزول للواحدى " ٣٤ "

الثالث : " الَّذِينَ " في قوله تعالى : (أَلَمْ تُرِ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالْحَاوِثِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا) (١)

والمراد بهذا اللفظ اثنان من اليهود وهما : حنّ بن أشطب وكعب بن الأشرف (وقد جاء إلى أهل مكة فقالوا لهم : أنتم أهل الكتاب وأهل العلم القديم ، فأعبرونا منا وعن محمد . فقالوا : ما أنتم ؟ وما محمد ؟ قالوا : نحن ننشر الكوماء (٢) ونسقي اللبن على الماء ، وننقى الحاني (٣) ونصل الأرحام ، ونسقي الحجيج ، وديننا القديم ، ودين محمد الحديث . قالوا : بل أنتم خير منه وأهدى سبيلا . فأنزل الله : " أَلَمْ تُرِ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ " (٤)

الرابع : " مَن " في قوله تعالى : (وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ افْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) (٥) فإن المراد به الجد بن قيس ، أحد المنافقين وسيد بني سلمة .

(١) سورة النساء (٥١)

(٢) الكوماء : الناقة الضخمة السنام .

(٣) الحاني : الأسير .

(٤) أسباب النزول للواحدى (٨٨)

(٥) سورة التوبة (٤٩)

وذلك أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم (لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى غَزْوَةِ
تَبُوكَ ، قَالَ لِلجَدِّ بْنِ قَيْسٍ : يَا جَدُّ بْنُ قَيْسٍ ، مَا تَقُولُ فِي مَجَاهِدَةِ
بَنِي الْأَصْفَرِ ؟ (١) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ نِيَّ امْرُؤٌ صَاحِبَ نِسَاءٍ ،
وَمَتْنِي أَرَى نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ افْتَتَنَ ، فَأَعْذَنَ لِي وَلَا تَفْتِنَنِي فَأَنْزَلَ
اللَّهُ : (وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ اعْذَنَ لِي وَلَا تَفْتِنَنِي .) (٢)

الخامس x " مَن " في قوله تعالى : (وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِيمَا
الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُقْبَلُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ
يَشْتَكِمُونَ) (٣)

وهذه الآية نزلت في ذِي الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيِّ حِينَما جَاءَ إِلَى
النبي صلى الله عليه وسلم ووجدَهُ يَقْسِمُ قَسْمًا فَقَالَ : اْعْذِلْ . فَقَالَ
لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَبَيْتُكَ ، مَن يَحْدِلْ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ؟
فنزلت هذه الآية (٤)

(١) بنو الأصفر : هم الروم .

(٢) لباب النقول ص (٩٥)

(٣) سورة التوبة . (٥٨)

(٤) لباب النقول (٩٥)

السادس : " مَنْ " أَيْضًا فَمِى قَوْلِهِ تَعَالَى (... إِلَّا مَنْ أَكْثَرُ)
وَقُلْتُمْ مَثَلَيْنِ بِالْإِيمَانِ (١) فَإِنَّهُ نَزَلَ فِى عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ . وَذَلِكَ
(أَنَّ الْمَشْرِكِينَ أَخَذُوهُ وَأَبَاهُ يَاسِرًا وَأُمَّهُ سَمِيَّةَ وَصَهْبِيًّا ، وَبِلَالًا ،
وَحَبَابًا ، وَسَالِمًا . فَأَمَّا سَمِيَّةُ فَإِنَّهَا رُبِعَتْ بَيْنَ بَحِيرِينَ وَوَجِشَى
قَبْلَهَا بِحَرَبَةٍ ، وَقِيلَ لَهَا : إِنَّكَ أَسْلَمْتِ مِنْ أَجْلِ الرِّجَالِ ، فَقُتِلَتْ
وَقُتِلَ زَوْجُهَا يَاسِرٌ ، وَهَمَّا أَوَّلُ قَتِيلَيْنِ قُتِلَا فِى الْإِسْلَامِ . وَأَمَّا عَمَّارُ
فَإِنَّهُ أَحْمَدُهُمْ مَا أَرَادَ وَابِلِسَانِهِ مُكْرَمًا . فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ صَعْبًا كَافِرٌ ، فَقَالَ : كَلَّا ، إِنَّ عَمَّارًا مَلِئَ إِيمَانًا مِنْ قَرْنِهِ
إِلَى قَدَمِهِ ، وَاخْتَلَطَ الْإِيمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ . فَأَتَى عَمَّارٌ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْكِي ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : إِنَّ مَا دُوا لَكَ فَخَذَ لَهُمْ بِمَا قُلْتَ .
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ (٢)

السابع : " الْكَذِبَى " فَمِى قَوْلِهِ تَعَالَى : (أَفَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ
بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَا لَا يُؤْتَى (١) فَقَدْ أُنْزِلَ فِى الْمَاصِ بْنِ وَاقِلِ
الْحِمْيَرِ ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا أَتَاهُ حَبَابُ بْنُ الْأَرْثِ يَتَقَاضَاهُ فِى دَيْنٍ لَهُ

(١) سُورَةُ الْخُلُوفِ ١٠٦
(١) أَسْبَابُ النُّزُولِ لِلْوَاحِدِ (٠٦٢)

(٢) سُورَةُ مَرْيَمَ (٧٧)

عنده فقال العاص : لا والله ، لا أعطيك حتى تكفر بمحمد . فقال
شباب : لا والله ، لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث . قال :
إني إذا متُّ ثم بُحِثْتُ جُفَّتَنِي ، وسيكون لي ثم مال وولد ، فأعطيك .
فأنزل الله تعالى : " أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا " (١)

الثامن : " مَذَانِ خَصْمَانِ " في قوله تعالى : (هَذَانِ خَصْمَانِ
اِشْتَكَمَا فِي رَبِّهِمْ) (٢) فإن هذه الآية نزلت يوم بدر
في الستة الذين تبارزوا ، وهم : حمزة بن عبد المطلب ، وطلح
ابن أبي طالب ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، من
المسلمين . وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، من
المشركين (٣)

التاسع : " أُولَؤِا الْفَضْلُ " في قوله تعالى : (وَلَا يَأْتِلِ أُولَؤِا
الْفَضْلُ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (٤)

(١) أسباب النزول للواحدى (١٧٣)

(٢) سورة الحج (١٩)

(٣) انظار لباب النقول (١١٩)

(٤) سورة النور (٢٢)

فإنه نزل في أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
 قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : (... فلما أنزل الله
 تعالى هذه الآية (١) في براءتي قال الصديق ، وكان ينفق على
 مسكح لقربته وفقره : - والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال
 لعائشة ما قال ، فأنزل الله تعالى : « وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ
 وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ : « أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ
 لَكُمْ » فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَاللَّهِ إِنِّي أَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي ، فَوَجَّعَ إِلَيَّ
 مَسْكَحَ النِّفَقَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ وَقَالَ : لَا أَنْزِعْهَا مِنْهُ أَبَدًا (٢)

العاشر : " مَنْ " في قوله تعالى : (وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِ لِنَفْسِهِ
 الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِمِرْطَمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ
 عَذَابٌ مُّهِينٌ) (٣) فإن المراد به النضر بن السبحار الذي
 اشترى قينة (٤) وكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به
 إلى قينته ، فيقول : أسمعني واشقيه وغنيه ، هذا خير مما يدعوك
 إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه ، فنزلت هذه
 الآية (٥)

(١) هي الآية الحادية عشرة من سورة النور، وأولها : " إِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يُجَاهِدُونَكَ فِي الدِّينِ وَيَتَشَاءُونَ لِيُخْرِجوكَ مِنْهُ " (١٠٠)

(٢) أسباب النزول للواحدى (١٨٥)

(٣) سورة لقمان (٦)

(٤) القينة - بالفتح - الأمة .

(٥) لباب النقول (١٣٥)

الحادى عشر : " رَجَالٌ " فى قوله تعالى : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ
صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ
وَمَا يَدَّبْدُلُوا تَبْدِيلًا) (١) فإنه نزل فى أنس بن النضر وأصحابه :
 (من أنس بن مالك قال : فابعمى أنس بن النضر ، وبه
 سُمِّيَتْ أُنْسًا ، عن قتال بدر ، فشق عليه لما قَدِمَ ، وقال : فَبِئْسَ
 من أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لَئِنْ
 أَشْهَدَنِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ قِتَالًا لَيَرَيْنَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ . فلما كان يومُ أُحُدٍ
 انكشف المسلمون فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء
 المشركون ، وأعتذر إليك فيما صنع هؤلاء ، يحيى المسلمين ،
 ثم مشى بسيفه فلقبه سعد بن معاذ فقال : أَيْ سَعْدُ ، والذي
 نفسى بيده إني لأَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ ، فقاتلهم حتى قَتَلَ .
 قال أنس : فوجدناه بين القتلى ، به بضع وثمانون جراحة ، من
 بين هربة بالسيف وطعنة بالرمح ، ورمية بالسهم ، وقد مَثَلُوا بِهِ ،
 وما عرفناه حتى عرفته أخته بِبَنَانِهِ . ونزلت هذه الآية : " مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ " قال وكنا نقول : أنزلت هذه
الآية فيه وفى أصحابه (أ هـ) (٢)

(١) سورة الأحزاب (٣٢)

(٢) أسباب النزول للواحدى (٢٠٢) وانظر كذلك : صحيح البخارى

الثاني عشر * الَّتِي * في قوله تعالى : (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي
تَجَادَلْتَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (١)

فإن التي جادلت زوجها هي خولة بنت ثعلبة كما ورد في
سبب نزول الآية الذي بينته عائشة أم المؤمنين بقولها : (تبارك
الذي وسع سمعه كل شيء * . إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفق
عليّ بحضه وحشي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحشي تقول : يا رسول الله ، أهلي شبابي ، ونشرت له بطني ، حتى
إذا كبر سني ، وانقطع ولذي ، شأهر مني ، اللهم إني أشكو إليك .
فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات : * قَدْ سَمِعَ
اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تَجَادَلْتَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ : (٢)

(١) سورة المجادلة (١)

(٢) أسباب النزول للواحدى (٢٣١)

الثالث عشر : (الْأَمْثَلُ) فى قوله تعالى (فَبَسَّ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ)

الْأَمْثَلُ (١) (١) فإنه نزل فى عبد الله بن أم مكتوم حينما (أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يناجى عتبة بن ربيعة ، وأبا جهل بن هشام وعباس بن عبد المطلب ، وأبياً، وأمّية ابنى خلف ، ويدعوهم إلى النبى الله تعالى ويرجو إسلامهم ، فقام ابن أم مكتوم وقال : يا رسول الله ، علّمنى مما علّمك الله ، وجعل يناديه ويكرر النداء ، ولا يدري أنه مشغل مُقبل على غيره ، حتى ظهرت الكراهية فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لِقَطْعِهِ كَلَامَهُ فأنزل الله هذه الآيات . فَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَحْدَ ذَلِكَ يُكْرِمُهُ ، وَإِذَا رَأَاهُ يَقُولُ : مَرْحَبًا بِمَنْ هَاتَيْنِ فِيهِ رُبِّي) (٢)

قلت : هذه هى بعض المواضع التى اشتملت على ألفاظٍ مَبْهَمَةٍ يلزم لتعيينها الوقوف على سبب النزول . وهى كثيرة ففى القرآن ، يَبْدَأُ أَنْ هَذِهِ النَّمَاذِجُ كَافِيَةٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَعْيِينِ الْمَبْهَمَاتِ مِنْ طَرِيقِ سَبَبِ النُّزُولِ .

(١) سورة عبس (٢٤)

(٢) أسباب النزول للراهمى (٢٥٠)

ولا بُدَّ من التذكير بأن هذه الألفاظ مع كونها نزلت بشأن
أشخاص معيّنين وبسبب أحوال خاصة ، إلا أنها تتعمد تلك الأسباب
إلى غيرها في الحكم ، فتتعلق على كل الأشخاص المماثلين ،
وعلى كل الحالات المشابهة ، وذلك لأن العبرة بجموم اللفظ لا
بخصوص السبب كما سيأتى قريباً إن شاء الله .

أما السَّرُّ في إيهام القرآن في مثل هذه المواضع ، فلنفوائس
مديدة ، منها :

أ / السَّرُّ على من سَيَحْسُنُ إسلامه فيما بعد ، إذ لو صرح :
باسمه لربما أحجم من الدخول في الإسلام .

ب / ومنها إرادة الصوم .

ج / ومنها التحليم لنا : كيف نمبر من المعاني بألفاظ
لا تجرح أحداً . فلو أنه أعلن من اسم خولة لجاز أن يشق على
زوجها . وهكذا . (١)

(١) لمصرفة المزيد من أسباب الإيهام ، انظر البرهان (١٥٥ / ١)

الفصل الخامس

في عموم اللفظ وخصوص السبب

هل العبرة بعموم اللفظ

أو

بخصوص السبب؟

وما الذي يترتب على كل من القولين؟

المصل الخامس :

هل العبارة بمفهوم اللفظ أو بخصوص السبب ؟
وبيان ما يقترب على كل من القولين

العموم والخصوص من المباحث الأصولية التي أفردها علماء
الأصول بالكلام ليتسنى لهم الاستدلال بألفاظ الشارع على الأحكام
الشرعية .

وقد عرّفوا الماصّ بأنه (هو اللفظ الموضوع لاستفراق أفراد
ما يصلح له) (١)

وبعبارة أخرى (هو اللفظ الدالّ على كثيرين ، المستغرق
في دلالة لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد) (٢)

ومثلوا لذلك بلفظ (الرجال) لأنه لفظ عام يستغرق كل ما
يصلح له من حيث الوضع .

وقولهم " بحسب وضع واحد " هو قيد في التعريف ، ليخرج
الألفاظ المشتركة كلفظ " مَئِينَ " فإنه يدل على الذات ، كما يدل على
الصين الباصرة ، والحين الجارية .

(١) أصول الفقه للشيخ محمد الخضرى ص " ١٤٧ "

(٢) أصول الفقه للشيخ محمد ابى زهرة ص " ١٥٦ "

كذلك تكلموا على الخاص ، وعرفوه بأنه : (هو اللفظ الذى
وُضِعَ لمعنى واحد على سبيل الانفراد أى اللفظ الذى يدل على
معنى واحد ، سواء أكان ذلك المعنى جنساً "كحيوان" أم كان نوعاً
"كإنسان" و "كرجل" أم كان شخصاً كزيد . وإبراهيم ، فما دام المسمى
واحداً فهو الخاص (١)

وهذا المبحث ، مع كونه متعلقاً بعلم الأصول ، فهو على صلة
وثيقة بأسباب النزول ، لأنَّ الشَّاهدَ فى القرآن الكريم أنَّ بعض
آياته تنزل بالفاظ عامة على أسباب خاصة .

ومن هنا جاء السؤال : هل العبارة بعموم اللفظ أم بخصوص
السبب ؟ وبعبارة أخرى : أعموم اللفظ هو الْمُخْتَبَرُ فى الحكم ، أم
خصوص السبب ؟

اختلف العلماء فى هذه المسألة على رأيين كما يلى :-

أ / ذهب جمهور العلماء إلى أنَّ العبارة بعموم اللفظ ، لا بخصوص
السبب . ومعنى ذلك أنَّ جميع أفراد اللفظ داخلة فى الحكم
ولا فرق فى ذلك بين أفراد السبب وغير أفراد السبب إذ الحكم
يتناولهم جميعاً بمقتضى عموم النص نفسه ، دون اللجوء الى دليل
آخر من قياس أو سواه ، إذ لا مجال للقياس أو الاجتهاد مع وجود
النص .

والمثال على ذلك آيات الملائنة التى تبتدأ بقوله تعالى
: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهِدَاتٌ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَارَ ذَرَّةً

أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (١) .

فهذه الآيات نزلت بسبب خاص وهو قذف حلال بن أمية
لزوجته . ولكن لما كانت العبرة بعموم اللفظ ، فإن الحكم ينطبق
على حادثة حلال ، ومن ثم يشمل كل حالة مشابهة لها ، فكل
من يقذف زوجته ينسحب عليه الحكم الذي طُبِقَ على حلال بن أمية
وذلك بمقتضى نص الآية ، دون الرجوع الى دليل آخر . هذا هو
رأى الجمهور .

ب/ وذهب فير الجمهور إلى أن العبرة بخصوص السبب
لا بعموم اللفظ . وَيَحْتَمِلُونَ بِذَلِكَ أَنَّ الآية التي نزلت في حادثة معينة
ينبغي أن تكون خاصة بتلك الحادثة ، ولا تتعداها لغيرها فسي
الحكم . اما ما يشابهها من حالات أخرى فان حُكْمَهُ لا يُوَسَّضُ
من ذلك النص المختص بسببه ، وإنما يثبت دليل آخر هو القياس
أو قوله صلى الله عليه وسلم : " حكمى على الواحد حكمى على
الجماعة " (٢)

(١) سورة النور : الآيات من ٦ - ١٠

(٢) قال الدكتور الشيخ محمد أبو شهبه في كتاب " المدخل
لدارسة القرآن الكريم ص ١٥٦ ما نصه : (جرت كتب الأصول
على قَدِّ هذا الكلام حديثاً ، وهو بهذا اللفظ لا يُعَسَّرُ
ولا يَثْبُتُ من النبي صلى الله عليه وسلم . وإنما هو في معنى
حديث رواه الترمذى وقال : حسن صحيح - والتسائي وابن
ماجة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مبايعة النساء
" إِنِّي لَا أَصَافُ النِّسَاءَ ، وَمَا قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَّا كَقَوْلِي
لِمِائَةِ امْرَأَةٍ " انظر : كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر
من الأعداء حديثاً على السنة الناس جزء ١ ص ٢٦٤) أهـ

وعلى هذا الرأي فإن الآيات النازلة بسبب حادثة هلال وزوجته تكون خاصة بتلك الحادثة، ولا تتعداها إلى سواها من الحوادث المشابهة، إذ العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ .

ويشترط في قيام هذا الخلاف بين الجمهور وفهرهم عدم وجود قرينة مخصصة للفظ العام بسبب نزوله . أما إذا وجدت هذه القرينة فلا مكان للخلاف بين الفريقين ، إذ الكل مجمعون على قصر الحكم على سببه .

ومثال ذلك قوله تعالى : (وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى) (١)

قالوا : إن المراد بالآتقى هو أبو بكر الصديق على وجه الخصوص، واشترطوا في استقامة هذا التمثيل أن تكون "أل" فسي لفظ "الآتقى" للمجهول والمصهور هو الصديق رضى الله عنه (٢)

(١) سورة الليل (١٧ - ٢١)

(٢) انظر : مناهل العرفان (١ / ١١٧)

جاء في أسباب النزول أن أبا قحافة والد أبي بكر الصديق قال له ذات مرة : (أراك تحقق رقاباً ضِعافاً ، فلو أنك اعتقت رجالاً جُلداً يَمْنَعُونَ ويقومون دونك يا بُنَيَّ . فقال : إني إنما أريد ما عند الله . فنزلت هذه الآيات : " فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى " إلى آخر السورة (١)

وفي رواية (أن أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يُحَذَّب في الله . وفيه نزلت : " وَسَيَجْزِيكَ اللَّهُ تَقَى " إلى آخر السورة ") (٢)

وفي أخرى (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أبا بكر أن بلالاً يُحَذَّب في الله . ففعل أبو بكر رجلاً من ذهب فابتاعه به فقال المشركون : ما فعل أبو بكر ذلك إلا ليَدَّ لِبَالاً عنده فأنزل الله تعالى : - وَمَا لِحَدِيثِهِ مِنْ نَحْوَةِ حُجْرَى إِلَّا أَيْتَافٌ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى -) (٣)

هذا ، وينبغي التنبيه إلى أن الجميع متفقون على عموم أحكام الآيات النازلة على أسباب خاصة ، فلا خلاف بين الجمهور وغيرهم

(١) لباب النقول ص ١٨١

(٢) المصدر نفسه

(٣) أسباب النزول للواحدى ص ٢٥٥

في عموم تلك الأحكام ، فير أن الجمهور يرون أن العموم مستفاد من نص الآية ، دون الرجوع إلى القياس أو غيره + فالحكم - عنكم - يتناول أفراد السبب ^{غير} وفرد ^{غير} السبب بنص الآية .

وفير الجمهور يرون أن العموم مستفاد من دليل آخر فسير النص المختص بسببه . ويقولون :- إن الحكم يتناول أفراد السبب بنص الآية ويتناول ^{غير} أفراد ^{غير} السبب عن طريق القياس أو بنص آخر كحديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفي بيان هذا الأمر يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله :

(فالذين قالوا ، لم يقصدوا أن حكم الآية مختص بأولئك الأعيان ، دون فيهم ، فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق .

(والناس ، وإن تنازعوا في اللفظ الصام الوارد على سبب :

هل يختص بسببه ؟ فلم يقل أحد من علماء المسلمين إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين ، وإنما غاية ما يقال : أنها تختص بنوع ذلك الشخص ، فتضم ما يشبهه ، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ . والآية التي لها سبب معين ، إن كان أمراً أو

نهيًا فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته . وإن كانت خبرًا بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص ولمن كان

بمنزلته (أ هـ (١)

أدلة الفريقين :

بعد هذا العرض المتقدم لرأى الجمهور وغيرهم فى عموم "المدل" وخصوص السبب ، نعود إلى أدلة الفريقين فنبسطها فيما يلى :-

لقد لخص الشيخ الزرقانى - رحمه الله - أدلة الجمهور وأدلة مخالفهم تلخيصاً جيداً ١ . ورأيت أن أستعير من قوله ما يفرى بالفرض هنا . وفيما يلى أورد نص ما استحسنْتُ نقله من ذلك التلخيص :-

أ / أدلة الجمهور :

قال رحمه الله :- (١)

(استدل الجمهور على مذهبهم بأدلة ثلاثة :

[الأول : أننا نعلم أن لفظ الشارع وحده هو الحجة والدليل ، دون ما احتف به من سؤال أو سبب فلا وجه إذن لأن ننصص اللفظ بالسبب . وكيف يسوغ أن نجعل ما ليس حجة فى الشرع متحكماً . بالتخصيص على ما هو الحجة فى الشرع ؟

[والدليل على أن لفظ الشارع وحده هو الحجة ، أن الشارع

قد يصرف النظر عن السؤال ، ويحدل بالجواب عن ستن السؤال لحكمة ، نحو قوله تعالى " يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ " (٢)

(١) انظر : مناهل العرفان " ١ / ١٤٠ - ١٢٧)

(٢) سورة البقرة (٢١٥)

فإن ظاهر هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن بيان ما ينفقونه فجاء الجواب ببيان من ينفقون عليهم . وذلك من أسلوب الحكماء لأن معرفة مصارف النفقة والصدقة أهم من معرفة المصروف فيهما ، فإن إصلاح الجماعة البشرية لا يكون إلا من طريق تنظيم النفقة والإحسان ، على أساس توجيهيهما إلى المستحقين دون سواهم . وهذا وجه في الآية نراه وجيهاً ، وإن كانت الآية قد أشارت إشارة غفيفة إلى بيان ما ينفقونه بقوله سبحانه : " مِنْ خَيْرٍ فِيمَا أَنفَقُوا " إشارة إجمالية لا تشبع حاجة السؤال .

[الدليل الثاني : أن الأصل هو حمل الألفاظ على معانيها المتبادرة منها عند الإطلاق ، أي عند عدم وجود صارف مصروف من ذلك المتبادر ، ولا صارف للفظ هنا من إرادة العموم ، فلا جرم يبقى على عمومه . أما ما يتوهمه المخالفون من أن خصوص السبب صارف من إرادة العموم فمدفوع بأن مجرد خصوص السبب لا يستلزم إخراج غير السبب من تناول اللفظ العام إياه ، فلا يصلح أن يكون قرينة مانعة من إرادة ما وُضِعَ لسمعه اللفظ اللطام ، وهو العموم الشامل لجميع الأفراد .

[الدليل الثالث : احتجاج الصحابة والمجتهدين في سائر الأعصار وألما صار بعموم تلك الألفاظ الواردة على أسباب خاصة في وقائع وحوادث كثيرة من غير حاجة إلى قياس أو استدلال بدليل آخر .

(١) أسلوب الحكم هو تَلَقَّى المتأخراً بغير ما يتفرع به ، إما بِمَرَكٍ سؤاله : والإجابة عنه سؤال لم يسأله ، وإما بِمَحَلٍّ كلامه على غير ما كان يفهمه ، كما في قوله : " إِنَّهُ كَانَ يَفْقَهُ " له أن يسأل هذا السؤال أو يفهم هذا المعنى . [انظر كتاب البلاغة الواضحة لعلامة الحرم وعطية أمين ص (٢٦٦)]

وكيف يُنكر هذا ، وأكثر أصول الشرع خرجت على أسباب خاصة ؟
 ويرغم بخصوص تلك الأسباب قد فهموا من الألفاظ النازلة فيها حقيقة
 العموم ، ثم صاغوا من عموماتها كثيراً من الأصول . فاستدلوا
 بآية السرقة (١) على وجوب قطع كل يد مع أنها نازلة في خصوص
 سرقة المِجَنِّ (٢) أو رداء صفوان . . واحتجوا بآيات الظهار (٣)
 على وجوب الكفارة المذكورة فيها ، والعمل بأحكامها ، على كل مَنْ
 ظاهراً ، مع أنها نازلة في خصوص مَنْ عَرَفَتْ قَبْلُ (٤) وكذلك
 برهنوا بآيات اللعان (٥) على شمول حكمه لكل مَنْ قذف زوجته
 ولم يكن معه شهود ، على حين أنها نازلة في خصوص مَنْ ذَكَرْنَا
 سابقاً (٦)

(١) هي الآية الثامنة والثلاثون من سورة المائدة وهي قوله تعالى :
 (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْلَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا
 مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ مُزِيدٌ حَكِيمٌ) .

(٢) المِجَنِّ : يكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون : هو الترس
 وكل ما وقى من السلاح : (مختار الصحاح ص ٢١٤)

(٣) هي الآيات الأربع الأولى من سورة المجادلة .

(٤) نقل المؤلف في الجزء الأول من كتابه هذا (مناهل العرفان)
 (ص ١١٩) أَنَّ آية الظهار نزلت في امرأة قيس بن ثابت . والمشهور
 أنها نزلت في خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت .
 (انظر : أسباب النزول للواحدى ٢٣٢)

(٥) هي الآيات : من السادسة إلى العاشرة من سورة النور وتبتدئ
 بقوله (وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ) .

(٦) هو حلال بن أمية كما ذكر المصنف في (١١٨ / ١) من كتابه
 (مناهل العرفان) .

ب/ شبهات المخالفين :

(استند مخالفوا الجمهور إلى شبهات خمس لتأييد مذهبهم ،
ونحو أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ :
[الشبهة الأولى :

يقولون : إن الإجماع قد انمقد على عدم جواز إخراج السبب
من حكم العام الوارد على سبب خاص إذا ورد مخصص ، وذلك يستلزم
أن العام مقصور على أفراد السبب ، لا يتناول غيرها ، لأنه لو لم
يكن مقصورا عليها لتساوت هي وغيرها في جواز الإخراج عند المخصص ،
وذلك ممنوع للإجماع المذكور .

[والجواب : أن الإجماع المذكور لا يستلزم قصر العام على
أفراد السبب كما يقولون ، بل هو واقف عند حدود محناه من أن
أفراد السبب لا تمنع بالمخصص ، وذلك المعنى محقق لعدم التساوي
بين أفراد السبب وغيرها في حالة الإخراج بالمخصص ، لكنه لا يمنع
دعوى غير أفراد السبب في الحكم إذا تناوله اللفظ ، وذلك لأدلة
الجمهور السابقة .

[الشبهة الثانية :

يقولون إن الرواة نقلوا أسباب النزول ، واحتجوا بها ، وبدونها ،
ولا ناعده لذلك إلا ما ذهب إليه من وجوب قصر العام على أفراد سببه
الخاص . وهذا معنى أن العبرة بخصوص السبب ، لا بعموم اللفظ .

[والجواب : أَنَّهُ لَا وَجْهَ لَكُمْ فِي أَنْ تَجْعَلُوا قَائِدَةَ نَقْلِ الْأَسْبَابِ
حَتَّى قَصَرَ الْحَامَّ عَلَى أَفْرَادٍ سَبَبِهِ . فَإِنَّ لَأَسْبَابِ النُّزُولِ وَالْإِحَاطَةِ
بِهَا هَلْماً مِنْ طَرِيقِ نَقْلِ الرِّوَاةِ ، فَوَائِدُ عِدَّةٍ وَمَزَايَا حَمِيدَةٌ .]

[الشُّبْهَةُ الثَّالِثَةُ :

يَقُولُونَ : إِنْ تَأَخَّرَ الْبَيَانُ عَنْ وَقْعِ الْوَاقِعَةِ وَتَوَجُّهِ السُّؤَالِ
فِي الْحَامِّ الْوَاردِ عَلَى سَبَبٍ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَبْرَةَ بِخُصُوصِ السَّبَبِ .
لِأَنَّ تَأْخِيرَ لَفْظِ الشَّارِعِ إِلَى مَا بَعْدَ حَدُوثِ سَبَبِهِ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ السَّبَبَ
هُوَ الْمَحْذُورُ وَحَدَّةٌ لِلشَّارِعِ فِي الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِهَذَا اللَّفْظِ الْحَامِّ النَّازِلِ
فِيهِ . وَالْأَلَمَّا رُبَّمَا بِالسَّبَبِ ، بَلْ لَا نَزْلَهُ قَبْلَهُ أَوْ آخِرَهُ مِنْهُ .

[والجواب : أَنَّهُ لَا يَكْفِي فِي حِكْمَةِ تَأْخِيرِ الْبَيَانِ إِلَى مَا بَعْدَ
السَّبَبِ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ الْحَامُّ بَيَانًا لَهُ ، وَلَوْ مَعَ مَا يَشَابُهُ ، مِنْ كُلِّ مَا
يَنْدَرِجُ تَحْتَ اللَّفْظِ الْحَامِّ . وَلَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ بَيَانًا لِمَا
وَحْدَهُ كَمَا ذَكَرْتُمْ .]

[الشُّبْهَةُ الرَّابِعَةُ :

يَقُولُونَ : قَدْ اتَّفَقَتْ كَلِمَةُ الْفُقَهَاءِ عَلَى أَنَّهُ إِذَا دَعَا رَجُلٌ رَجُلًا
آخَرَ إِلَى دَعَاءٍ وَقَالَ لَهُ : تَعَدَّ هُنْدِي فَرَفَضَ وَقَالَ : " وَاللَّهِ
لَا أَتَعَدِّي " وَلَمْ يَقُلْ : " مِنْدَكَ " ثُمَّ تَنَازَلَ الدَّعَاءُ عَنْ هَذَا الدَّاعِي
فَأَنَّهُ لَا يَحْتَكُّ . وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ هَذَا اللَّفْظَ الْحَامَّ قَدْ تَخَصَّصَ بِسَبَبِهِ ،
وَهُوَ كَلِمَةُ " تَعَدَّ " هُنْدِي " الَّتِي عَصَى بِهَا الدَّاعِي نَفْسَهُ . فَكَأَنَّ الْحَالِفَ
قَالَ : " لَا أَتَعَدِّي عَنْدَكَ وَحَدَّكَ " . وَلِذَلِكَ لَا يَحْتَكُّ بِخُدَاةِ عَنْدِ فِيرِهِ .

[والجواب : أَنَّ حكم الفقهاء في هذا المثال ليس منبئاً على أَنَّ كُلَّ عامٍ يَتَخَصَّصُ بسببه كما فهمتم . بل هو مبنيٌّ على أَنَّ هذا المثالَ وأشباهَهُ تَخَصَّصُ بقريئة خارجة ، وهي حُكْمُ الْعُرْفِ ههنا بأنَّ الحالفَ إنما يريد تركَ الفداء عند دأبيه فقط . وليس كلامنا فيما تَخَصَّصُ بقريئة خارجة سواء أكانت العرف أم سواه ، فذلك محلُّ وفاقٍ ونظيره أن يقال لك : " كَلَّمْتُ فُلاناً في واقعة معينة " فتقول : " وَاللَّهِ لَا أَكَلَّمُهُ أَبَدًا " فَإِنَّكَ لَا تَحْنُتُ إِذَا كَلَّمْتَهُ فِي غَيْرِ تِلْكَ الْوَاقِعَةِ ، لِأَنَّ الْعُرْفَ يَحْكُمُ أَيْضًا بِأَنَّكَ تَرِيدُ عَدَمَ تَكْلِيمِهِ فِي خُصُوصِ تِلْكَ الْوَاقِعَةِ لَا مُتْلَقًا .

[الشبهة الخامسة :

يقولون : إِنَّ التَّطَابُقَ بَيْنَ السُّؤَالِ وَجَوَابِهِ وَاجِبٌ فِي غُلْظِ الْحِكْمَةِ ، وَحُكْمِ قَانُونِ الْبَلَاغَةِ . وَهَذَا التَّطَابُقُ لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا بِالتَّسَاوِيِ بَيْنَ لَفْظِ الْعَامِّ وَسَبَبِهِ الْخَاصِّ . وَالتَّسَاوِيِ لَا يَكُونُ إِلَّا إِذَا غَضَّصْنَا اللَّفْظَ الْعَامَّ بِسَبَبِهِ الْخَاصِّ . لَا سِيَّمًا إِذَا وَقَعَ ذَلِكَ فِي كَلَامِ الشَّارِعِ الْحَكِيمِ ، وَجَاءَ أَرْقَى نُصُوصِ الْبَلَاغَةِ رَوَّاعِدِمَا إِعْجَازًا ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ .

[والجواب : أَنَّ طَرْدَ الْعَامِّ عَلَى عُمُومِهِ لَا يُخْلِلُ بِمُطَابَقَتِهِ لِسَبَبِهِ الْخَاصِّ . لِأَنَّ هَذِهِ الْمُطَابَقَةَ تَحْصُلُ بِكَوْنِ اللَّفْظِ أَعْمَ مِنْ سَبَبِهِ ، كَمَا تَحْصُلُ بِمَسَاوَاتِهِ إِيَّاهُ . فَإِنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْمُطَابَقَةِ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ

مبيّنًا لحكم السبب ، وغير قاصر عن الوفاء به . وهو إذا جاء أعظم
يكون قد وثى بالمراد وزاد (أ هـ من " مناهل العرفان " (١)

ولنا بعد هذا أن نتساءل : ما الذى يترتب على القولين ؟

والجواب أن الذى يترتب على القولين هو أن القائلين بأن
الصبرة بعموم اللفظ يُثبتون به كل ما يندرج تحته ، وحينئذ فلا إشكال .

أما القائلون بخصوص السبب والحاق ما سواه بالقياس فإنهم
يحصرونه فيما يثبت بالقياس لا بالنص . وعليه فالحدود تُثبت بالقياس ،
وكذلك التكفارات . والحقيقة أن شيئاً من ذلك لا يثبت بالقياس . لأن
ذلك من الضرر مافيه . وهو غير جائز لأن أكثر الأصوليين والفقههاء
يرفون أن الحدود والتكفارات لا تثبت بالقياس ، لأنه ظني ، وفيه
شبهة والحدود تُدّرأ بالشبهات .

على أن أقوى ما استدل به هؤلاء ، الثالث والرابع ، مع أن
الرابع أفعال ، والأفعال لا عموم فيها على الراجح ، بل العموم
ما يكون على جهة التساوى ، والفعل يدل على مجرد الحقيقة .
أما الثالث ، فإنّ البيان أعظم من أن يكون مساوياً أو أكثر شمولاً .
والذى أراه - بعد النظر في أدلة الفريقين - أن رأى الراجح
هو ما ذهب إليه الجمهور من أن الدمرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب . وذلك لما قدموا من أدلة قوية تسند مذهبهم وتجعله راجحاً
على ما سواه .

الباب الثاني

في طريقه معرفة السبب

وفيه تهرست فصول:

الفصل الأول:

في الروايات التي وردت

في أسباب النزول

وقيمتها

الفصل الأول

الروايات التي وردت في أسباب النزول وفيها

لما كانت الروايات التي وردت في أسباب النزول من الكثرة بحيث لا يتسع لتحقيقها فصلٌ كهذا ، فسأتناولها على النحو التالي :

١ / ما ورد في الصحيحين : وسأكتفي منه بعشرة أمثلة

٢ / ما وافق ما في الصحيحين : وسأقتصر فيه على عشرة أمثلة

أيضاً، مبينا قيمة الحديث بعد موافقته لما في الصحيحين .

٣ / ما لم يوافق - أو ما يخالف - ما في الصحيحين :

وسأكتفي منه بعشرة أمثلة .

٤ / ثم أقوم باحصاء مجمل لهذه الأقسام الثلاثة .

وفيما يلي تفصيل ذلك :

أولاً : ما ورد في الصحيحين :

وأكتفي منه بالأمثلة العشرة التالية :

١ / قوله تعالى : (أَجِلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ، عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ) (١)

قال الإمام البخاري : (حَدَّثَنَا عُثَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ (٢)

(١) سورة البقرة (١٨٧)

(٢) هو ابن يونس

عن أبي إسحاق (١) عن البراء رضى الله عنه قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائما فحضر الإفطار فنام قبل أن يُفطِر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي . وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائما ، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها : أعينك طعام ؟ قالت : لا ، ولكن أنطلق فأطلب لك ، وكان يومه يعمل ، فغلبته عيناه ، فقالت : خيبة لك . فلما انتصف النهار فُشِيَ عليه ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية " أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ اِرْكُثْ إِلَى نِسَائِكُمْ " ففرحوا بها فرحا شديدا . ونزلت : " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ " . (٢)

قلت : هذا الحديث من مسند الجامع الصحيح الذي لا يحتل آية طقة بسبب انقطاع ، أو إرسال ، أو إيهام في السند ، أو فسر ذلك من سائر العلل التي قد تقدح في السند . وفي هذا الحديث تأكيد لمبدأ التيسر ورفع الحرج كما قرره الاسلام إجمالا بقوله تعالى : (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (٣) وقوله (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ الدِّينَ مِنْ حَرَجٍ) (٤) ونزول الآية طقبت الواقعة مباشرة يؤكد أن الواقعة نص في سبب النزول .

-
- (١) شعرو بن عبد الله السبيعي
 (٢) صحيح البخاري ٣١/٥ - كتاب الصيام ، باب قوله جل ذكره :
 (أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ اِرْكُثْ ...)
 (٣) سورة البقرة (١٨٥)
 (٤) سورة الحج (٧٨)

٢٢ قوله تعالى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ) (٠٠)

إلى آخر السورة (١)

قال الإمام مسلم رحمه الله : (حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مِنْهَالٍ الضَّرِيرُ ، وَأُمِّيَّةُ بْنُ بَسْطَامٍ الْحَمَشِيُّ ، وَاللَّفْظُ لِأُمِّيَّةَ قَالَا : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، حَدَّثَنَا زَيْدٌ - وَهُوَ ابْنُ الْقَاسِمِ - عَنْ الْقَلَاءِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدَّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفَّوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيُخَفِّرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (٢) قال : فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا : أَيْ رَسُولَ اللَّهِ ، كَلَّفْنَا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ : الصَّلَاةَ ، وَالصِّيَامَ ، وَالْجِهَادَ ، وَالصَّدَقَةَ ، وَقَدْ أُنزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ ، وَلَا نُطِيقُهَا . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلَكُمْ : " سَمِعْنَا وَصَعَيْنَا " ؟ بَلْ قُولُوا : " سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا فُفْرَأْنَاكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ . فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ (٣)

(١) سورة البقرة (٢٨٥ ، ٢٨٦)

(٢) سورة البقرة (٢٨٤)

(٣) ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ : أَيْ تَلَوَهَا فِي يُسْرٍ وَسَهْوَةٍ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِكُمْ " آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ
كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ بِهِ وُكُوبَهُ وَرُسُلِهِ ، لَا تَفْرُقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ
وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ " فلما فعلوا ذلك
نسخها الله تعالى فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : " لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ بَسِينَا
أَوْ أَخْطَأْنَا " قال : نعم ، " رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِبْرَارًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا " قال : نعم ، " رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَآلَاطَةً لَنَا بِهِ
وَاعْفُ عَنَّا ، وَاعْفِرْ لَنَا ، وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ " قال : نعم (١)

قلت : وهذا الحديث - أيضا - مسند ، لا يرتاب أحد في
صحته . ولقد تَوَخَّى الإمامُ مسلمُ فيه الدقةَ والأمانةَ حيثُ أَسْنَدَ اللَّفْظَ
إِلَى قَائِلِهِ ، وَإِنْ رَوَاهُ عَنْ اثْنَيْنِ فِي أَوَّلِ السَّنَدِ .

وفيه واقعةٌ بحينها ، وهى فتحُ الصحابةِ من تكليفِ يشق عليهم
أو يصعب القيام به ، فلجأوا إلى مُقَرِّصِهِمْ بِسُتُورِهِمْ ما خَفِيَ عَلَيْهِمْ
من قوله تعالى : " وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوا بِحَاسِبِكُمْ بِهِ
اللَّهُ " ولم يكن عند النبی صلی الله عليه وسلم من إِيضَاحٍ ، فَأَمَرَهُمْ

(١) صحيح مسلم بشرح : نخوى ١٤٤ / ٢ كتاب الإيمان ، باب تجاوزِ
الله تعالى عن حديث النفس .

بالطاعة حتى لا يتعرضوا لعقاب نزل بغيرهم من اليهود الذين شاقوا
الله ورسوله . ثم علمهم ما يقولونه فامتثلوا ، فخفف الله عنهم وأوضح
لهم ما كانوا يسألون منه في قوله تعالى : " لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا
إِلَّا وُسْعَهَا .

وقول الراوى : (نسخها الله تعالى) يجعلنا نقف متأملين
هل بين الآيتين تعارض حتى يكون نسخاً بالمعنى الاصطلاحي ؟
أو أن النسخ عند المتقدمين يشمل تخصيص الحام وتبيين المجل ؟
وهذا هو الظاهر . وعلى كلٍّ فهذه الرواية نص في سبب النزول .
٣ / قوله تعالى : (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ . . .) (١)

قال الإمام مسلم : (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْرُوفٍ مِيسِرَةُ الْقَوَارِيرِيُّ
حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْجٍ ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْوَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ
عَنْ صَالِحِ أَبِي الْخَلِيلِ ، عَنْ أَبِي طَلْقَةَ الْهَاشِمِيِّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ
الْخَدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَوْمَ حَنْينَ ، بَصَحَ
جَيْشًا إِلَى أُودُوسَ (٢) فَلَقُوا حُدُودًا فَقَاتَلُوهُمْ فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ ،
وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا . فَكَانَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَخَرَّجُوا مِنْ فِئَتَيْنِ ، مِنْ أَجْلِ أَزْوَاجِهِنَّ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ " وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ " أَيْ فَهِنَّ لَكُمْ حَلَالٌ إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ " (٣)

(١) سورة النساء (٢٤)

(٢) أُودُوسَ : موضع عند الطائف .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٠ / ٣٤ كتاب الرضاع ، باب جواز
وطء المسيية .

وفى هذا الحديث الصحيح الذى رواه الإمام مسلم رفع الله تعالى الحرج عن المسلمين ، وأباح لهم فُشْيَان ما ملكت أيماهم من نساء المشركين ، بعد انقضاء عدتهن بالاستبراء بحبضة واحدة أو بوضع الحمل .

وكانوا قد تخرجوا من فُشْيَانِهِنَّ لكونهِنَّ متزوجات قبل الأسر ، وهذا هو المراد بإحصائِهِنَّ . فلما علم الله ذلك منهم رفع الحرج عنهم بنزول هذه الآية الكريمة . ومن ثم جاء هذا الحديث الشريف مبيناً سبب نزولها .

٤ / قوله تعالى : (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَصَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَسَّاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (١)

قال الإمام مسلم رحمه الله : (حَدَّثَنِي حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو ثَوْبَةَ ، حَدَّثَنَا معاوية بن سلام ، عن زيد بن سلام انه سمع ابا سلام قال : حَدَّثَنِي النعمان بن بشير قال : كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل : ما أبالي أن لا أكملَ عملاً بحدِّ الإسلام إلا أن أشقى الحجاج . وقال آخر : ما أبالي أن لا أكملَ عملاً بحدِّ الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام . وقال آخر : الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم . فزجرهم عمر وقال : لا ترفصوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يوم الجمعة ، ولكن إذا صليت الجمعة خلت فاستفتيته فيما اختلفتم

فيه . فَأَنْزَلَ اللَّهُ مَزَّوَجَلَّ [أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .] الآية إلى آخرها (١) .

قلت : وفي هذا الحديث بيان لفضل الجهاد في سبيل الله
وهو شأنه في الإسلام . وقد كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم
حسبوا أن سقاية الحاج وعِمارة المسجد الحرام خير مما يكتسبها
المسلم بعد النطق بالشهادتين . ولما كان الإسلام هو الرسالة
الخاتمة التي ينبغي نشرها في كل بقاع الأرض ، فإن واجب المسلمين
يصبح أكبر من أن يحضروا في عِمارة المساجد وإكرام الضيوف ، لأن
هذين الأمرين - مع عظمتيهما - لا يكفيان لنشر الإسلام . فكان لابد
من اتخاذ وسيلة تقى بهذا الخضوض الجليل ، ومن ثم شرع الجهاد
في سبيل الله .

وينزل هذه الآية : الكريمة اكتمل تصوُّر أولئك الأصحاب
إلكرام لواجبهم الشرعي على الوجه الذي يحقق شمول الإسلام وكماله

ه / قوله تعالى : (وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ) (٢)

فقال الإمام البخاري رحمه الله : (حَدَّثَنَا ابْنُ نَعِيمٍ ، حَدَّثَنَا
عُمر بن ذَرٍّ ، قَالَ سَمِعْتُ أَبِي ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَجَبْرِيلَ :
مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مَا تَزُورُنَا ؟ فَنَزَلَتْ : " وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ
رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا... " (٣)

(١) صحيح مسلم ٢٥ / ١٣ ، كتاب الإمارة ، باب فضل الشهادة

(٢) سورة مريم (٦٤)

(٣) (صحيح البخاري ١١٨ / ٦ ، كتاب التفسير ، باب : [وَمَا نَنْتَزِلُ

إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ]

قلت : وهذا الحديث المسند الذي رواه الإمام البخارى يدل
دلالة واضحة على فائدة معرفة سبب النزول . فإن القارئ لهذه
الآية والآية التى قبلها يصعب عليه الربط بينهما قبل أن يحسب
سبب النزول .

فالآية السابقة - ومعنى قوله تعالى : (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ
عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا) - وثيقة الصلة بما قبلها من قول الله تعالى :
" جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالتَّقِيَّ " . (١) لكون
الكلام منصبا على وصف الجنة فى الكل .

أما قوله تعالى : " وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ " فمحتاج إلى بيان
لأنه كلام مستأنف .

ومن ثم جاء هذا الحديث الشريف ليبين أن الآية نزلت بسبب
سؤال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام .

والمناسبة التى تربط هذه الآية بما قبلها : أن ما قبلها وعدت
بالجنة لمن كان تقيا أخلص عبادته لربه . ومن دلائل إخلاص العباد
ومناظر التقوى تعلق القلب بكل ما هو عند الله . ومن ثم تشوق
نفس النبى صلى الله عليه وسلم أكثر لزيادة جبريل أمين الوحي
من زيارته ، فهو ينزل عليه بآيات هى ركائز التقوى ، ووسائل المعرفة
الصحيحة الموصلة إلى عبادة الله تعالى مبيّنة الآية الثانية أن جبريل
عابد لله مؤتمرا بأمره ، وأنه مملوك لله كسائر المخلوقات ، وأن الله
تعالى لا يشقى عباده ولكنه ينزل وحيه عند ما يشاء .

٦ / قوله تعالى : (وَلَا تَكْرِهُوا قِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ...) (١)
 قال الإمام مسلم : (حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ (٢)
 جَمِيعًا عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ (٣) وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ : حَدَّثَنَا أَبِي مُعَاوِيَةَ ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ (٤) عَنْ أَبِي سَفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : كَانَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْ سَلُولٍ يَقُولُ لَجَارِيَةٍ لَهُ : اذْهَبِي فَاثْبُغِينَا شَيْئًا
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَلَا تَكْرِهُوا قِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ
 تَحْصُنَا لِنَتَّبِعُنَا مَرْضَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ
 إِكْرَاهِهِنَّ - لَهُنَّ - فَفُورٌ رَحِيمٌ) (٥)

قلت : وهذا بيان آخر لسبب النزول ورهت في هذا الحديث
 المسند الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله . وفيه صيانة للـمـسـرـوـض
 وحفاظ على الشرف والكرامة والحقة .

ومعلوم أن لفظ " لَهُنَّ " في قوله : " فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ -
 لَهُنَّ - فَفُورٌ رَحِيمٌ " ليس من الآية وإنما هو تفسير وبيان (٦)

-
- (١) سورة النور (٣٣)
 (٢) هو محمد بن العلاء الهمداني .
 (٣) هو محمد بن خازم الضرير .
 (٤) هو سليمان بن مهران .
 (٥) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٢ / ١٨ كتاب التفسير ، سورة النور .
 (٦) قال الامام النووي في شرحه لصحيح مسلم ١٦٣ / ١٨ : (هكذا
 وقع في النسخ كلها : " لَهُنَّ ففورٌ رحيمٌ " وهذا تفسير لم يرد به
 أن لفظة " لَهُنَّ " منزلة ، فإنه لم يقرأ بها أحد . وإنما هي
 تفسير وبيان يردان المغفرة والرحمة لَهُنَّ لكونهن مكرهات لا لهن
 إكراههِنَّ .

والمعنى : أن الله تعالى غفور لِهؤلاء الفتيات ؛ رحيم بهن ،
لحلمه بأنهن مكرهات على فعل الفاحشة . وقوله " غفور " يدل على
أنَّ اليفاء إثم لم يَجْزِ إكراهه ، وإنما الإكراه رَفَعُ العقاب ، فليس الإكراه
من أسباب الإباحة ، بل هو من أسباب رفع العقاب .
والفرق بينهما : أن أسباب الإباحة ترجع إلى الفعل ، أما رَفَعُ العقاب
فراجع إلى الفاعل .

٧ / قوله تعالى (إِنَّ الشَّرَّكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (١) قال الإمام البخاري
(حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ (٢) قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ " ح " قَالَ : وَحَدَّثَنِي
يَشْر (٣) قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّد (٤) عَنْ شُعْبَةَ (٥) عَنْ سُلَيْمَانَ (٦)
عَنْ إِبْرَاهِيمَ (٧) عَنْ طَلْقَةَ (٨) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ (٩) قَالَ : لَمَّا
نَزَلَتْ " الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ " (١٠) قَالَ أَصْحَابُ

(١) سورة لقمان " ١٣ "

(٢) هو الثعالبي .

(٣) هو بشر بن خالد الحسكي .

(٤) هو محمد بن جعفر المعروف بِخُنْدَر .

(٥) هو شعبة بن الحجاج .

(٦) هو سليمان بن مهران الأعمش .

(٧) هو إبراهيم بن يزيد النخعي .

(٨) هو طلقة بن قيس النخعي .

(٩) هو عبد الله بن مسعود .

(١٠) سورة الأنعام (٨٢)

رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَيْنَمَا لَمْ يَظْلَمْ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ " إِنْ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " (١)

قلت : هذا الإسناد من أصح الأسانيد كما وصفه الإمام الحافظ ابن حجر بقوله : (فى هذا الإسناد رواية ثلاثة من التابعين بعضهم من بعض . وهم : الأعمش ، عن شعبه إبراهيم بن يزيد النخعي ، من عالم طقمة بن قيس النخعي . والثلاثة كوفيون فقهاء . وعبد الله الصحابي هو ابن مسعود . وهذه الترجمة أحد ما قيل فيه إنه أصح الأسانيد) (٢)

وهذه الآية الكريمة دلت على أنفس الصحابة رضوان الله عليهم ، حيث كانوا قد فهموا من قوله تعالى : " الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ " أنهم فى ودداد الظالمين ، فنزلت هذه الآية مبينة أن المراد بالظلم هنا هو الشرك . فادلمأنت نفوسهم بسبب نزول هذه الآية . وزال عنهم ما اعتراهم من خوف وقلق .

وفى هذا دليل على تخصيص عموم القرآن بالقرآن ، حيث إن الظلم فى الآية الأولى نكرة وقعت فى سياق النفي ، فتعم . ثم جاءت الآية الثانية فخصصت المراد بالظلم الذى لا يجمع الإيمان ، بأنه شرك .

(١) صحيح البخارى : ١ / ١٤٤ كتاب الإيمان ، باب ظلم دون ظلم

(٢) فتح البارى : ١ / ٨٨

٨ / سورة الفتح :

قال الإمام البخارى رحمه الله : (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَقَ السُّلَمِيُّ حَدَّثَنَا يَحْيَى (١) ، حَدَّثَنَا عَبْدِ الْحَزِيزِ بْنُ سَيَّاهٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ : أَتَيْتُ أَبَا وَائِلٍ أَسْأَلُهُ ، فَقَالَ : كُنَّا بِصِفِّينَ (٢) فَقَالَ رَجُلٌ : أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : نَعَمْ . فَقَالَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ : اتَّبِعُوا أَنْفُسَكُمْ فَلَقَدْ رَأَيْنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ - يَعْنِي الصَّلَاحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُشْرِكِينَ - وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا . فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ؟ أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ ؟ قَالَ : بَلَى . فَقَالَ : فَرِيقٌ أُعْطِيَ الدُّنْيَا فِي دِينِنَا ، وَنَرْجِعُ وَلَمَّْا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا ؟ فَقَالَ : يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، إِنَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَنْ يُضَيِّقَنِي اللَّهُ أَبَدًا . فَرَجَعَ مُتَفَظِّظًا ، فَلَمْ يَصِرْ حَتَّى جَاءَ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ ، وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يَضِيقَهُ اللَّهُ أَبَدًا ، فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ (٣)

(١) هُوَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الطَّنَافِسِيِّ .

(٢) مَدِينَةُ عَلِيِّ شَاطِئِ الْفَرَاتِ .

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ١٧٠ / ٦ ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ ، بَابُ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا «

قلت : هذا الحديث من رواية الصحابي الجليل سهل بن حنيف
وقد رواه في وقعة صفين محدثاً من أنكروا التحكيم على علي رضي الله
منه، ومذكراً لهم بما وقع من الصحابة يوم الحديبية من إنكار بعضهم
للمصلح مع المبشرين مع ما فيه من الفوائد التي ظهرت لهم فيما بعد،
وأن الله أيد رسوله بالوحي فأنزل عليه سورة الفتح .

قال الحافظ ابن حجر : (قوله : " وقال سهل بن حنيف :
اتهموا أنفسكم " أي في هذا الرأي ، لأن كثيراً منهم أنكروا التحكيم
وقالوا : لا حكم إلا لله ، فقال علي : " كلمة حق أريد بها باطل " .
وأشار عليهم كبار الصحابة بمطابقة علي وأن لا يخالف ما يشر به لكونه
أعلم بالمصلحة . وذكر لهم سهل بن حنيف ما وقع لهم بالحديبية ،
وأنهم رأوا يومئذ أن يستمروا على القتال ويخالفوا ما دُعوا إليه من
المصلح . ثم ظهر أن الأصلح هو الذي كان شرع النبي صلى الله
عليه وسلم فيه) (١)

٩ / قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ
أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) (٢)

(١) فتح الباري ٨ / ٨٨٨

(٢) سورة الحجرات (٢)

قال الإمام البخارى رحمه الله : (حَدَّثَنَا بَسْرَةُ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ جَمِيلٍ
الْكُفَيْيُّ ، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عَمْرِو (١) عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ (٢) قَالَ :
كَادَ الْخَيْرَانِ أَنْ يَهْلِكََا - أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - رَفَعَا أَصَوَاتَهُمَا
عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ . فَأَشَارَ
أَحَدُهُمَا بِالْأَقْرِعِ بْنِ حَابِسٍ ، أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ ، وَأَشَارَ الْآخَرُ بِرَجُلٍ
آخَرَ - قَالَ نَافِعٌ : لَا أَحْفَظُ اسْمَهُ - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ : مَا أَرَدْتَ إِلَّا
خِلَافِي . قَالَ : مَا أَرَدْتُ شَيْئًا خِلَافَكَ . فَارْتَفَعَتْ أَصَوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ
فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ) . . .) الْآيَةُ .
قَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : فَمَا كَانَ عُمَرُ يَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حَتَّى يَسْتَفْتِيَهُ . وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ : يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ (٣)

قلت : هذا حديث مسند متصل . وإن كان ظاهره الإرسال
لروايته عن ابنِ أَبِي مُلَيْكَةَ التَّائِبِيِّ . فَإِنَّ قَوْلَهُ فِي صُلْبِ الْحَدِيثِ :
(قَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ) يَسُدُّ عَلَى اتِّصَالِهِ .

وهذا الحديث مع بيانه لسبب النزول ، يدلُّ على مدى إزعاج
الصحابه لأمير الله تعالى ، وتأديبهم مع رسوله صلى الله عليه وسلم .

(١) هو نافع بن عمر الجصفي المكي .

(٢) هو عبد الله بن أبي مُلَيْكَةَ .

(٣) صحيح البخارى (١٧١/٦) كتاب التفسير ، باب لَا تَرْفَعُوا
أَصْوَاتَكُمْ تَوَقَّ صَوْتَ النَّبِيِّ .

١٠ / قوله تعالى : (وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ) (١)

قال الإمام مسلم : (حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْمَنْبَرِيُّ ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ - وَهُوَ ابْنُ عَفَّارٍ - حَدَّثَنَا أَبُو زُمَيْلٍ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ : مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِسَةً وَمِنْهُمْ كَافِرٌ : قَالُوا : هَذِهِ رَحْمَةٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَقَدْ صَدَقَ نَبُوهُ كَذَا وَكَذَا . قَالَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ " فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ " (٢)
حتى بلغ " وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ " (٣)

قلت : هذا حديث سند رواه الإمام مسلم رحمه الله في سبب نزول هذه الآية الكريمة.

قال الامام النووي رحمه الله : (ليس مراده أن جميع هذا نزل في قولهم في الأنواء) وإنما النازل في ذلك قوله : " وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ " والباقي نزل في غير ذلك . ولكن اجتمعنا في وقت النزول فذكر الجميع من أجل ذلك (٥)

(١) سورة الواقعة (٨٢) -

(٢) سورة الواقعة (٧٥) -

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي " ٦١ / ٢ " ، كتاب الإيمان ، باب

بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .. وذلك من تشبيه القائل بالمطر [صحيح مسلم] (٤) الأنواء : جمع نوء ، وهو النجم .
(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (٦٣ / ٢) [بشرح النووي ٦١ / ٢]

والحديث فيه تصحيح لعقيدة المسلم . فقد كان البعض يرجعون نزول المطر إلى الأَنْوَاء ، فتبهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خطأ اعتقادهم . وأنزل الله هذه الآية الكريمة تأييداً لرسوله صلى الله عليه وسلم .

ثانياً : ما والى ما فى الصحيحين (١)

١- قوله تعالى : (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْحُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ...)
الآية (٤)

قال الإمام السيوطي رحمه الله : (أخرج ابن أبي حاتم عن صفوان بن أمية قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم متضجاً بالزعفران ، عليه جبة . فقال : كيف تأمرني يا رسول الله في همرتي ؟ فأنزل الله : (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْحُمْرَةَ لِلَّهِ) فقال : أين السائل عن الحمر ؟ قال : ههنا نذا . فقال له : ألق عنك ثيابك ، ثم ائتسل واستنشق ما استطعت ، ثم ما كنت صانعاً في حجك فاصنعهُ فسي عمرتك (٣)

(١) المراد بالموافقة هنا : أن يكون للحديث أصل في الصحيحين أو في أحدهما .

(٢) سورة البقرة (١٩٦)

(٣) لباب النقول ص (٢٦)

قلت : هذا الحديث له أصل في الصحيحين (١) وذلك ما رواه
 الشيخان ، واللفظ للبخاري قال : (حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، حَدَّثَنَا
 هَمَّامٌ عَنْ عَطَاءٍ قَالَ : حَدَّثَنِي صَفْوَانُ بْنُ يَحْيَى مِنْ أُمِّهِ - يَعْنِي عَنْ
 أَبِيهِ - أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِالْجِوْرَانِسَةِ
 عَلَيْهِ جُبَّةٌ ، وَعَلَيْهِ أَثَرُ الْخُلُقِ (٤) - أَوْ قَالَ صُفْرَةٌ - فَقَالَ : كَيْسَفُ
 تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي عِمْرَتِي ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فَسُتِرَ بِثَوْبٍ وَوُيِّرَتْ أُنَى قَدْ رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أُنْزِلَ
 عَلَيْهِ الْوَحْيُ . فَقَالَ عُمَرُ : تَعَالَى : أَيْسُرُكَ أَنْ تَنْتَظِرَ إِلَى النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَرَفَعَ
 طَرَفَ الثَّوْبِ فَتَنَظَرْتُ إِلَيْهِ لَهُ فَطَيْدٌ - وَأَحْسَبُهُ قَالَ : كَفَطِيطٍ الْبَكْرِ - (٥)
 فَلَمَّا سَرَى مِنْهُ قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الْحُمْرَةِ ؟ اخْلَعْ عَنْكَ الْجُبَّةَ ، وَافْسِلْ
 أَثَرَ الْخُلُقِ عَنْكَ ، وَأُنَقِ الصُّفْرَةَ (٦) وَاصْنَعْ فِي عِمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي -
 - حَجَّكَ (٧)

-
- (١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٧٦/٨ ، كتاب الحج -
 (٢) هو هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى بْنِ دِينَارٍ .
 (٣) هو عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِيَّاحٍ .
 (٤) الْخُلُقُ - بفتح الخاء - نوع من الطيب .
 (٥) الْفَطِيطُ : صوت كصوت النائم الذي يُرْكَبُ مَعْ نَفْسِهِ ، وَالْبَكْرُ
 - بفتح الباء - الْفَتَى مِنَ الْإِبِلِ " صحيح مسلم ٧٦/٨ -
 (٦) أُنَقِ الصُّفْرَةَ : من النقاء ، وهو النظافة .
 (٧) صحيح البخاري (٦/٣) كتاب العمرة ، باب يُفْعَلُ فِي الْعِمْرَةِ
 مَا يُفْعَلُ فِي الْحَجِّ .

والملاحظ أنَّ هذين الحديثن متكاملان ، يفسر كلاهما الآخر .
فرواية البخاري تفصل ما أُجمل في رواية ابن أبي حاتم ، وذلك على
النحو التالي :-

أولاً : بيتت رواية البخاري أنَّ صفوان بن أمية ^{الذكرى رواية أبيه أبي حاتم} هو صفوان بن يحيى بن
أمية ، كما أثبت أيضاً أنه روى الحديث عن أبيه .

ثانياً : ذكرت رواية البخاري مكان الحادثة وهو الجحرانة ، وزادت
على ذلك بذكر ما دار من حوار بين عمر بن الخطاب والرجل المستفسر
ثالثاً : أشارت الرواية إلى طَرفٍ من كيفية نزول الوحي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وفي الجانب الآخر نجد رواية ابن أبي حاتم تبين ما أُجمل في
رواية البخاري . وذلك قول الراوي تارةً : (فأنزل الله على النبي
صلى الله عليه وسلم " وقوله تارةً أخرى : " وقد أنزل الله عليه الوحي "

فالمنزل في العبارة الأولى غير مبين ، وكلمة الوحي في العبارة
الثانية تحتاج إلى بيان أيضاً . ومن ثم جاءت رواية ابن أبي حاتم
لتبين هذا الإبهام في قول الراوي : " فأنزل الله : وأتوا الحجاج
والخفرة لله " .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (قوله : " كيف تأمرني " لم
أن أصدعني عمري ؟ فأنزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم " لم
أقف في شيء " من الروايات على بيان المنزل حينئذٍ من القرآن . وقد

استدل به جماعة من الصلحاء على أن من الوعى ما لا يُتلى . لكن وقع عند الطبراني في الأوسد من طريق أخرى أن المنزل حينئذ قوله تعالى : **وَاتِمُّوا الْحَجَّ وَالْحُمْرَةَ لِلَّهِ** (١)

قلت : ما نقله ابن حجر عنا عن الطبراني يُقَوِّى رواية ابن أبي حاتم التي نصت على سبب النزول . وهاتان الروايتان تُصَوِّرَان تفصيلاً لما ورد مجملًا في رواية الإمام البخاري المتقدمة . وبمجموع الروايات الثلاث نستطيع أن نستيقن من إثبات النص على سبب النزول .

٢ / قوله تعالى : **(وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ خَافِئَةً مِنْهُمْ مَكَكًا)** (٢)

قال الإمام أحمد رحمه الله : (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ (٣) ، ثنا الشَّوْزِيُّ عن منصور (٤) عن مجاهد ، عن أَبِي قِيَاسٍ الزُّرْقِيِّ (٥) قال : كُنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بِحُسْفَانَ ، فاستَقْبَلَنَا المشركون عليهم خالد بن الوليد ، وهم بيننا وبين القبلة ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، فقالوا : قد كانوا على حالٍ لو أَصْبْنَا فِرْتَهُمْ ، ثم قالوا : تأتي عليهم الآن صلاةٌ هي أَحَبُّ إِلَيْهِمْ

(١) فتح الباري ٦١٤/٣

(٢) سورة النساء ١٠٢

(٣) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع -

(٤) هو منصور بن الحنظل بن عبد الله السلمي .

(٥) هو زيد بن الصامت الزُّرْقِيُّ الانصاري أبو قِيَاسٍ الصحابي الجليل .

شهد موقعة أُحُد وما بعدها من المشاهد ، وحاش إلى خلافة

معاوية بن أبي سفيان (الإصابة ١٤٢/٤)

من أبنائهم وانفسهم ، قال : فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات بين الظهر والعصر : " وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ " قال : نحضرت ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا السلاح . قال : فصففنا خلفه صفين . قال : ثم ركع فركعنا جميعاً ، ثم رفع فرفعنا جميعاً ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالصف الذي يليه ، والآخرين قيام يحرسونهم ، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ، ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء ، وجاء هؤلاء على مصاف هؤلاء . قال : ثم ركع فركعوا جميعاً ، ثم رفع فرفعوا جميعاً ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم والصف الذي يليه ، والآخرين قيام يحرسونهم ، فلما جلس جلس الآخرون فسجدوا ، فسلم عليهم ثم انصرف . قال : فصلاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : مرة بمشغان ، ومرة بأرض بنى سليم (١)

قلت : هذا الحديث له كُرَاصِلٌ في مواطن من صحيح الإمام البخاري (٢) وسأكتفي بإيراد روايتين فيما يلي —

أ / قال رحمه الله في كتاب الخوف :

(باب صلاة الخوف وقول الله تعالى : " وَإِذَا ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا . وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْكُمْ رُكُوعًا وَلْيَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ)

(١) مسند الإمام أحمد ٥٩ / ٤٠ و ٦٠

(٢) انظر صحيح البخاري : كتاب التفسير ، باب قوله " إِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا " وكتاب الخوف ، باب صلاة الخوف ، وكتاب العقازي ، باب فزوة ذات الرقاع .

وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَنفَلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً
وَاحِدَةً ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ
تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَمَدٌ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُبِينًا (١)

(حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ (٢) قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبُ (٣) عَنْ

الزُّهْرِيِّ قَالَ : سَأَلْتُهُ هَلْ صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٢ - بِعَنْ
صَلَاةِ الْخَوْفِ - قَالَ أَخْبَرَنِي سَالِمٌ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
قَالَ : غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ نَجْدِ فَوَازَيْنَا
الْعَدُوَّ وَفَصَّافَتَنَا لَهُمْ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصَلِّي لَنَا ،
فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مَعَهُ تَصَلِّي ، وَأَقْبَلَتِ طَائِفَةٌ عَلَى الْعَدُوِّ ، وَرَكَعَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ مَعَهُ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ، فَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ فَرَكَعَ لِنَفْسِهِ رُكْعَةً وَبَجَدَ سَجْدَتَيْنِ (٤))

ب/ وَقَالَ - أَيْضًا - فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ : (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَوْسُفَ

أَخْبَرَنَا مَالِكٌ ، عَنْ نَافِعٍ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ إِذَا
سُئِلَ عَنْ صَلَاةِ الْخَوْفِ قَالَ : يَتَقَدَّمُ الْإِمَامُ وَطَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ فَيُصَلِّي

(١) سُورَةُ النِّسَاءِ (١٠١ - ١٠٢)

(٢) هُوَ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ -

(٣) هُوَ شُعَيْبُ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ -

(٤) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ١٧/٢ - كِتَابُ الْخَوْفِ - بَابُ صَلَاةِ الْخَوْفِ -

بهم الإمام ركعة ، وتكون طائفة منهم بينهم وبين العدو لم يصلوا ،
فإذا صلى الذين معه ركعةً استأخروا مكان الذين لم يصلوا ، ولا يسلمون .
ويتقدم الذين لم يصلوا فيصلون معه ركعة ، ثم ينصرف الإمام وقد صلى
ركعتين ، فيقوم كل واحد من الطائفتين فيصلون لأنفسهم ركعة بعد
أن ينصرف الإمام ، فيكون كل واحد من الطائفتين قد صلى ركعتين .
فإن كان خوفٌ هو أشد من ذلك صلوا رجالاً قِيامًا على أقدامهم ،
أو رُكبانًا مستقبلِي القبلة أو غير مستقبلِيها . قال مالك : قال نافع ،
لا أرى عبد الله بن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم (١)

قلت : الترجمة التي أوردها الإمام البخاري بين يدي الرواية
الأولى تُعَضِّد ما رواه الإمام أحمد من سبب نزول الآية ، لأن الإمام
البخاري أورد الآية بنصّها في ترجمته للحديث . ولهذا كان ممن
المستحسن إثبات تلك الترجمة هنا - على طولها - للإستئناس بها
في معرفة سبب النزول .

ومن ناحية أخرى فإن الكيفية التي وردت في رواية البخاري الثانية
تتفق مع الكيفية التي وردت في سياق الآية الكريمة .

(١) صحيح البخاري ٣٨ / ٦ ، كتاب التفسير ، باب قوله " فَإِنْ خِفْتُمْ
فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا " .

والروايات الثلاث تتحدث عن كيفية صلاة الخوف ، مع انفراد رواية الإمام أحمد بالتصريح بسبب النزول . وما دامست هذه الرواية ذات أصول في صحيح البخاري ، فهي بلا ريب متفقة مع ما ورد في الصحيح .

أما ما جاء في هذه الروايات من اختلاف كيفية صلاة الخوف وتعدد أماكنها ، فلا إشكال فيه ، لأنه ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلاها بصور متعددة في غير أماكن .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (وأما الاختلاف في صلاة الخوف بمجرده فلا يدل على التباين ، لاحتمال أن تكون وقعت في الفزوة الواحدة على كفتين ، في صلاتين ، في يومين ، بل في يوم واحد) (١)

ونقل رحمه الله عن الإمام أحمد أنه قال : (ثبتت في صلاة الخوف ستة أحاديث أو سبعة ، أيها فعل المرء جاز) (٢)

(١) فتح الباري ٧ / ٤٢٠

(٢) فتح الباري ٢ / ٤٣١

ونقل أيضا من الخطابي (١) قوله : (صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في أيام مختلفات بأشكال متباينة ، يتحرى فيها ما هو الأحوط للصلاة والأبلغ للحراسة ، فهي على اختلاف صورها متفقة المعنى) (٢) وبهذا يزول ما قد يبدو - في ظاهره - تعارضا بين الروايات ويبقى سبب النزول ثابتا كما جاء في رواية الإمام أحمد رحمه الله .

٣ - قوله تعالى : (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَأَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (٣)

قال الإمام أبو داود : (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ بْنِ سَفِيَانَ أَنَا "ح" و"نَا" قُتْرُوبُ بْنُ عَثْمَانَ ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ (٤) ، عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ - عَنْ يَحْيَى - يَعْنِي ابْنَ أَبِي كَثِيرٍ - عَنْ أَبِي قَلْبَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِهَذَا الْحَدِيثِ - يَعْنِي حَدِيثَ الْمُزَنِيِّ - (٥))

ويقال أحمدر

(١) هو الإمام العلامة المحدث أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي صاحب المؤلفات القيمة . والخطابي نسبة جده المذكور . ارتحل في طلب العلم حتى سقى بالرحال، وكان فقيها مجتهدا ولغويا أدبيا . توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة بمدينة بشت الأصفانية [الطريق مضاعف البصرة ١٤٦١هـ] له مسالك في معرفة أحوال العرب للخطابي ٨١١ ، تحقيقه د/ عبد الكريم الفزاري - (٢) فتح الباري ٤/ ٢٣١ - (٣) الجريدة (٣٣)

(٤) هو الوليد بن مسلم القرشي .
(٥) نسبة إلى قبيلة عُرَيْنَة . وقد ثبت أن هؤلاء المرتدين هم من قبيلتي مَكل وعُرَيْنَة .

قال فيه : فبحث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم قافلة ،
فأتى بهم ، فأنزل الله في ذلك : " إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا " الآية (١)

قلت : هذا الحديث له أصل في الصحيحين (٢) واللفظ هنا
للبخاري ، قال : (باب المحاربين من أهل الكفر والردة ، وقول
الله تعالى " إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ
فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا
مِنَ الْأَرْضِ .

(حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا
الأوزاعي ، حدثني يحيى بن أبي كثير قال : حدثني أبو قلابة
الجرمي ، عن أنس رضي الله عنه قتل : قدم على النبي صلى الله عليه
وسلم نفر من فكل فأسلموا ، فاجتروا المدينة (٣) فأمرهم أن يأتوا
إبل الصدقة فيشربوا من آبوالها وألبانها ، ففعلوا فصحوا فارتدوا

(١) سنن أبي داود بشرح مؤن المصبود ٢٣/١٢ ، كتاب الحدود

باب ما جاء في المحاربين .

(٢) انظر صحيح مسلم ١٥٣/١١ ، كتاب القسامة .

(٣) اجتروا المدينة : أي كرهوا المقام بها .

فَقَتَلُوا رِعَازَهَا ، وَاسْتَأَقُوا الْإِبِلَ . فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ فَأَتَى بِهِمْ ، فَقَطَعَ
أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ، وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ (١) ثُمَّ لَمْ يَخْصِفْهُمْ (٢) حَتَّى
مَاتُوا (٣)

وَالْمَلَا حَظَّ فِي هَاتَيْنِ الرَّوَايَتَيْنِ أَنَّ رِوَايَةَ أَبِي دَاوُدَ لَمْ تَذْكَرْ
قَطَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْدِيَّ الْمُرْتَدِّينَ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلَ
أَعْيُنَهُمْ ، وَإِنَّمَا اكْتَفَتْ بِذِكْرِ نَزُولِ آيَةِ عِقَابِ لِحُضَارِهِمُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . عَلَى حِينِ أَنَّ رِوَايَةَ الْبُخَارِيِّ ذَكَرَتْ إِقَامَةَ الْحَدِّ عَلَيْهِمْ
فَعِقِبَ لِحُضَارِهِمْ ، وَلَمْ تَنْصُ عَلَى سَبَبِ النُّزُولِ .

وَالْحَاصِلُ أَنَّ الرَّوَايَتَيْنِ تُكْمِلُ كُلُّهُمَا الْأُخْرَى . فَرِوَايَةُ أَبِي
دَاوُدَ الَّتِي اقْتَصَرَتْ عَلَى ذِكْرِ سَبَبِ النُّزُولِ تَتَضَمَّنُ بَدَاهَةَ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَى
الْمُرْتَدِّينَ . لِأَنَّهُ لَا يُحَقَّقُ أَنَّ يَتَلَقَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُكْمًا
ثُمَّ لَا يُنْفِذُهُ .

وَرِوَايَةُ الْبُخَارِيِّ الَّتِي اقْتَصَرَتْ عَلَى ذِكْرِ إِقَامَةِ الْحَدِّ لَا بَدَّ أَنَّ تَكُونُ
مُتَضَمِّنَةً إِنْزَالِ الْحُكْمِ قَبْلَ تَنْفِيزِهِ ، لِإِسْتِحَالَةِ إِقْدَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) السُّمْلُ : أَنْ يَدْنَى مِنَ الْعَيْنِ حَدِيدَةً مُحَمَّاةً حَتَّى يَذْهَبَ بَصَرُهَا .

(٢) الْحَسْمُ : الْكَيُّْ بِالنَّارِ لِقَطْعِ الدَّمِّ .

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ١٢٣/٤ ، كِتَابُ الْحُدُودِ — بَابُ الْمَحَارِبِينَ

مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالرَّذَّةِ .

وسلم على فِعْل شَيْءٍ لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ .

ومما يَقْرَبُ هذا المعنى أَنَّ البخاريَّ ذَكَرَ الآيةَ بِنَحْوِهَا فِي تَرْجُمَتِهِ .

لِلْحَدِيثِ .

هذا ، وَفِي الآيةِ مِنَ الْأَحْكَامِ الْفَقْهِيَّةِ مَا تَنَاوَلَهُ الْفُقَهَاءُ بِالتَّفْصِيلِ .
وَالَّذِي يَلْفَتُ النَّظَرُ هُنَا هُوَ مَا فِي أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ مِنْ مَرُونَةٍ . فَكَلِمَةُ
" أَوْ " لِلتَّخْيِيرِ عِنْدَ الْبَعْضِ (١) وَإِذَا كَانَ الْإِسْلَامُ أُعْطِيَ الْخِيَارَ لِلْإِمَامِ
فَقَدْ اتَّسَعَ الْمَجَالُ أَمَامَهُ لِيُرَاعِيَ بِاسْمِ الْمَصْلُحَةِ الْعَامَّةِ كُلَّ حَالَةٍ مِنْ
الْأَحْوَالِ .

وَفَعَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُرْتَدِّينَ ، مَا فَعَلَهُ مَعَهُمْ إِلَّا لِأَنَّهُمْ
ارْتَكَبُوا جَرَائِمَ تَتَنَاسَبُ مَعَهَا الْحَقُوبَاتُ الَّتِي أُنْزِلَتْ بِهِمْ . فَهِيَ أَوَّلًا
مُرْتَدُّونَ ، وَثَانِيًا قَتَلُهُ ، وَثَالِثًا شَانُونُونَ ، وَرَابِعًا مُفْتَصِّبُونَ . وَكُلُّ
جَزِيْمَةٍ مِنْ هَذِهِ الْجَرَائِمِ تَسْتَوْجِبُ عَقُوبَةً تَتَلَاَمُ مَعَهَا ، وَالْإِضَاعُ الْمَدْلُ .

وَالَّذِينَ يَنْقُدُونَ الْإِسْلَامَ بِهَذَا الْفِعْلِ يَنْظُرُونَ إِلَى الْجَزَاءِ
مَنْفَصِلًا عَنِ الْعَمَلِ الْمُجَازِي عَلَيْهِ . كَيْدٌ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ صَحَّحَ هَذَا
الْفِعْلَ وَشَرَعَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ . وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ؟ (٢)
٤- قَوْلُهُ تَعَالَى : (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ
فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ مُزِيذٌ حَكِيمٌ) (٣)

رَأَى تَالِصَاحِبَةَ الشُّبُهَةِ : [وَ"أَوْ" تَكُونُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ : الْأَوَّلُ : أَمَدُ
الشَّيْءِ أَوْ الْأَشْيَاءِ ، عَلَى الْإِسْلَامِ . وَالثَّانِي : الشُّكُّ . وَالثَّالِثُ : التَّخْيِيرُ
وَالرَّابِعُ : الْإِبَاحَةُ] انْظُرْ : الشُّبُهَةُ وَالنَّذْرَةُ (١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤) لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ
الْقَاسِمِيِّ . بِتَحْقِيقِهِ الذِّكْرُ فَقَدْ أَخْبَرَ مُصْطَفَى عَلِيِّ الدِّينِ .
(٥) سُوْرَةُ طَاوُثُ [٥٠] - (٦) سُوْرَةُ الْأَنْفَالِ [٦٧]

قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري : (أخبرنا أبو المعبود
محمد بن أحمد المحبوبي ، ثنا سعيد بن مسعود ، ثنا عبد الله
ابن موسى ، ثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : استشار رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الأسارى أبا بكر ، فقال : قومك وعشيرتك فخل سبيلهم .
فاستشار عمر فقال : اقتلهم . قال : ففداهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأنزل الله عز وجل : " مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى
يُشْعِنَ فِي الْأَرْضِ " إلى قوله : " فَكُلُوا مِمَّا فَنَمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا " قال :
فلقي النبي صلى الله عليه وسلم عمر ، قال : كاد أن يصيبنا بلاء
من خلافك . (١)

قلت : روى الإمام مسلم نحوه هذا الحديث فقال : (حدثنا
هناد بن السري ، حدثنا ابن المبارك ، عن عكرمة بن عمار ، حدثني
سماك الحنفي قال : سمعت ابن عباس يقول : حدثني عمر بن الخطاب
قال : لما كان يوم بدر " ح " وحدثنا زهير بن حرب - واللفظ له - حدثنا
عمر بن يونس الحنفي ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثني أبو زميل - هو
سماك الحنفي - حدثني عبد الله بن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب

قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألفه وأصحابه ثلاثمائة وتسعة مشرّرجلاً . فاستقبل نبيّ الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مَدَّ يديه فجعل يَهْتِفُ بِهِ : " اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي . اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي . اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبِدُ فِي الْأَرْضِ " . فما زال يهتِفُ بِهِ مَا دَامَ يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِجْلَاهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِجْلَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، كَفَاكَ مُنَاشِدُكَ رَبِّكَ ، فَإِنَّهُ سَيَنْجِزُكَ مَا بَوَّعَكَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ كَرًّا وَجَلًّا : " إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ " (١) فَأَمَدَهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ . قَالَ أَبُو زَيْبٍ : فَهَدَّ ثَنَى ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَشْتَدُّ فِي أَكْثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ (٢) إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسُّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ : أَقْدِمُ حَيَزُومَ . فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنَّه (٣) وَشَقَّ وَجْهَهُ كَضَرْبَةِ السُّوْطِ ،

(١) سورة الانفال (٩)

(٢) يَشْتَدُّ فِي أَكْثَرِهِ : أَي يَرْكُضُ خَلْفَهُ مُسْرِعًا .

(٣) الْخُطْمُ : الْأَثَرُ عَلَى الْأَنْفِ . وَحَيَزُومُ : اسْمُ فَرَسِ الْمَلِكِ (صحيح)

فَأَسْرَضَ ذَلِكَ أَجْمَعُ . فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة . فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين . قال أبو زميل : قال ابن عباس : فلما أسروا الأمارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر : ما ترون فى هؤلاء الأسارى ؟ فقال أبو بكر : يا نبي الله هم بنوا العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار ، فحسى الله أن يهديهم للإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قلت : لا والله يا رسول الله ، ما أرى الذى رأى أبو بكر ، ولكنى أرى أن نتمكن فنضرب أعناقهم فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكنى من فلان - نسيباً ليمر - فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها . فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت . فلما كان من الضد جهت ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعد بين يمين يمين . قلت : يا رسول الله أغبرني من أى شئ تبتكى أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاءً تسابكت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبكى للذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء ، لقد عرض على عذائهم أدنى من هذه الشجرة - شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم - وأنزل الله عز وجل : " مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشْتَرِ فِي الْأَرْضِ " إلى قوله : " فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَبَالًا طَيِّبًا " فأحل الله الغنيمة (١)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٨٧/ ١٢ ، كتاب الجهاد والسير .

قلت : هذا الحديث الذى رواه الإمام مسلم يشتمل على ما جاء فى رواية الحاكم المتقدمة ، وفيه تفصيل لما ورد فى تلك الرواية بشأن أُسْرَى بَدْر . هذا بالإضافة إلى ما جاء فيه من النص على سبب النزول ، الأمر الذى يجعل رواية الحاكم موافقة لما ورد فى الصحيح .

وفى الحديث فوائد، نجعلها فيما يلى :

أولاً : يتجلى فى هذا الحديث مبدأ هام فى حياة المسلمين ، ألا

وهو مبدأ الشورى الذى حرم الإسلام على تعميقه فى النفوس . نصا
إِنْ طَفِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِمْ ، الْأَسْرَى حَتَّى طَفِقَ بِسْتِشِيرِ
أَصْحَابِهِ فِى شَأْنِهِمْ . فَأَمَدُّوه بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ رَأْيٍ ، كُلٌّ حَسَبَ اجْتِهَادِهِ
فِى الْمَسْأَلَةِ ، وَنَظَرْتَهُ لِإِبْحَادِهَا ، بِقَدْرِ مَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ فَهْمٍ
وَإِدْرَاكِ .

ثانياً نجد فيه مبدأ العفو عند المقدرة ، وهو مبدأ حميد ، يدعو
له الإسلام ويحبُّه . والصَّديق، رضى الله عنه، عندما أشار على
الرسول صلى الله عليه وسلم بالعفو عن الْأَسْرَى ، كان ينطلق من مبدأ
حِرْصِهِ على مصلحة الإسلام والمسلمين . فإنَّ فى الفدية قوة للمسلمين
على أعدائهم . وَلَرُبَّمَا كان العفو عن المشركين وإتاحة الفرصة لهم
فى الْإِفْتِدَاءِ من دواعي اعتنائهم بالإسلام ، فيكون فى ذلك صلاحٌ لهم
وتقوية للمسلمين . وهذا الرأى - وإنَّ صار مرجوحاً بعد نزول الوحي -
إِلَّا أَنَّهُ لَا يَزَالُ يَحْفَظُ بِالْأَهْمِيَّةِ وَالاعتبار . ومعلوم أنَّ الطرف الذى
كان يعيشه المسلمون فى بداية الجهاد ونشر الإسلام، هو الذى جعل
هذا الرأى مرجوحاً .

ولكن إذا تجاوزنا ذلك الحال ، فإننا نجد العفو من المبادئ ذات الأهمية الكبرى في الإسلام .

ثالثاً : نجد في هذا الحديث مبدأ المفاصلة بين الكفر والإيمان ، وذلك ظاهر في موقف عُمر رضى الله عنه من أقربائه وعشيرته . فقد اهتمدى بحقيقته الصافية إلى الميزان الصحيح الذى يزن به المسلم علاقته وصلاته بمن حوله من الناس .

فأصرة الدّم واللحم ليست هى التى تحكم الملاقة بين المسلم ومن هم حوله . وإنما المدار فى ذلك على العقيدة وحدّها فهى التى تُحدّد القرابة والُبّد ، وتفرّق بين الكفر والإيمان .

وهذا هو الموقف الراجح الذى أكدّه القرآن الكريم فى هذه المصركة الفاصلة بين الكفر والإيمان .

وهكذا نصيب مع أسباب نزول القرآن الكريم فى بيانها لمراد الله تعالى مما نزل به الذكر الحكيم .

٥ / قوله تعالى : (سَيَخْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَهُمْ جَنْسٌ زَا^١)
بما كانوا يكسبون (١)

قال الإمام ابن جرير الطبري : (حدثنا يونس - هو ابن هبند
الأعرجي - قال : أخبرنا ابن وهب قال : أخبرني يونس - هو ابن يزيد
الأعرجي - عن ابن شهاب قال : أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله
ابن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب قال : سمعت كعب بن
مالك يقول : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك جلس
للناس . فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فحلفوا بيمينهم إليه
ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل منهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ملائحتهم ، وبايعهم ، واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم
إلى الله ، وصدقته حديثي . فقال كعب : والله ما أنعم الله عليّ
من نعمة بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدق رسول
الله صلى الله عليه وسلم ألا أكون كذبتُهُ فأهلك كما هلك الذين كذبوا .
إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي : " سَخِطُونَ
بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُفْرِغُوا عَنْهُمْ فَيَسْفَوْا عَنْهُمْ إِنِّي سَأَنْزِلُ
وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " إلى قوله : " فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى مِنَ
الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ " (١)

قلت : هذا الحديث هو جزء من حديث كعب بن مالك الذى أورده الإمام البخارى فى صحيحه . وهو حديث طويل ، نكتفى منه بما هو أصل لرواية الطبري هذه ، فنقول :

قال الإمام البخارى رحمه الله : (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ كَثِيرٍ ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ قَبِيلٍ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ - وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ فُتِيَ - قَالَ : سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يَحْدُثُ - حِينَ تَخَلَّفَ - عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ (١) قَالَ كَعْبٌ : لَمْ أَتَخَلَّفْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فِرَاقِهَا إِلَّا فِي فِرَاقِ تَبُوكَ . فَبِمَا أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي فِرَاقِ تَبُوكَ ، وَلَمْ يَمُوتْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهَا ، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَيْدٍ مِمَّنْ قُرَيْشٍ ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى فِرَاقِ مَيْمَادٍ

قال كعب بن مالك : فلما بلغنى أنه توجه فأقلاً حضرتى همتى ، وطفقت أذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه فدا ؟ واستمعت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى . فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلل قادماً ، زاح منى الباطل ، وعرفت أنى لن أخرج .

(١) قوله " عن قصة " متعلق بقوله " يحدث " والمعنى : أنه كان يحدث عن قصة تبوك زمان تخلفه ، أى من الزمن الذى تخلف فيه من الفِرَاق .

منه أبداً بشىء فيه كذب ، فَأَهْمَمْتُ صِدْقَهُ . وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَادِمًا - وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ
 فِيهِ رَكْعَتَيْنِ - ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ ، فَلَمَّا فَصَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخْلِفُونَ فَطَفِقُوا
 يَسْتَنْدِرُونَ إِلَيْهِ وَيُخْلِفُونَ - لَهُ - وَكَانُوا بَضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا - فَقَبِلَ مِنْهُمْ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِلَالَتَهُمْ ، وَبَايَعَهُمْ ، وَاسْتَنْدَفَرَهُمْ ،
 وَوَكَّلَ مِمَّا أَمَرَهُمْ إِلَى اللَّهِ . فَجِئْتُهُ ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُقْضَبِ
 ثُمَّ قَالَ : /فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لِي : مَا خَلَّفَكَ ؟
 أَلَمْ تَكُنْ قَدَرًا ابْتِغَيْتَ ظَهْرَكَ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى ، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ
 فَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجَ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ ، وَلَقَدْ
 أُعْطِيتُ جَدًّا ، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ طَلَعْتُ لَيْلَيْنِ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثًا
 كَذِبٌ تَرْضَى بِهِ عِنْدِي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ ، وَلَيْلَيْنِ حَدَّثْتُكَ
 حَدِيثًا صَدَقَ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَا رَجُوفِيهِ مَعَاذَ اللَّهِ . لَا وَاللَّهِ ،
 مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَمْسَرَ مِنِّْي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ . فَقُمْتُ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ
 فِيكَ . فَقَبِمْتُ فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ
 - بَعْدَ أَنْ شَهِدْتُ لِلْإِسْلَامِ - أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا أَكُونَ كَذِبُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا ،
 فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا - حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ - شَرًّا مَا قَالَ لَأَحْمَدُ :
 قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : " سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ " إِلَى قَوْلِهِ :
 " فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ " (١)

وَحَرِيٌّ بِنَا أَنْ نَقُفَ عِنْدَ سَبَبِ نَزُولِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ ،
لِتَتَبَيَّنَ عَاقِبَةُ الْكَذِبِ وَالنِّفَاقِ مِنْ جِهَةٍ ، وَعَاقِبَةُ الصِّدْقِ وَالْإِيمَانِ مِنْ
جِهَةٍ أُخْرَى .

فهؤلاء هم المنافقون يتخلفون عن الجهاد مُكَابِدَةً لِرَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ لَا يَسْتَحْيُونَ - مَعْدُ عُدَّتِهِ ظَافِرًا - أَنْ يَحْلِفُوا
بِاللَّهِ مُعْتَذِرِينَ عَنْ تَخَلُّفِهِمْ ، طَامِعِينَ فِي رِضَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَعَفْوِهِ . وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَفْضِ نِفَاقِهِمْ وَكَذِبِهِمْ فَيَنْزِلُ فِيهِمْ
قُرْآنًا يَصِفُهُمُ بِالرَّجَسِ وَالنَّجَسِ وَيَعِدُّ لَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً فِسْقِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ .
وَبِذَلِكَ يَنْكَشِفُ أَمْرُهُمُ لِلرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ فَيَعْلَمُونَ أَنَّ هُمْ كَذَّابُونَ مُنَافِقُونَ ،
فَلَا يُخَدِّعُ أَحَدٌ بِإِيمَانِهِمُ الْكَاذِبَةَ ، وَلَا يَادِّمُهُمُ الْفَارِغَةُ الْآثِمَةَ .

وَفِي الطَّرَفِ الْآخَرِ نَجَدَ الصِّدْقَ وَالْإِيمَانَ مُتَعَلِّكِينَ فِي مَوْثِقِ كَهَبٍ
ابْنِ مَالِكٍ الَّذِي آثَرُ أَنْ يُصَدِّقَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بِأَنَّهُ مِنَ الْكَذِبِ وَالنِّفَاقِ ،
مَعَ مَقْدَرَتِهِ عَلَى الْجِدْلِ ، وَتَمَكُّنِهِ مِنَ الْاِعْتِذَارِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِمَا يَرْضِيهِ وَيَذْهَبُ حَفِيظَتُهُ .

وَلَكِنَّ الصَّحَابِيَّ الْجَلِيلَ كَانَ يُدْرِكُ بِبَصِيرَتِهِ النَّافِذَةِ ، وَكَيْفَاسَتِهِ
النُّجْمَةِ أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَى سِرِّهِ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى سَيَفْضُحُهُ أَمَامَ رَسُولِهِ
وَالْمُسْلِمِينَ ، إِنَّ هُوَ آثَرُ الْكَذِبِ وَالنِّفَاقِ . وَمِنْ ثَمَّ أَجْمَعَ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ ، وَأَكْرَمَهُ بِالصَّفْحِ عَمَّا
خَطِيئَتُهُ الْكَبِيرَةُ ، بَعْدَ أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةِ الصِّدْقِ الَّتِي هِيَ أَكْثَرُ
النِّعَمِ وَأَجْلَاهَا .

٦ / قوله تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِيْ

الْقُرْبَى (١))

قال الإمام أحمد رحمه الله : (حَدَّثَنَا يَحْيَى (٢) عَنْ شُعْبَةَ (٣))

حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَيْسَرَةَ ، عَنْ طَاوُوسٍ قَالَ : أَخَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَجُلٌ

فَسَّأَلَهُ . وَسُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ ، أَنَّ ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ

قَالَ : سَمِعْتُ طَاوُوسًا يَقُولُ : سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ الْمَقْنِيَّ عَنْ قَوْلِ

اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : " قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى " .

فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : قُرْبَى مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :

فَجِلَّتْ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ بِحُطَيْنٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا

لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ قَرَابَةٌ . فَبَوَّلت : " قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى " . إِلَّا أَنْ تَصِلُوا قَرَابَةَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ (٤)

قلت : هذا الحديث له أصل في صحيح الإمام البخاري . قال

رحمه الله : (بَابُ " إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى " .

(حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا

شُعْبَةُ بْنُ حَسَنٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَيْسَرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ طَاوُوسًا

(١) سورة الشورى (٢٣)

(٢) هو يحيى بن سعيد القطان .

(٣) هو شعبة بن الحجاج .

(٤) مسند الإمام أحمد [١ / ٢٩٩]

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سُئِلَ عن قوله " إِلَّا الْعَوْدَةَ فِي الْقُرْبَى " فقال سعيد بن جبير : قُرْبَى آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فقال ابن عباس : عَجِلْتَ . إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَطْنُ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ ، فقال : إِلَّا أَنْ تَصِلُوا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ الْقَرَابَةِ (١)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (والحاصل أن سعيد بن جبير ومن وافقه كملّى بن الحسين والسدّي وعُمر بن شعيب فيما أخرجه الطبراني عنهم ، حملوا الآية على أمر المصاطبين بأن يُؤادِدُوا أَقَارِبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَجْلِ الْقَرَابَةِ ، وابنُ عباسٍ حملها على أَنْ يُؤادِدُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَجْلِ الْقَرَابَةِ الَّتِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ . فعلى الأول : الخطابُ عامٌّ لجميع المكلفين ، وعلى الثاني : الخطابُ خاصٌّ بقريش ، ويؤيد ذلك أَنَّ السورة مكية . . والمعنى أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تَصِلُ أَرْحَامَهَا ، فَلَمَّا بَحِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلُوبَهُمْ فَقَالَ : صَلُّونِي كَمَا تَصِلُونَ فِرْزِي مِنْ أَقَارِبِكُمْ (٢)

قلت : والصوابُ ما ذهب إليه ابن عباس رضى الله عنهما من أَنَّ الْعَوْدَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْ أَجْلِ الْقَرَابَةِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ . يدل على ذلك سبب نزول الآية الذي نصَّ عليه ابنُ عباسٍ في رواية الإمام أحمد رحمه الله . والله تعالى أعلم .

(١) صحيح البخارى ١٦٢/٦ كتاب التفسير ، باب " إِلَّا الْعَوْدَةَ فِي الْقُرْبَى " .

(٢) فتح البارى ٥٦٤/٨

٧ / قوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَافِيلَ عَلَى مِثْلِهِ قَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ الْكُفْرَ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (١)

أخرج : الحافظ الهيثمي (٢) في مجمع الزوائد ، من عوف بن
مالك الأشجعي (٣) رضى الله عنه قال : (انطلق النبي صلى الله
عليه وسلم ، وأنا معه ، حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيد لهم ،
فكرهوا دخولنا عليهم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا
مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، أَرُونِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مَنكُمْ يَشْهَدُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، يُحِبُّ اللَّهُ عَنْ كُلِّ يَهُودِي تَحْتَ أَيْدِيهِمِ
السَّمَاءَ الْخَضْبَ الَّذِي عَلَيْهِ ، فَأَشْكُوا ، فما أجابه منهم أحد ، ثم
رد عليهم فلم يجبه أحد . ثم ثلث فلم يجبه أحد . فقال : أَيْتُمْ ؟
فوالله لآنا الخاشِرُ ، وآنا الحَاقِبُ وآنا المَقْصِي ، آمَنْتُمْ أَوْ كَذَبْتُمْ .

-
- (١) سورة الأحقاف (١٠)
(٢) هو علي نور الدين بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر أبو الحسن
القاهري الشافعي الحافظ المعروف بالهَيْثَمِي . كان تقيًا زاهدًا
مُقبِلًا على العلم والعبادة . وُلِدَ سنة خمس وثلاثين وسبعمائة
وتُوفِيَ سنة سبع وثمانمائة (مجمع الزوائد ١ / ٢)
(٣) هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي القطفاني أبو عبد الرحمن .
شَهِدَ خَيْبَرَ وفتح مكة وانتقل إلى الشام ومقَى بها إلى خلافة
عبد الملك بن مروان ، وتُوفِيَ سنة ثلاث وسبعين هجرية (تهذيب
التهذيب ٨ / ١٦٨)

ثم انصرف ، وأنا معه ، حتى كِدْنَا أَنْ نَخْرُجَ ، فَأِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ
فَقَالَ : كَمَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ . فَأَقْبَلَ ، فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : أَيُّ رَجُلٍ
تَعْلَمُونِي مِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ؟ قَالُوا : وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ فِينَا رَجُلًا كَانَ
أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَلَا أَفْقَهَ مِنْكَ ، وَلَا مِنْ أُنْبِيَاكَ قَبْلَكَ ، وَلَا مِنْ جَدِّكَ قَبْلَ
أُنْبِيَاكَ . قَالَ : فَأِنِّي أَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ الَّذِي تَجِدُونَنِي فِيهِ
التَّوْرَةَ . قَالُوا : كَذَبْتَ ، ثُمَّ رَدُّوا عَلَيْهِ وَقَالُوا فِيهِ شَرًّا ، فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَذَبْتُمْ ، لَنْ نَقْبَلَ مِنْكُمْ قَوْلَكُمْ . قَالَ : فَخَرَجْنَا
وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَا ، وَابْنُ سَلَامٍ (١)
فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : " قَدْ عَلِمْنَا أَنَّكُمْ أَنْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَافِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمِنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " (٢)

قَالَ الْهَيْثَمِيُّ : رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ .
قُلْتُ : رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ نَحْوَ هَذَا الْحَدِيثِ
قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(١) رَوَى الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ بْنُ الْحَارِثِ أَبُو يُوسُفَ .
كَانَ حَلِيفًا لِلْخَزَنَةِ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ . وَكَانَ إِسْلَامُهُ مَقْدَمَ النَّبِيِّ
الْمَدِينَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . كُوفِيَ بِالْعَدِينَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ
هَجْرِيَّةً (الْإِصَابَةُ ٢ / ٣٢٠)

(٢) تَجْمَعُ الزَّوَادُ (١٠٥ / ٧)

(حدثني حامد بن عمر ، عن يشر بن المفضل ، حدثنا حميد ،
حدثنا أنس ، أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي صلى الله عليه
وسلم المدينة ، فأتاه يسأله عن أشياء فقال : إني سألتك عن ثلاث
لا يعلمن إلا نبي : ما أول أشرار الساعة ؟ وما أول طعام يأكله
أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : أخبرني
به جبريل أنثا ، قال : ابن سلام : ذاك مدو اليهود من العرافة .
قال : أما أول أشرار الساعة فنار تحترقهم من المشرق إلى المغرب .
وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت . وأما الولد
فإذا سبق ما في الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ما المرأة ماء
الرجل نزع الولد . قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول
الله . قال : يا رسول الله ، إن اليهود قوم بهت (١) فأسألهم
بجائي قبل أن يعلموا بإسلامي . فجاءت اليهود ، فقال النبي
صلى الله عليه وسلم : « أي رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟ » قالوا :
خيرنا وابن خيرنا ، وأفضلنا وابن أفضلنا . فقال النبي صلى الله
عليه وسلم : « رأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام ؟ » قالوا : أعاده الله من
ذلك . فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك . فخرج إليهم عبد الله فقال : أشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . قالوا : شربنا وابن شربنا ،
ونقصوه . قال : هذا كنت أخاف يا رسول الله (٢)

(١) بهت - بضم الباء - جمع بهيت وهو الذي يبهت السامع

بما يفترى عليه من الكذب (فتح الباري ٢/٢٧٣) .

(٢) صحيح البخاري ٥/٤٦ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب

عبد الله بن سلام .

وجاء في صحيح البخارى أيضا : (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ قَالَ : سَمِعْتُ مَالِكًا يَحَدِّثُ عَنْ أَبِي النَّضْرِ ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ مَامَرِ بْنِ سَعْدٍ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، مَنْ أَهْبَهُ قَالَ ز : مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ . قَالَ : وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : " وَشَهِيدٌ شَهِدَ مَنْ بَنَى إِسْرَافِيلُ عَلَى مِثْلِهِ " الْآيَةُ . قَالَ : لَا أَدْرِي قَالَ مَالِكُ الْآيَةَ أَوْ فِي الْحَدِيثِ (١)

قلت : هذان الحديثان يمكن اعتبارهما معاً أصلاً لما ورد فى مجمع الزوائد ^{وغيره} ، مسند الإمام أحمد ، إذ الأول منهما يذكر قصة عبد الله بن سلام والثانى يذكر سبب نزول الآية

أما الاختلاف الذى ورد فى ذكر القصة ، فيمكن رده إلى تكرار نزول الآية ، فتكون نزلت مرة عندما ذهب عبد الله بن سلام إلى النبی صلى الله عليه وسلم يسأله ، ومرة أخرى عند ذهاب النبی صلى الله عليه وسلم وعبد الله إلى اليهود .

وسبب نزول الآية يسدّل على ما جيل عليه اليهود من الحيناد والاستكبار على الحق ، والإصرار على التمسك بالباطل . كما يدل على تكريم الله تعالى لعبد الله بن سلام رضى الله عنه لاستمساكه بالحق ونجده الباطل ، واتّباعه النور الذى أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم .

وفى الحديث من الأحكام الكثيرة ^{غير} على الموضوع . والذي
أؤكدّه هنا ما أشق عليه البخاري وأحمد ، في الجملة ، من أن المراد
بالشاهد من بنى إسرائيل هو عبد الله بن سلام .

٨ / قوله تعالى : (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ
عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا) (١)

قال الإمام أحمد رحمه الله : (ثنا بهز (٢) ثنا همام عن
قتادة عن أنس أنها نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم مرّجعه من
الحديبية ، واصحابه يخالطون الحزن والكآبة ، وقد حيل بينهم
وبين مساكنهم ، ونحروا الهدى بالحديبية : " إنا فتحنالك فتحاً
مبيناً " إلى قوله : " صراطاً مستقيماً " (٣) قال : لقد أنزلت على
آيتان هما أحب إلي من الدنيا جميعاً . قال : فلما تلاهما قال
رجل : هنيئاً مريئاً يا رسول الله . قد بين الله لك ما يفعل بك
فما يفعل بنا ؟ فأنزل الله عز وجل الآية التي بعدها : " لِيُدْخِلَ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ " حتى ختمت
الآية (٤)

قلت : هذا الحديث له أصل في صحيح البخاري (٥)
ومسلم ، واللفظ هنا لمسلم ، قاله : (حدثنا نصر بن علي الجهضمي

(١) سورة الفتح (٥)

(٢) هو بهز بن أسد البصري

(٣) سورة الفتح (٢ و ١)

(٤) مسند الإمام أحمد (١٣٤ / ٣)

(٥) انظر صحيح البخاري (٦ / ١٦٨) كتاب التفسير ، باب
أنا فتحنالك

حدثنا ساند بن الحارث ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ،
أن ابن مالك حدثهم قال : لما نزلت : " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا
مُبِينًا لِيَذِفَ اللَّهُ الْكُفْرَ " إلى قوله " فَخُزًّا عَظِيمًا " مَرَجَعَهُ مِنَ الْحَدِيثِ
وَهُمْ يُخَالِفُهُمُ الْحَزَنُ وَالْكَآبَةُ ، وَقَدْ نُحِرَ الْهَدْيُ بِالْحَدِيثِ ، فَقَالَ :
" لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَى آيَةٍ شَرَى أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا (١)

وفى هذه الآية الكريمة بشارة عظيمة للمؤمنين ، ووعد طيب ، وفوز
عظيم بفران الذنوب ، والخلود في الجنة .

وسبب النزول يدل على اهتمام المسلمين بما ينزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الوحي ، كما يدل على تشبثهم بمرضاة الله ،
ورغبتهم في الجنة ونعيمها ، ولهذا كان اهتمام الصحابي بمستقبله
كبيراً ، حتى إنه استفسر النبي صلى الله عليه وسلم عما سيفعل بهم —
هو وإخوانه — فكان نزول هذه الآية الكريمة هزداً . وسلاماً على قلبه
وقلوب إخوانه المسلمين .

٩ / قوله تعالى : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ . وَإِنْ يَرَوْا آيَةً
يَحْزَنُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ) (٢)

(١) صحيح مسلم شرح النووي [١٤/١٤٠]

(٢) سورة القمر (٢١)

قال الإمام الترمذى رحمه الله (حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، عَنْ
عبد الرزاق ، عن مَعْمَرٍ (١) عن قتادة ، عن أَنَسٍ قَالَ : - سَأَلَ أَهْلُ
مَكَّةَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةَ فَانْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ فَنَزَلَتْ :
(انْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ " إِلَى قَوْلِهِ " سَيَحْمِلُهُمُ الْعَذَابُ ") (٢)

قلت : هذا الحديث له أصل في صحيح البخارى : قال رحمه
الله : (بَابُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ كَرِهُوا آيَةَ يُخْرِضُوا . .)
(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا
شَيْبَانُ (٣) عن قتادة ، عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَأَلَ أَهْلُ
مَكَّةَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ (٤)

ومع كون الإمام البخارى لم يُصَرِّحْ بسبب النزول فى الحديث الذى
أورد هـ ، إلا أننا نستأنسُ بِذِكْرِهِ لِلآيَةِ غَيَّ ترجمته للحديث . وبهذا
تكون رواية البخارى أصلاً لعارواه الترمذى فى سبب نزول الآيتين .

(١) هو مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ الْأَزْدِيُّ .

(٢) سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِشَرْحِ تَحْفَةِ الْأَحْوَدِيِّ ٤ / ١٩١ .

(٣) هُوَ شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التَّمِيمِيُّ النَّحْوِيُّ .

(٤) صحيح البخارى ٦ / ١٧٨ كتاب التفسير ، باب وَانْشَقَّ الْقَمَرُ .

وهذا مما يُوجب الافتقارَ الجازمَ بانشقاق القمر على عهد
الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، انشقاقاً حَسْبًا . وما ذلك على الله بعزيز .
فإنه تعالى هو الذى خلق القمر ابتداءً ، فلا يُشجِّره من أمره شئ .

ونحن - المسلمون - لا نحتاج إلى دليل على انشقاق القمر بعهد غيره
القرآن الكريم والحديث الصحيح . ولكن مما يؤكد هذا الحدث العظيم
- لغيرنا - أنه لم يرد أى اعتراض أو تكذيب من المشركين لما قرره القرآن
الكريم من انشقاق القمر الذى شهدوه عياناً كما تقدّم فى الحديث
آنف الذكر .

ولو لم يحدث الإنشقاق بالفعل لكانت هذه الآية مدعاةً لسخرية
المشركين وتكذيبهم ، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك بالنسبة لانشقاق
القمر الذى لم يَسْقُهم نكرانه . غير أنهم حاولوا تفسير هذه الظاهرة
بأنها سحرٌ مُسَيَّرٌ . ولكن الواقع ينقض زعمهم الباطل هذا ، ويثبت
انشقاق القمر بمكة المكرمة .

١٠- قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ . .) (١)

قال المحاكم أبو عبد الله النيسابوري : (أخبرني عبد الرحمن بن الحسن القاضي بهمدان ، حدثنا إبراهيم بن الحسين ، ثنا آدم بن أبي إياس ، حدثنا ورقاء (٢) عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ " إلى قوله : " وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " نزل في مكاتبة حاطب بن أبي بلتعة ومن معه إلى كفار قريش يحذرونهم . وقوله : " إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ (٣) نَهَوَانِ بِنَا سَوَاءً بِاسْتِغْفَارِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ غِيصْتُمْ فَرُوا لِلْمُشْرِكِينَ . وقوله تعالى " رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا " (٤) لا تصدقنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون : لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم) (٥)

(١) سورة الممتحنة (١)

(٢) هو أبو بشر ورقاء بن عمر بنين كليب الشكري الكوفي

نزيل المدائن . كان محدثا ثقة ثبتا يروى عن الثقات .

وهو ذو فضل وورع وطلم بالتفسير . انظر ترجمته في

تهذيب التهذيب ١١ / ١١٣

(٣) سورة الممتحنة (٤)

(٤) سورة الممتحنة (٥)

(٥) المستدرک ٢ / ٤٨٥

قلت : الجزء المتعلق بقصة حاطب من هذا الحديث

له أصل في صحيح البخاري :

قال رحمه الله : (باب لَا تَتَّعِدُوا عِدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ وَأَوْلِيَاءَهُ

سَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ ، حَدَّثَنَا عُمَرُو بْنُ دِينَارٍ

قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُ سَمِعَ عُبَيْدَ اللَّهِ

ابْنَ أَبِي رَافِعٍ كَاتِبَ عَلِيٍّ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

يَقُولُ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُبَيْرُ

وَالْمِقْدَادُ ، قَالَ : « أَنْظِرُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخَ ، فَإِنَّ بِهَا

طَعِينَةً (١) مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوا مِنْهَا » . فَذَهَبْنَا تَعَادَى بَنَاءَ

غَيْلِنَا (٢) حَتَّى أَتَيْنَا الرُّوضَةَ ، فَإِذَا نَحْنُ بِالطَّعِينَةِ . فَقُلْنَا :

أَخْرِجِي الْكِتَابَ ، فَقَالَتْ : مَا مَعِيَ مِنْ كِتَابٍ . فَقُلْنَا : كُنْخْرِجِي

الْكِتَابَ أَوْ لِنُلْقِيَنَّ الشَّيْبَ . فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا (٣) فَأَتَيْنَا

بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا فِيهِ : مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي

بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ ، يَخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا هَذَا

بِهَا حَاطِبُ ؟ » قَالَ : لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنْ كُنْتُ

(١) رَوْضَةُ خَاخَ : مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، بِقَرَبِ الْمَدِينَةِ

وَالطَّعِينَةُ الْمَرْأَةُ . (انْظُرْ فَتْحُ الْبَارِي ٣٠٦ / ١٢)

(٢) تَعَادَى : أَصْلُهُ تَتَعَادَى بِتَاءٍ مِنْ أَيْ تَرَكَّضَ .

(٣) الْحِقَامُ : جَمْعُ عَقِيصَةٍ وَهِيَ الذَّوَابَةُ مِنَ الشَّعْرِ . وَالْمُرَادُ

ذَوَائِبُهَا الْمَضْفُورَةُ (فَتْحُ الْبَارِي ١٩٤ / ٥)

امراً من قريش ، ولم أكن من أنفسهم ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم بمكة .
فأعربت إذ فاتني من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يداً يحمون قرابتي . وما فعلت ذلك كُفراً ولا ارتداداً من ديني . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : **إِنَّكَ قَدْ صَدَقْتَ** . فقال عمر :
دعني يا رسول الله فأضرب عنقه . فقال : **إِنَّهُ شَهِدَ بِدْرًا** .
وما يدريك ؟ **لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ فُفِّرْتُ لَكُمْ** . قال عمر : **وَنَزَلَتْ فِيهِ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ** قال ذاك : لا أدرى الآية في الحديث أو قول عمر (٣)

قلت : يتأكد من سبب نزول هذه الآيات ان ولاء المؤمن لا يكون الا لله ولرسوله وللمؤمنين مهما كانت الاسباب والدوافع فאלله ولي . الذين آمنوا وهو يدافع عنهم وينصرهم .

ويتضح من قصة حاطب مبدى اكرام الله تعالى لأصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم - ولا سيما أهل بدر -

(١) هو عمرو بن دينار . (٢) الفائل هو سفيان بن عيينة [تخريج الحديث] (٣) صحيح البخاري ١٨٥/٦ كتاب التفسير ، باب لا تتخذوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ .

الذين أُجْرِيَ الله على أيديهم أول فتح في الإسلام ، وذلك بهم
حصون الشرك والكُفْران ، وجعل جهادهم ذلك سبباً في انتشار
الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها .

وهم مع كونهم بشراً يصيبون ويخطئون في اجتهادهم ، إلا
أن الله تعالى أنزلهم منزلة خاصة بهم . فلا يجوز تعنيفهم
أو تجريعهم بسبب اجتهادهم . بل الواجب حسن الظن بهم
وبما يصدر عنهم من آراء ، لأنهم لا يبتغون في الحق ووجه الله
تعالى .

وهم بشرية شارة رب العزة إذ يقول : [وَالْكَاذِبُونَ
الَّذِينَ يَمُوتُونَ فِي الْحَرْبِ وَالَّذِينَ نَضَّيْنَاهُمْ بِإِسْمَانٍ
نَضَّيْنَاهُمْ عَنْهُمْ ذُرِّيَّاتَهُمْ وَأَعْدَاءَهُمْ بَنَاتٍ يُحْرِمْنَ
الْأَسْرَارَ فَأُولَئِكَ فِيهَا أَمَّا ذَلِكَ الْقَوْمُ الْفَظِيمُ] (١)
[ومنه أصدق من الله فيلاً ؟] (٢)

(١) سورة التوبة (١٠٠)

(٢) سورة النساء (١٢٢)

ثالثا : ما لم يوافق ما في الصحيحين =====

وسأكتفى منه بعشرة أمثلة أيضا فيما يلي :

١- قوله تعالى : (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ فَخْرًا رَحِيمًا) (١)

قال ابن جرير الطبري : (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّمَادِيُّ

قال : حَدَّثَنَا أَبُو أَعْمَدٍ الْمُزَيْبِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا شَرِيكٌ ، عَنْ عَمْرِو

ابن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : نزلت هذه الآية :

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) (٢) وكان بمكة رجل

يقال له ضمرة من بني بكر ، وكان مريضا . فقال لأهله : أخرجوني

من مكة فإني أجد الحر . فقالوا : أَيْنَ نُخْرِجُكَ ؟ فَأشار بيده

نحو المدينة . فنزلت هذه الآية : " وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى

اللَّهِ وَرَسُولِهِ " إلى آخر الآية (٣)

قلت : هذا الحديث ذكره الحافظ ابن حجر بطرق متعددة (٤)

وقال عنه الحافظ الهيثمي رجاله ثقات (٥) وأخرجه أيضا ابن أبي

حاتم (٦)

(١) سورة النساء " ١٠٠ "

(٢) سورة النساء " ٩٧ "

(٣) تفسير الطبري ٥ / ٢٤٠

(٤) الإصابة ١ / ٢٥١

(٥) مجمع الزوائد ٧ / ١٠

(٦) تفسير ابن كثير ١ / ٥٤٣

وقال منه صاحب [الصحيح المستند من أسباب النزول] (١) :
 (١) لقد يشرح جلاله ثقاتٌ . وشريك هو ابن عبد الله القاضي النعماني
 وفي نسخة ضعف ، لكن الحديث له طرق أخرى تنتهي إلى عكرمة
 عن ابن عباس في «المطالب العالية» (٢)

وفي سبب النزول دلالة على فِظَم شأن الهجرة وأهميتها في
 الإسلام . وفيه أنَّ النية الصادقة تُكسِبُ صاحبها أجرَ العمل كاملاً
 وإن لم يُوفَّق في تمام إنجازهِ .

فهذا هو الصحابيُّ الجليل يُعْزَم على الخروج من بيته
 بنية الهجرة إلى الله ورسوله ، ثم تُدرَكُ المَنَّةُ قبل أن يصل إلى
 دار الهجرة، فيكرمه الله تعالى بأن يكتب له أجر المهاجرين السابقين .
 وتلك آفاق بعيدة في تكريم الإنسان لم يحُطَ بها إلا في دين الله
 القويم .

للوارثي

(١) الصحيح المستند من أسباب النزول / ص "٥٢"

(٢) انظر المطالب العالية ٣/ ٢٢١ - حيث يقول الحافظ ابن حجر مانصه :
 [ابن عباس : خرج ضمرة بن هندب من بيته مهاجراً ، فقال لأهله : اعملوني
 وأخرجوني من أرض مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فما في الطريق قبل أن
 يصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فتمزل الوحي : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله الآية » .

٢ = قوله تعالى : (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيئُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) (١)

قال ابن جرير الطبري : ٢ حَدَّثَنَا هَمْرُونُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : ثنا هَمْرُونُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ مَرْوَةَ يُعَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : نَزَلَتْ فِي النَّجَاشِيِّ وَأَصْحَابِهِ : " وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيئُ مِنَ الدَّمْعِ " (٢)

قال الحافظ السهيمي : (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح) (٣)

قلت : في هذه الآية بشارة لمن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، وحسب وإن كان نزولها بدءاً في النجاشي وأصحابه ، إلا أن حكمها عام يشمل كل كتابي آمن برسالة الإسلام واتباع النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة المائدة " ٨٣ "

(٢) تفسير الطبري (٧ / ٥)

(٣) مجمع الزوائد ٤١٩ / ٩

وقد بشر الله هؤلاء المؤمنين بقوله :

"أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا . . ." (١)

نعم أولاً آمنوا برسولهم الذي أُرسل إليهم قبل ظهور الإسلام .

وهم ثانياً آمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم إذ عانوا لأمر الله
لهم في كتبهم التي بشرتهم بالرسالة الخاتمة .

وبذلك فازوا بكلتا الحسنيتين ، إذ وعدهم الله . أَجْرَهُمْ

مرتين بما صبروا على تكاليف الرسالتين . فحق لهم أن يهتفوا بما
ترجمه الله عنهم : "وَمَا لَنَا . لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا بَعَاثَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ
أَنْ يُدْعِيَ عَلَانًا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ" (٢)

(١) سورة القصص " ٥٤ "

(٢) سورة المائدة " ٨٤ "

٣- قوله تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوشُ وَنُلْعَبُ قُلُ
أَبَالِلَهُ وَأَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) (١)

أَخْرَجَ السَّيُوطِيُّ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ (٢) قَالَ : (حَدَّثَنَا يُونُسُ
ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ
عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ فِي فِرَاقِ
تَبَوُّكَ نَحْنُ مَجْلِسٌ يَوْمًا مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرَاقِنَا هَؤُلَاءِ ، لَا أَرْفَبُ بِطُونًا وَلَا
أُكْذِبُ أَلْسِنَةً وَلَا أَجْبِي عَنْهُ لِقَاءً . فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ :-

(١) سورة التوبة " ٦٥ "

(٢) هُوَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَافِظِ الْكَبِيرِ
أَبِي حَاتِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ التَّمِيمِيُّ الْحَنْظَلِيُّ الرَّازِيُّ . وُلِدَ
سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَمِثَاتِينَ ، وَارْتَحَلَ فِي طَلِبِ الْعِلْمِ إِلَى الشَّامِ
وَمِصْرَ وَاصْبَهَانَ وَفِيرَهَا . كَانَ عَالِمًا بِالْحَدِيثِ وَحَلِّهِ وَبَرَعٍ فِي
تَنْجِيزِ الْجُرُحِ وَالتَّحْدِيدِ وَتَأْرِيخِ الرِّجَالِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ
سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةً (أَعْلَامُ الْمُحَدِّثِينَ ٣١٢)

كذبت ، ولكنك منافق . لَأَخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
ونزل القرآن . قال عبد الله : فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقِّبِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنَكَّبُهُ الْحَجَارَةُ (١) وهو يقول : يَا رَسُولَ
اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخَوُّكَ وَنَطْعُبُ . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَآيَاتِهِ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ» (٢)

جاء في [الصحيح المسند من أسباب النزول] : (الحديث
رجالہ رجال الصحیح) لا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في
الشواهد كما في الميزان (٣)

وقال الإمام الذَّهَبِيُّ (٤) : (وَأَمَّا أَبُو دَاوُدَ فَقَالَ : هُوَ (٥)
أَشْبَهُ النَّاسِ فِي زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ (٦)

(١) الْمَقْبُورُ : الْحِزَامُ الَّذِي يُشَدُّ عَلَى خَاصِرَةِ الْبَحِيرِ . وَتَنَكَّبُهُ
الْحَجَارَةُ : أَيِ تَصِيبُهُ وَتَخُذُّهُ فِي رِجْلَيْهِ .

(٢) لباب النقول ص " ١٢٩ "

(٣) الصحيح المسند من أسباب النزول ص " ٧٧ "

(٤) الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
عثمان ابن تَائِمَازَ التُّرْكُمَانِي الذَّهَبِيُّ الْمُحَدِّثُ ، شَيْخُ الْجَمْعِ
والتَّعْدِيلِ وَصَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْكَثِيرَةِ . تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ
وَسَبْعِمِائَةً مِنَ الْهَجْرَةِ . (مقدمة ميزان الاعتدال بتحقيق
البجاوي) -

(٥) المراد : هشام بن سعد

(٦) ميزان الاعتدال ٢٩٩/٤

قلت : هذا الحديث يكشف عما جبل عليه المنافقون من الكيد والمكر والدسائس . فهذا المنافق الكذاب أراد أن يطعن في صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من القراء . فهو يفتتهم بالنسبة والكذب والجبن . ولكن الله تعالى رد كيده في نحره فأنهزم له أحد الصحابة حتى أسلمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتزع أمره ، وزاده الله ذلًا على ذلٍّ فأنزل فيه قرآنًا يتلى ليفضته إلى يوم الدين . وهكذا شأن القرآن الكريم مع المنافقين وأشياعهم ، يورثهم الذل والصغار في الحياة الدنيا ، ويوردهم الدرك الأسفل من النار في الدار الآخرة .

٤- قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (١)

قال ابن جرير الطبري : (حدثني المثنى قال : حدثنا عمرو ابن موم قال : أخبرنا شميم (٢) عن حصين - هو ابن عبد الرحمن -

(١) سورة النحل ١٠٣

(٢) هو المحدث الثقة الثبت شميم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمى أبو مساوية بن أبي غازم الواسطى . ولد سنة أربع ومائة ، وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب

عن عبد الله بن مسلم الحضرمي أنه كان لهم عبدان من أهل فير اليمن
وكانا يفلين ، وكان يقال لأحدهما "يسار" وللآخر "جبر" فكانا
يقرآن التوراة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم زئما جلس إليهما،
فقال كفار قريش : إنما جلس إليهما يتعلم منهما . فأنزل الله
"لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ" (١)

قلت : هذا الحديث له شاهد رواه الحاكم في المستدرک
وصححه قال : (أخبرني عبد الرحمن بن الحسن ابن أحمد الأسدي
بمقدان ، ثنا إبراهيم بن الحسين ، ثنا آدم بن أبي إياس ، ثنا
ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، رضي
الله عنهما في قوله عز وجل : " إِنَّمَا يَسْتَلِمُهُ بُشْرُ لَسَانٍ الَّذِي يُلْحِدُونَ
إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ " قالوا : إنما يلمس محمدًا عبدُ

ابن المزمق وهو صاحب الكتب . فقال الله : « لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ
إِلَيْهِ أُعْجَبُ » وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَفْعَرُ الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه (٢)

وفي هذا الحديث إشارة إلى سَفَهِ عُقُولِ الْمُشْرِكِينَ . فَإِذَا كَانَ
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ قَدْ نَزَلَ بِأَسْلُوبِ أُعْجَزِهِمْ جَمِيعًا - وَمِمَّ أَرْبَابُ الْفَصَاحَةِ
وَالْبَلَاغَةِ - فَكَيْفَ يَسْتَحِيلُونَ نِسْبَتَهُ إِلَى طِفْلَيْنِ مِنَ الْأَعَاجِمِ لَا يُجِيدَانِ
الْفُصْحَى ؟

اللَّهُمَّ إِنِّهَا الْمَعَانِدَةُ وَالْمُكَايِدَةُ وَهَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ . وَصَدَقَ اللَّهُ
الْمَذَلِّيمَ إِذْ أَلْزَمَهُمُ الْحُجَّةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : [لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ
أُعْجَبُ] وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ .

(١) سورة النحل ١٠٣

(٢) سورة النحل ١٠٥

(٣) المستدرك ٣٥٧ / ٢

... قوله تعالى : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا
ثُمَّ جَاءَهُمْ وَأَوْصَوْهُمُ أَنْ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (١)

قال الطبري : (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّمَادِيُّ قَالَ :
حَدَّثَنَا أَبُو أُسْعَدَ الزُّبَيْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شَرِيكٍ عَنْ قُفْرُو بْنِ
دِينَارٍ عَنْ مَكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ
أَسْلَمُوا ، وَكَانُوا يَسْتَحْتَنُونَ بِالْإِسْلَامِ ، فَأَخْرَجَهُمُ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْهُمْ ،
فَأُصِيبَ بَعْضُهُمْ فَقُتِلَ الْمُسْلِمُونَ : كَانَ أَصْحَابُنَا هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ
وَأَكْرَبُهُمْ ، فَاسْتَدْفَرُوا لَهُمْ . فَنَزَلَتْ : " إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ثَالِثِي
أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ " ... الآية (٢) قَالَ : فَكُتِبَ إِلَيَّ مِنْ بَقِيَّةِ
بِحَقِّهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ ، وَأَنَّهُ لَا مَذْرَأَ لَهُمْ ، قَالَ : فَخَرَجُوا
فَلَمْ يَمُتْهُمْ الْمُشْرِكُونَ ، فَأَعْلَوْهُمْ الْفِتْنَةُ (٣) فَنَزَلَتْ فِيهِمْ : " وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ نَبِيُّ اللَّهِ " إِلَى آخِرِ الْآيَةِ (٤) فَكُتِبَ

(١) سورة النحل "١١٠"

(٢) سورة النساء "٩٧"

(٣) المراد بالفتنة: الزَّوْجَةُ، والمعنى أن المشركين أرادوا فتنَةَ المسلمين عَدُوِّهِمْ
بِأَزْوَاجِهِمْ ، فَاسْتَجَابَ لَهُمْ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ وَارْتَدَّوْا ، فَكَاتَبَهُمُ الْمَلَكُ الْفِتْنَةَ -
عَلَّاهُ فِي تَفْسِيرِ الشُّرَيْحِيِّ ٥٠ / ٥٦ - ٥٥ : [... فَخَرَجُوا فَأَمَرَهُمُ الْمُشْرِكُونَ
فَأَفْتَنَهُمْ بِهِمْ ، فَتَرَكْتَ فِيهِمْ وَلاَ يَدْرِي] .
(٤) سورة العنكبوت "١٠٠"

المسلمون إليهم بذلك ، فحزّنوا وأبغضوا من كل غيرهم نزلت
 عليهم : " ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاءُوا
 وَصَدَّقُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِ مَا لَخَفُوا رَؤُوفٌ " فكتبوا إليهم بذلك : أَنْ
 الله قد تبدل لكم مخرجاً ، فخرجوا ، فأدركهم المشركون فقاتلهم
 حتى نسيّاً من نجا ، وَقَتْلٍ مَنْ قَتِلَ (١)

قال الإمام الهيثمي بعد أن ساق هذا الحديث : (رواه
 البرار ورجاله رجال الصحيح ، غير محمد بن شريك (٢) وشوئبة (٣)
 وفي سبب النزول - هنا - تأكيد على وجوب التمسك بالحقيقة
 والاستسلام بالإيمان على كل الفتن والمضريات .

نحلى المؤمن أن يبذل كل ما في وسعه لصدّ العدوان
 من نفسه ومن دينه ، ولا ينهض له الاستسلام للأعداء ما دام في
 مقدوره أن يعطي كيدهم ، ويفسد مخططاتهم الماكرة .

(١) تفسير الطبري ٢٣٤/٥

(٢) هو محمد بن شريك المكي أبو عثمان المتوفى سنة ثمان وستين

ومائة . قال أحمد وابن معين وأبو زهرة : ثقة . وقال

الدارقطني : ثقة مصروف . وذكره ابن حبان في الثقات .

(انظر تهذيب التهذيب ٢٢١/١)

(٣) مجمع الزوائد ١٠/٧

ومن الوسائل النفعالة في هذا الميدان الهجرة من ديار
الخنز إلى دار الإسلام ، بحيث يكون المهاجر قد أضاف لبنة جديدة
إلى لبنات البناء الجهادي . وبذلك تقوى شوكة المؤمنين ، فيصير
في مكنيتهم تلميح الأرض من الفساد والمفسدين . وبذلك أيضا
تعلو راية الحق ، ويدخل الناس في دين الله أفواجا ، ويظهر هذا
الدين على الدين كله ولو كره المشركون .

٦- قوله تعالى : الزاني لَا يَنْفِكُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً (١)

قال الإمام الترمذي : (حدثنا عبد بن حميد ، نا روح بن
عبادة عن عبيد الله بن الأعمش قال : أخبرني عمرو بن شعيب
عن أبيه [١] عن جده [٢] قال : كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد وكان
رجلاً يحمل الأسرى من مكة ويأتي بهم المدينة ، قال : وكانت
امرأة بغي بمكة يقال لها عناق ، وكانت صديقة له ، وأنه كان وعد

[١] المكنة - يفتح المهم وكسر الكاف - الثمائن .
والمكنة - بضم الميم وإسكان الكاف - القوة والشدّة .

(١) سورة النور ٣٠

(٢) هو مشعبي بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص .

رَجُلًا مِنْ أَسَارَى مَكَّةَ يَحْمِلُهُ . قَالَ : فَجِئْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى ظِلِّ
 ١٤٠ . مِنْ حَوَائِطِ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ مُقَرَّرَةٍ . قَالَ : فَجَاءَتْ عَنَاقِي فَأَبْصُرْتُ
 سَوَادَ ذِلِّي بِجَنْبِ الْحَائِطِ ، نَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى الَّذِي عَرَفْتُ فَقَالَتْ : مَرْتَدٌ ؟
 فَقُلْتُ : مَرْتَدٌ . فَقَالَتْ مَرْحَبًا وَأَهْلًا ، سَلِّمْ فَبِتُّ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ . فَقُلْتُ :
 يَا عَنَاقِي ، سَلِّمْ اللَّهَ الرَّزَّاءَ . فَقَالَتْ : يَا أَهْلَ الْمَنِيَامِ هَذَا الرَّجُلُ يَحْمِلُ
 أَسْرَاكُمُ . قَالَ : فَتَبِعَنِي ثَمَانِيَةً وَسَلَكْتُ الْخَنْدَمَةَ (٢) فَانْتَهَيْتُ إِلَى
 فَارِ أَوْ كَهْفٍ فَدَخَلْتُ . فَجَاءُوا حَتَّى قَامُوا عَلَى رَأْسِي وَخَافَهُمُ اللَّهُ عَنِي
 تَالِثُ ثُمَّ رَجَعُوا وَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَحَمَلْتُهُ ، وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا ، حَتَّى
 انْتَهَيْتُ إِلَى الْآخِرِ فَتَنَكَّكْتُ عَنْهُ أَكْبَلَهُ (٢) فَجَعَلْتُ أَحْمِلُهُ وَيُعِينُنِي حَتَّى
 تَدْرِمْتُ الْمَدِينَةَ ، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يَا
 رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَنكِحُ عَنَاقًا ؟ فَلَمَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ شَيْئًا حَتَّى نَزَلْتُ : " الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً
 وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ " فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ يَا مَرْتَدُ، الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا
 إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ (٢)

(١) السَّخْنَدَمَةُ : جَبَلٌ مَعْرُوفٌ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ .

(٢) الْأَتْبَلُ - بضم الباء - جمع كَيْلٍ بفتح الكاف وكسرهما وإسكان
 الباء : وهو القيد .

(٣) سنن الترمذى بشرح تحفة الاحوذى ١٥٢/٤

قلت : هذا الحديث أخرجه ابو داود (١) والنسائي (٢)
وحسنه الترمذي (٣) وقال الحاكم : صحيح الإسناد (٤)

وسبب نزول الآية يبين حرص الاسلام على الدُّهْر والعفاف والنزاهة
بقدر ما يحرص على مقت الحنا والخبث والفاحشة .

فالمسلم طاهر عفيف في عقيدته وسلوكه ، وهو مسئول عن إشاعة
هذه القيم الفاضلة في بيئته ومجتمعه . ولكي يتسنى له القيام بهذه
المسؤولية ، لا بد له من الاستعانة بمن يشاركه الايمان بتلك القيم .
ولا فرو أن الزوجة الصالحة خير معين في هذا المجال . فكان من
منحة الله تعالى وعده له أن يحرم على المؤمنين نكاح الزواني والمشركات ،
حتى يحفظ عليهم عفتهم وطهرتهم في انفسهم ووفى دريتهم من بعدهم .
ومن ثم يقوم بأمر الدعوة هداة مؤهلون للقيام بواجبهم على الوجه المطلوب .

(١) سنن أبي داود ١٧٦/٢

(٢) سنن النسائي (٥٤/٦)

(٣) سنن الترمذي ١٥٢/٤

(٤) المستدرک ١٦٦/٢

٧- قوله تعالى : (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (١)

قال الإمام الطبري : (حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ أَدَمَ قَالَ : حَدَّثَنَا عَفَّانُ
ابْنُ مُسْلِمٍ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ
عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْفَةَ قَالَ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي عَشْرَةِ أَنَا أَحَدُهُمْ : -
" وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ") (٢)

وقال الهيثمي : (عَنْ رِغَامَةِ الْقُرْظِيِّ قَالَ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ
فِي عَشْرَةِ أَزْهُطٍ أَنَا أَحَدُهُمْ : " وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ "
رواه الطبراني "٣" بإسنادين أحدهما متصل ورجاله ثقات بهذا هو .
والآخر منقطع الإسناد .

(١) سورة القصص " ٥١ "

(٢) تفسير الطبري ٨٨ / ٢٠

(٣) هو الإمام الحافظ العلامة أبو القاسم سليمان بن أحمد بن
أيوب الشامي اللخمي الطبراني من كبار أئمة الحديث
والتفسير والمناسك . توفي سنة ستين وثلاثمائة (أعلام المحدثين

قلت : القول الذي ورد في الآية الكريمة المراد به القرآن الكريم، الذي أنزله الله لهداية البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور .

ولا شك أن القلوب المفتحة للهداية تستفح بهذا القول الكريم، وتنقاد لأمر ربها طائعة مذلعة ، مشوقة لمرضاة الخالق الديان .

وفي الآية إشارة إلى حكمة إرسال الرسل ، فإن من واجبهـم تبليغ الدعوة إلى الناس وتمييز الحق من الباطل، بإقامة البراهين الدامنة ، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . ومن ثم لا يملك عاقل سوى الإذعان لأمر الله ، والدخول لرسله الكرام عليهم السلام .
" وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَهْلَ الْأَنْبِيَاءِ " (١)

٨- قوله تعالى : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (١)

قال الإمام الترمذى : (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زِيَادٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْسِيُّ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ ، عَنْ يَحْيَى ابْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ " نزلت في انتشار الصلاة التي تُدْعَى الْعَتَمَةُ) (٢) قلت : هذا الحديث أخرجه الطبري في تفسيره (٣) وعسنه وصححه الإمام الترمذى (٤) وقال الحافظ ابن كثير : سنده جيد (٥)

وفى سبب النزول دلالة واضحة على حب الله تعالى لعباده القانتين ، واحتشائه بهم وبأعمالهم الصالحة .

-
- (١) سورة السجدة " ١٦ " .
 (٢) سنن الترمذى ١٦١ / ٤
 (٣) تفسير الطبري ١٠٠ / ١٢
 (٤) سنن الترمذى ١٦١ / ٤
 (٥) تفسير ابن كثير ٤٠٩ / ٥

والحديث - أيضاً - يشير إلى سعة رحمة الله تعالى، وتفضله
على عباده، بما قد احه لهم بهذا الثناء الجميل، الذي يدل على الرضاء
الكامل والتبؤل بآلنآم .

ونلاحظ كذلك في ثنايا الحديث التنويه بأهمية صلاة العتمة ،
التي هي صلاة العشاء (١) وأن^{من} ينتلر^{من}دا حتى يصلها يكتب عند الله
من القائمين الليل بأجمعه . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم * (٢)

(١) انظر تحفة الأعوذى ١٠١/٤

(٢) سورة الجمعة (٤)

١- قوله تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ ^{جَمِيعًا} إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (١)

قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري : (حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَقَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْقَارِي ، حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ ،
حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ
ابْنُ إِسْحَاقَ قَالَ : وَأَخْبَرَنِي نَافِعٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ عُمَرَ قَالَ :
كُنَّا نَقُولُ : (مَا لِمُفْتَتِحِ تَوْبَةٍ ، وَمَا لِلَّهِ بِتَقَابِيلٍ مِنْهُ شَيْءٌ) فَلَمَّا
قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَنْزَلَ فِيهِمْ : " يَا عِبَادِيَ
الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " وَالآيَاتُ بَعْدَهَا (٢)

قال الحاكم : (صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، وأقره

الذَّهَبِيُّ) (٣)

(١) سورة الزمر " ٥٣ "

(٢) المستدرک ٤٣٥ / ٢

(٣) المستدرک ٤٣٥ / ٢

وقال الهيثمي : (رواه البزار (١) ورجاله ثقات) (٢)

قلت : هذا الحديث يشتمل على نعمة من كبريات النعم التي
معبأ الله بها عباده ، وهي نعمة التوبة وقرآن الذنوب جميعاً ،
وما يتبع ذلك من دخول الجنة ، بعد أن كادت الأعمال توبق أصحابها
وتسومهم سوء الحذاب ؛

ومراد الآية - والله أعلم بمراده - إنقاذ العباد من داء القنوط
والياس من رحمة الله تعالى - لأن اليأس لو استعوز على النفوس
لأورد لها موارد التهلكة والدمار ؛ ولكن الله تعالى رؤوف رحيم بعباده ،
يريد لهم الخير والفلاح والسُّمُرَ بأرواحهم في مدارج الإيمان والتقوى .
ومن ثم مهَّد لهم طريق التوبة والإنابة ، ووعدهم على ذلك خير ما
تتمناه الأنفس من النعيم المقيم والحياة الراضية . .

(١) هو الحافظ أبو الفضل أحمد بن سلمة النيسابوري البزار .
كان إماماً في الحديث وتوفي سنة ست وثمانين ومائتين (أعلام
المُصنِّفين ٣٠١)

(٢) مجمع الزوائد ٦١ / ٦

١٠- قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ
عَدُوِّكُمْ فَاعْزُرُوهُمْ وَإِن تَصَفَّحُوا وَتَصَفَّحُوا وَتَخَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ) (١)

قال الإمام الترمذی : (حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا محمد
ابن يوسف ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا سفيان بن حرب ، عن عكرمة
عن ابن عباس : سأله رجل عن هذه الآية : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوِّكُمْ فَاعْزُرُوهُمْ " قال : هؤلاء
رجال أسلموا من أهل مكة ، وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه
وسلم ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يذهبوا عنهم أن يأتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا أصحابهم
قد فقهوا في الدين - سمعوا أن يحاضروهم . فأنزل الله تعالى " يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوِّكُمْ فَاعْزُرُوهُمْ " الآية .
هذا حديث حسن صحيح (٢)

قلت : هذا الحديث أخرجه الطبري (٣) وابن كثير (٤)
وقال الحاكم : صحيح الإسناد (٥) . ومعرفة سبب نزول الآية

(١) سورة التهاين " ١٤ "

(٢) سنن الترمذی ٢٠٢ / ٤

(٣) تفسير الطبري ١٢٤ / ١٨

(٤) تفسير ابن كثير ٣٧٦ / ٤

(٥) المستدرک ٤٩٠ / ٢

تعالج داء من الأدواء الخطيرة الفتاك ، ألا وهو داء الإفتنان بالآهل والعال والولد .

فهاهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتزمون الهجرة لِيُقَوُّوا شَوْكَةَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَنْصُرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، بِإِزْهَاقِ الْبَاطِلِ وَإِعْلَاءِ رَايَاتِ الْحَقِّ فَوْقَ دُرَى أَرْجَاءِ الْكَوْنِ . ولكنهم يجدون أنفسهم مشدودين بأعابيل العاطفة الزوجية ، والحنان الأبوي . فلا يملكون لذلك رداً أهل يَنْكُصُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ متعلفين من الهجرة إلى الله ورسوله . ويخذل اشتقاقيتهم من سكرات السواطف يلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم . فماذا يجدون في دار الهجرة ؟ إنهم وجدوا إخوانهم السابقين قد فاتوهم آماداً بعيدة في اكتساب العلم والتسلق بأداب نبهم الكريم . فلم يملكوا غير الأسى على مسا فاتهم من الخير ، ولم يجدوا بداً من معاقبة أهلهم . ولكن الله تعالى يتداركهم برحمته الواسعة، فيدعوهم إلى الحثو والصفح والفران : " وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَذَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (١)

وهكذا تتضح قيمة الروايات الواردة في أسباب النزول : فهي إما أن تكون من رواية الشيخين . وإما أن يكون لها أصل في الصحيحين . وإما أن تكون مروية بالأسانيد الصحيحة المتصلة . وهذا التسم الأخير هو النالبي أسباب النزول لأن ما ورد في الصحيحين أكثره مضمي بتفسير القرآن الكريم .

هناك شيء مهم جداً
بأسانيد متينة

ولهذا السبب نجد أنَّ ما ورد في الصحيحين من أسباب
النزول لا يتجاوز الستة مواضع بعد المائة موضع . وأنَّ الموافق لما
في الصحيحين يبلغ ثمانية وعشرين موضعاً (١) ومجموع هذين
القسمين يبلغ أربعة وثلاثين موضعاً ومائة موضع . وما بقي من
الروايات الواردة في أسباب النزول كلُّه من القسم الأخير ، وجملته
واحد وسبعون موضعاً وسبعمئة موضع (٢)
وأنت ترى أنَّ القسم الأخير من الكثرة بحيث لا يتسع لتحقيقه
نصل كنهذا بل هو صالح لتأليف رسالة كاملة مستقلة بحسب الله أن
يفتح باباً بعد هذا في مُقيل الأيام . ولهذا كُزِمَ الاكتفاء هنا بسوق
أمثلة للأقسام الثلاثة . والله تعالى أعلم بمكنونات كتابه ، وهو
سبحانه من وراء القصد .

[١] انظر «كتاب التفسير» في كُلامه صحيح البخاري ومسلم .
[٢] كان الاعتماد في هذا الاستشراء - بعد الله تعالى - على الصحيحين ،
ثم كتابي الواعظ والسيوطي في أسباب النزول ، ثم كتاب «الصحيح
المستدرج» أسباب النزول «التي قبل به هادي الوادعي» .

الفصل الثانی

فے صیغ الرواة

فہ التفسیر عن سبب النزول

والموازنة بينهما

وفيه مباحث

المبحث الأول :

صیغ الرواة فی التفسیر عن سبب النزول.

المبحث الثاني :

الموازنة بين هذين الصيغ .

الفصل الثالث

=====

في صيغ الرواة في التعبير عن سبب النزول

والموازاة بينهما

=====

ويشتمل هذا الفصل على مبحثين :

المبحث الأول : صيغ الرواة في التعبير عن سبب النزول

للرواة صيغ متنوعة في تعبيرهم عن سبب النزول . وهي لا تكاد

تتعدى الأنواع التالية :- (١) كقولهم

أولاً : ما صُرح فيه بنقطة السبب : سبب نزول هذه الآية كذا .

ثانياً : ما اقترن بقاء داخل على مادة نزول الآية عقب سرد حادثة ،

كقولهم : " فنزلت " أو " فأنزل الله " .

ثالثاً : ما نزل جواباً على سؤال ، ووجه للنبي صلى الله عليه

وسلم ، وهذا النوع لا يصرح فيه بالسبب ولا يعبر عنه بالفاء ، ولكن ^{للاقتضاء}

السببية تفهم فيه من المقام .

رابعاً : قول الصحابي : « نزلت هذه الآية في كذا »

خامساً : قول التابعي : « نزلت هذه الآية في كذا »

سادساً : ما لم يجزم به الراوي ، كقولهم : أحسب هذه الآية

نزلت في كذا (٢)

(١) انظر مناعل السرفان ١٠٧/١

(٢) انظر الاتقان ٣٢/١

وسأُشِلَّتْ في هذا المبحث ما سلكه الأصوليون في التعرف على مَسَالِكِ
الحِلَّةِ (١)

(١) فقد يثبت السبب أو الحلة عند الأصوليين بالنص صراحة ،
أو بالإجماع . ونظير ذلك في أسباب النزول ما صُحِّح فيه بنص السبب
تقولهم : (سبب نزول هذه الآية كذا)

والظاهر أن هذه الصيغة أدرجت - افتراضا - ضمن صيغ التعبير
عن سبب النزول ، لأنها لم تَرُدْ بهذه الصيغة في رواية من الروايات
المعتبرة . والكتب المعنية بأسباب النزول شاهدة على ذلك (٢)

وكان من اللائق أن تُهْمَلَ هذه الصيغة لعدم ورودها في أسباب
النزول . غير أن ورودها في بعض كتب علوم القرآن (٣) باعتبارها
نصاً في السببية دعا إلى ذكرها شفاءً للتنبيه على أنها لم تُكْرِدْ
- أصلاً - في أسباب النزول .

(١) انظر أصول الفقه للشيخ محمد ابى زهرة ص ١٤٤

(٢) انظر على سبيل المثال : كتابي الواحدى والسيوطى .

(٣) انظر مناهل الصرفان ١٠٧/١

٢- وقد يثبت بالإيمان . فكما أَنَّ الحِلَّةَ تُثَبَّتُ بِالْإِيْمَاءِ، فكذلك السبب ، ويكون هذا الإيمان يترتيب الحكم على سبب ، مثل قوله تعالى في الحِلَّةِ : (وَالتَّاسِرِيُّ وَالسَّارِقُ غَاقِطُوا أَيْدِيَهُمَا) (١) فإن طَلْعَ الْقَطْعِ فِي السَّرِقَةِ بِالْإِيْمَاءِ الَّذِي هُوَ تَرْتِيبُ الْجَزَاءِ عَلَى الْوَصْفِ . وكذلك في السبب نحو قولهم : " فنزلت " أو " فأنزل الله " بتحقيق المنزول على ما ذكره الراوي .

وهذه الصيغة هي الخالصة في التعبير عن سبب النزول . ومن أمثلتها ما ورد في صحيح الإمام البخاري على النحو التالي :-

أ / (حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ ، سَمِعَ زُبَيْرًا (٢) عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ،
عن البراء رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى
إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ شَهْرٍ (شَهْرًا) وَكَانَ يُحْجِيهِ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ الْبَيْتَ
وَأَنَّهُ صَلَّى - أَوْ صَلَّاهَا - صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ
كَانَ يَصَلِّي مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ / أَرَأَيْتُمْ . قَالَ أَشْهَدُ بِاللَّهِ
لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ مَكَّةَ فَخَرَجُوا كَمَا هُمْ
قِبَلَ الْبَيْتِ . وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ قِبَلَ الْبَيْتِ
رَجَالٌ قَتَلُوهُ لَمْ نَدْرِمَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : " وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَكَرِيمٌ " (٣)

أول صلاة

[تنبيه الهذيل]

(١) العائدة (٣٨)

(٢) هو زهير بن حناوية بن حذَّجٍ بضم الحاء ، مُصَنِّفُ أَلْحَر

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب سَيَقُولُ الْمُشْكَكَاءُ ،
وانظر سورة البقرة آية رقم ١٤٣

ب / (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ^[١] عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ
عَنِ الْبَرَاءِ - وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَثْمَانَ ، حَدَّثَنَا شُرَيْحُ بْنُ مَسْلَمَةَ قَالَ :
حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُونُسَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ : سَمِعْتُ
الْبَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَمَّا نَزَلَ صَوْمُ رَمَضَانَ كَانُوا لَا يَقْرَبُونَ النِّسَاءَ
رَمَضَانَ كُلَّهُ ، وَكَانَ رِجَالٌ يَتَوَنَّنُونَ أَنْفُسَهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : " عَلِمَ
اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَتَنَتَّنُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَمَسَّابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ " (١)

ج / (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ أَبِي
إِسْحَاقَ ، عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ : كَانُوا إِذَا أُحْرِمُوا فِي الْجَاشِلِيَةِ أَتَوْا
الْبَيْتَ مِنْ شَهْرِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : " وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ
شُهُورِنَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا " (٢)

د / (حَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ أَبُو مُحَمَّدٍ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
بِخْفَرٍ مِنْ شُعْبَةَ ^[٣] عَنْ سُلَيْمَانَ ^[٤] عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ :
لَمَّا أُمِرْنَا بِالْصَّدَقَةِ كُنَّا نَتَعَامَلُ (٥) فَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بِنِصْفِ صَاعٍ وَجَاءَ

[١] هُوَ ابْنُ مُوسَى .
(١) صَنِيعُ الْبِخَارِيِّ كِتَابُ التَّفْسِيرِ ، بَابُ (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرَّنْتُ)

وَانْظُرْ سُورَةَ الْبَقَرَةِ آيَةَ رَقْمِ ١٨٧

(٢) صَنِيعُ الْبِخَارِيِّ ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ ، بَابُ (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا
الْبُيُوتَ مِنْ شُهُورِنَا) . وَانْظُرْ أَيْضًا سُورَةَ الْبَقَرَةِ الْآيَةَ رَقْمِ ١٨٩
[٣] هُوَ ابْنُ الْحَجَّاجِ . [٤] هُوَ ابْنُ مَرْثَانَ الْأَعْمَشِ .
(٥) نَتَعَامَلُ : أَيْ يَحْمِلُ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ بِالْأَجْرَةِ (فَتَحُ الْبَارِي

إنسان يكثر منه ، فقال المنافقون : إن الله لَغنيٌّ عن صدقة هذا .
وما ندر هذا إلا رياءً فنزلت : " الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ " (الآية) (١)

قلت : فأنت ترى في الأمثلة الأربعة المتقدمة أن السبب لم
يذكر صراحة بل ذكر ضمناً ، وذلك هو الإيما الذي تقدم ذكره آنفاً .

في المثال الأول كان سبب النزول تخوف الصحابة على مصير
إخوانهم الذين لم يدركوا تحويل القبلة الى الكعبة ، وكأنهم أشفقوا
من أن تكون صلاتهم إلى بيت المقدس غير مقبولة ، نأزل الله قوله
"وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ" وطمأنهم على مصير إخوانهم وبين لهم
أن الميهم هو العمل بالتشريع فمن مات قبل أن يُشكّر هذا التشريع
نفسه معسوب له ، غير ضائع عليه ، فيدل الله ورحمته .

(١) صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب " الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ "

وانذر سورة الشؤبة آية رقم [٧٩]

وفي المثال الثاني كان التشريع في صدر الإسلام هو احتلال النساء رمضان كله ، ولكن بعض المسلمين جعلوا يختانون أنفسهم، فخالفوا التشريع، واتصلوا بنسائهم، فكان ذلك سبباً في نزول الآية، حيث نهى الله عنهم، وأباح لهم الرفق إلى نسائهم في ليالي رمضان ، وتاب عليهم وحقق عنهم فيما ارتكبوه من مخالفتهم التشريع السابق .

وفي المثال الثالث، كان الناس في الجاهلية يحرمون ويأتون البيت من ظهريه ، فلما منهم أن في ذلك غيراً ويراً ، فنزل القرآن يوجههم إلى الطريق المثلث، وهي إتيان البيوت من أبوابها، ويُرشد هم إلى تقوى الله التي هي جماع الخير والبر والفلاح .

وفي المثال الرابع نرى نقراء المسلمين يُجهدون أنفسهم تنبيهاً لأمر الله بالصدقة، وحرصاً منهم على الفوز بمرضاة ربهم، فكانوا يتعاملون: [أَنْ يَسْعَلَ بِحَضْرِهِمْ لِبَعْضِ الْأَجْرَةِ] ، ويتصدق الأجراء بما كَسَبَتْ أيديهم، على قَلْبِهِ وَشُحِّهِ وَشِدَّةِ حَاجَتِهِمْ لَهُ ، وفي الوقت نفسه كان الأثنياء منهم يتنافسون في بذل أموالهم لتجهيز الجيش. ولكن المناغين اغتاثوا من ذلك البذل السخى، فأرادوا تشييد همهم المسلمين، بالتكلم والسُّخْرية من فقرائهم، وبالتشكيك في إعلاص المؤسرين منهم ، فأنزل الله تبرئة المسلمين مما وصَّهم به أعداء الله، وأنذر المناغين بأن سخريتهم مردودة عليهم ، وأنهم سَيُلْقَوْنَ جزاء كُروهم ونفاقهم في الدُّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ .

وهكذا نجد سبب النزول في هذه الآيات الكريمة وغيرها لم يرد صراحةً، وإنما ورد إيماناً بتحقيق سبب النزول على ما ذكره الراوى .

وعليه فالإيمان إشارة إلى ربط المسبب بسببه . فقول الراوى " نزلت لربط ما هو مسبب من النازل بسببه المقتضى لنزوله .

ومن معانى الناء الترتيب ، أى ترتيب المسبب على السبب والتحقيق عليه . ولا شك أن الإيمان متفاوت الدرجات فالإيمان من الله تعالى أصبح من الإيمان من الراوى ، إذ أن الإيمان من الله قاطع والإيمان من الراوى يحتره التفاوت إذ يجوز عليه الشك . ونرى ذلك واضحاً عند اختلاف الرواة فى سبب النزول، وإن كان مثلاً هذا لا يقال فيه بالرأى، إلا أن صيغ الرواة فى إيمانها أقل وضوحاً من الصيغ الواردة من الله تعالى .

فمثلاً : لا ريب فى أن السرقة علة التلع فى قوله تعالى " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما " (١) أما إذا قال الراوى - مثلاً - : سها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد ، دَلَّ بظاهره ^{على} أن علة السجود هى السهو ومع ذلك يبقى احتمال آخر وهو أنه سجد لخير السهو . بل سجد ليحلم الأمة . إلا أن الراوى لم يتطرق لذهنه هذا الاحتمال .

(١) سورة المائدة ٣٨

من أجل ذلك أقول : إن قول الراوى : " فنزلت " يحتمل أن يكون ما ذكره هو السبب ، ويحتمل أن يكون غيره . ولذا قلت إن هذا التعبير إيماء وليس بتصريح .

٣- وقد يثبت السبب عن طريق سؤال يوجه إلى النبى صلى عليه وسلم فينزل الوعى بالجواب المراد .

ومثال ذلك ما ورد فى الروایتين التاليتين :

أ/ قال الإمام مسلم رحمه الله : (حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ بَكْرِ النَّاقِدِ حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ ، سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : مَرِضْتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُوبَكْرٍ يَحْدِثَانِي مَا شِئْتُمْ ، فَأُغْمِي عَلَى فِتْوَا ثُمَّ صَبَّ عَلَى مِنْ وَضُوئِهِ فَأَفَقْتُ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَقْضِي فِي مَا لِي ؟ قَالَ : لَمْ يَرُدَّ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ : " يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُنْتِزِكُ فِي الْكَلَالَةِ " (١)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الفرائض (٥٤ / ١١)

وانظر سورة النساء : آية ١٧٦

ب/ وقال الإمام البخاري رحمه الله : (حَدَّثَنَا حَمْرُونُ بْنُ حَفْصِ بْنِ فَيَافٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا الْأَمْشِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ (١) عَنْ طَلْقَةَ (٢) ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرْثٍ وَهُوَ مَتَكِيٌّ عَلَى عَصِيْبٍ (٣) إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُكُمْ إِلَيْهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرُمُونَهُ ، فَقَالُوا : سَلُوهُ ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُرِدْ عَلَيْهِمْ شَيْئًا ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ ، فَخَمَمْتُ مَقَامِي ، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ : " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا " (٤)

(١) وهو النخعي .

(٢) وهو طلقة بن تيس .

(٣) العصيب هو جريدة النخل التي لا غوص فيها : [فتح الباري

٤٠١/٨]

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ،

وانظر سورة الإسراء آية [٨٥]

تلت : فهاتان الروايتان فيهما سؤال وجواب ، وبينهما شبه
كمال اتصال ، مما يحقق الرابطة الأكيدة بين المسبب والسبب ؛
ويثبت نوعاً من العلاقة المؤكدة بينهما .

وقد نزلت الآيتان طلبيةً لمطلوبٍ يهّم الناس أن يعرفوه . ومن
دقة القرآن الكريم أن يكون الجواب مناسباً لحالة السائلين :

نلما اسْتَفْتَوْا نِي حَكْمِ شَرْعِيٍّ جَاءَ الْجَوَابُ صَرِيحاً بقوله تعالى :
" قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ " بينما الآية الأخرى في حكم ذبيبي ،
ومن أجل ذلك كان في الجواب ضربٌ من الإبهام فقال : " قُلِ الرُّوحُ
مِنْ أَمْرِ رَبِّي " .

وبهذا تتأكد العلاقة بين الجواب والسؤال حتى في الأحوال
من وضوح ، وخفاء ، وطلب ، ومطلوب ، والله تعالى أعلم بأسرار كتابه ،

٤- وقد يثبت السبب احتمالاً ، نحو قولهم : " نزلت هذه الآية في كذا " .

فهنا احتمالات :

الأول : بيان السبب .

الثاني : بيان ما تضمنته الآية :

الثالث : رأى الرواي في تفسير الآية .

ولمّا كان المحتل لا يتعين إلا بقريظة ، فقد قالوا : إن قول الراوى : " نزلت هذه الآية فى كذا " ليس نصاً وإنما هو محتمل لكنهم فرّجوا المسألة إلى فرعين ، تبعاً لحال الراوى : -

أ / فان كان الراوى من الصحابة الذين شهدوا الوحي والتنزيل ، فإن قوله " نزلت هذه الآية فى كذا " يُعتبر حديثاً مُسنّداً ، بمعنى أنه مرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وبحضهم لا يدخله فى المُسنَد ، بل يجعله من قبيل التفسير (١)

وفى ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله : (وقد تنازع العلماء فى قول الصّاحِب : " نزلت هذه الآية فى كذا " هل يجرى مجرى المُسنَد - كما يُذكر السبب الذى أنزلت لأجله - أو يجرى مجرى التفسير منه ، الذى ليس بمُسنَد ؟ قال بغارى يُدخله فى المُسنَد ، وفيه لا يدخله فى المُسنَد ، وأكثر المَسانيد على هذا الاصطلاح كـ مُسنَد أحمد وفيه ، بخلاف ما إذا ذكر سبباً نزلت فيه ، فإنهم كلهم يُدخلون مثل هذا فى المُسنَد) (٢)

(١) الإِثقان ٣٢ / ١

(٢) مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ص [٤٨]

ب/ وإن كان الراوي تابصياً فإن قوله يُصَتَّبَر مرفوعاً أيضاً ، ولكنه مُرْسَل ، وقد يُقبل إذا صح إسناده إليه ، وكان معتزداً بمُرْسَلٍ آخر ، بشرط أن يكون من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة ، كمجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير (١)

أمثلة للنوعين :

وفيما يلي نسوق أمثلة لما رواه الصحابي ، وما رواه التابعي الآخذ عن الصحابة .

أولاً : ما رواه الصحابي :

ونكتفي منه بمثالين فيما يلي :

المثال الأول :

(حدَّثنا علي بن عبد الله ، حدَّثنا سفيان قال : قال عمرو : سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول : فينا نزلت : " إِذْ هَمَّت دَافِعَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا (١) قال : نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة ، وما نُحِبُّ - وقال سفيان مرة : وما يُسُرُّني -

(١) الإِشْتِاق (١/ ٣٢)

(٢) آل عمران [١٢٢]

أَنَّهُ لَمْ تَنْزَلْ ، لقول الله : «وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا» (١)

المثال الآخر :

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّعِيمِ ، حَدَّثَنَا مَعْلَى بْنُ مَنْصُورٍ ، عَنْ
حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ (٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ أَنَّ هَذِهِ آيَةُ : " وَتُغْفِرُ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ " (٣)
نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ، وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ " (٤)

فَفِي هَذَا مِنَ الْمَثَالَيْنِ جَاءَ التَّصْبِيرُ عَنْ سَبَبِ الْغُزُولِ احْتِمَالًا ،
لِأَنَّ قَوْلَ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " فِيمَا نَزَلَتْ " يَحْتَمِلُ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ
بِسَبَبِ هَمِّهِمْ بِالرَّجُوعِ مِنَ الْغَزْوِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِمْ - أَوْ فِي
بَيَانِ مَا عَزَمُوا عَلَيْهِ مِنَ النُّكُوصِ مِنَ الْجِهَادِ -

وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ فِي قَوْلِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " نَزَلَتْ فِي شَأْنِ
زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ " - فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ نَزُولَ الْآيَةِ بِسَبَبِ زَوَاجِ زَيْنَبَ ، كَمَا
يَحْتَمِلُ نَزُولُهَا فِي بَيَانِ الْقِصَّةِ .

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ .

(٢) هو ثابت بن أسلم البُنَانِيُّ .

(٣) سورة الأحزاب (٣٧)

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب وَتُغْفِرُ فِي نَفْسِكَ .

ثانيا : ما رواه التابصى :

ونكتفى منه بمثلين أيضا :

العتال الأول :

قال الإمام السيوطي رحمه الله : (أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال : إِنَّ حَيَيْنَ من العرب اقتتلوا في الجاشلية ، قَبْلَ الإسلام بقليل . وكان بينهم قتل وجراحات ، حتَّى قتلوا العبيد والنساء . فلم يأخذ بعضهم من بعض حتَّى أسلموا . فكان أَحَدُ الْحَيَيْنِ يتناول على الآخر في الحَدَدِ والأَمْوَالِ ، فحلفوا ألاَّ يَرْضَوْا حتَّى يُقْتَلَ بالعبد مَنَّا الحرُّ منهم ، والمرأة مَنَّا الرجلُ منهم ، فنزل فيهم : " الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى " (١)

(١) لباب النقول ص (٢٢) وانظر سورة البقرة آية رقم ١٧٨

المثال الآخر :

قال الإمام ابن جرير الطبري : (حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ قَالَ : ثنا الحسين

قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قال : نزلت هذه
الآية : " إِنْ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا " (١)
في أبي رافع ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وكعب بن الأشرف ، وحبيش
ابن أخطب (٢)

قلت : وكما جاء التعبير من سبب النزول احتمالا في رواية
الصحابي ، فذلك مُبرّنه في رواية التابعي . لأن قول سعيد
ابن جبير : " فنزل فيهم " وقول عكرمة : " نزلت هذه الآية في أبي
رافع الخ ، يَحْتَمِلُ كلاهما أن الآيات نزلت بسبب من ذكروا
في الروایتين ويَحْتَمِلُ أنها نزلت في بيان أمرهم وأحوالهم .

(١) آل عمران (٧٧)

(٢) جامع البيان (٣ / ٣٢١)

تنبيه

إنَّ الاعتِمالَ في القسمِ الثاني ناشئٌ من المقارنة بالإيمانِ ففى كلامِ الله . أما الاعتِمالُ فى صيغةِ الصحابيِّ أو التابعيِّ فناشئٌ من المعيشةِ نفسها . ولو تأملنا فى مثاليِّ التابعيِّينَ لوجدنا التفسيرَ فى مثالِ بالفاءِ ، وفى الآخرِ بدونها ، ممَّا يدلُّ على التفاوتِ فى الاحتمالاتِ . وهذه المسائلُ تُدرَكُ بالتأملِ والنظرِ والرؤيةِ .

هـ - وأخيراً قد يَشْكُ الرَوَاى فى سببِ النزولِ فيحجِّرُ عنه بقوله : أحسب هذه الآية نزلت فى كذا . . .

جاء فى كتاب الإِتقان للإمام السيوطى ما نصه :-

(مشرفة سبب النزول أمرٌ يحصلُ للصحابَةِ بقرائنَ تحتفُّ بالقضايا

وربما لم يجزَمْ بعضهم فقال : أحسب هذه الآية نزلت فى كذا . . .) (١)

ومثال ذلك ما رواه الإمام البخاري رحمه الله ، قال : - (حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة قال : خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريع من الحرة (١) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك » . فقال الأنصاري : يا رسول الله ، أن كان ابن صديق ؟ فتلون وجهه ثم قال : « اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر (٢) » ثم أرسل الماء إلى جارك » . واستوعق النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم حين أخفذه الأنصاري ، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة . قال الزبير : « فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك » فلا وربك لا يؤمنون حتى يحتسبوا زيارتنا شجرة بينهم » (٣)

(١) الشَّيْبُ والشَّجَرُ : مسيل الماء . والحرة حجارة مُحترقة وسمى

موضع مصروف بالمدينة المنورة .

(٢) الجدر هو الحاجز الذي يحبس الماء (فتح الباري ٥ / ٣٦)

(٣) صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب « فلا وربك » . وانظر

سورة النساء آية [٦٥]

ثم استأورد الحافظ قائلا : (ورجَّح الطبري في تفسيره ، وعزاه
إلى أهل التأويل في «تفسيره» ، أن سبب نزولها هذه القصة
ليتنسق نظام الآيات كلها في سبب واحد) (١)

ولعل الحافظ بن حجر يعني بهذا قول الطبري في تفسيره :
(قال أبو جعفر : وهذا القول - أعني قول من قال : عني به
المعتكمان إلى الطافات اللذان وصف الله شأنهما في قوله : " أَلَمْ
تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ
قَبْلِكَ " - أولى بالصواب ، لأن قوله " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى
يُكَلِّمُونَا غِيَمًا شَجَرَ بَيْنَهُمْ " في سياق قصة الذين أسدى الله الخبر
عنهم بقوله : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ " . ولا دلالة تدل على انقطاع قصتهم . فإلحاق
بعض ذلك ببعض ما لم تأت دلالة على انقطاعه أولى) (٢)

(١) فتح الباري ٣٨/٥

(٢) جامع البيان ١٥٩/٥

إلى أن قال :

(فإنه فير مستحيل أن تكون الآية نزلت في قصة المُحْتَكِمِينَ
إلى الدَّافُوت، ويكون فيها بيان ما احتكم فيه الزبير وصاحبـــــــــــــــــه
الأنصارى . . .) (١)

وعكذا يتضح مما تقدم في قول السيوطي وابن حجر والطبري ،
أن الزبير لم يكن يجزم بسبب النزول ، وأن الآية ربما تكون نزلت
في فير قصته مع الأنصارى ، ولهذا جاء التفسير من سبب النزول
بقوله : " فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك من فير
يجزم منه بسبب النزول . والله أعلم .

المبحث الثاني

الموازنة بين هذه الصيغ

بعد التحرف على صيغ التعبير عن سبب النزول ، لابدَّ من الموازنة بينها ، لمعرفة ما هو نصُّ في السببية ، وما هو ليس بنصٍّ فيها . ولحلُّه من المفيد أن نسترشد ، في منهج الموازنة ^[١] ، بالأمور الآتية :-

١ / عند التعارض يُقدِّم النصُّ على الإيما ، والإيما على المحتمل والمحمَّل على المشكوك .

ب / وعند الترجيح ، إن تعارضت صيغتا روايتين ، يرجَّح ما يؤيد بصيغة أقوى .

ج / وعند موافقة الصيغ وتعدد الأقوال ، فالأولى الجمع إن أمكن ، وإلا فالتوقف ، أو التخيُّر ، أو الإسقاط .

وفي البداية ، لابدَّ من تجاوز الصيغة الأولى ، وهي قولُ الراوي : " سببُ نزولِ هذه الآية كذا " لما تقدم من عدم ورودها بهذه الصياغة . ونرى - على نرض ثبوتها - تُعتبر نصًّا في السببية ، وتكون مدَّمة على غيرها ، لأنَّ النصَّ مقدَّم على ما سواه . غير أنَّ هذا الافتراض لا يقوم أصلاً ، لخلو الروايات من هذه الصيغة .

[١] المراد الموازنة بصيغة عامة .

ولما كان الإيمان مقدماً على ما سواه فإن الصيغة الدالة على
ثبوت النسخ بالإيمان ، وشئ ما اقترنت بالفاء ، تُعْتَبَرُ أَقْوَى صِيغَةً
في السببية ، وتكون مقدمة على ما سواها .

ويلحق بهذه الصيغة ما كان جواباً على سؤال موجه للنبي صلى
الله عليه وسلم لكونه يدل على ارتباط وثيق بين السبب والسبب كما
تقدم في القسم الثالث ، ولا قرأته أحياناً بالفاء كما ثبت في الصحيح ،
من مثل قول أنس رضي الله عنه :-

أ / (إن اليهود كانوا إذا غاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها
ولم يجامضوهم في البيوت . فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى : " وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْمَحْضِيِّ قُلْ هُوَ أَذَى نَاعَتِ النِّسَاءِ فِي الْمَحْضِيِّ " . . . إلى
آخر الآية (١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصنعوا
كل شيء إلا النكاح ، فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا
الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا غالفنا فيه . فجاء أسيد بن
عصير ، وعباد بن بشر فقالا : يا رسول الله ، إن اليهود تقول

كَذَا وَكَذَا فَلَا نُجَا: مِصْرَيْنَا . فتفسير وجه الرسول صلى الله عليه وسلم
حتى ضننا أن قد وجد عليهما ، فخرجنا فاستقبلهما هدية من لبن
إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرسل في آثارهما فسقاهما ، فحرفا
أن لم يجد عليهما (١)

ب ب / (سداب رسول الله صلى الله عليه وسلم غلبة ما سمحت مثلها
قد قالوا تصنمون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكيكم كثيرا . قال : ففطلي
أصناب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوبهم لهم حنين . فقال
رجل : من أبي ؟ قال : أبوك فلان ، فنزلت هذه الآية (٢)
" لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ تَسْؤُكُمْ " (٣)

فتوله في الرواية الأولى " فأنزل الله " وفي الثانية " فنزلت " يجعل
هذه الصيغة مرتبطة بسابقتها في قوة الدلالة على السببية .

[*] حديثه ، بإجماع المصنف ، وفي رواية أخرى " حنين " بإجماع المصنف .
والأول الصريح الذي يرتفع بإجماعه الصدر ، والثاني من الألف [فتح الباري]

(١) صحيح مسلم بشرح النووي [٢١١/٣]

(٢) سورة المائدة " ١٠١ "

(٣) انظر فتح الباري [٢٨٠/٨]

ثمّ نتدرج بعد هذا إلى النصّ المُحتمل ، لأنّه مقدّم على
المشكوك . وهو يأتي في المرتبة التالية لصيغة السؤال والجواب .

وأخيراً نأتي إلى الصيغة التي لم يَجْزَمْ فيها الراوي بسبب
النزول . وهي تأتي في المرتبة الأخيرة لما تنطوي عليه من شك
الراوي وتردّده في الجزم بسبب نزول الآية .

وبكذا تتضح دقة علماء القرآن وعلماء الأصول ، ليكون الترجيح
أو الجمع على أسس مكينة من العلم والتحقيق .

الفصل الثالث

فی تعدد الأسباب والمنزل واحد

وفی وحدة السبب لأکثره آیه

وفیه معجمات

المبحث الأول :

تعدد الأسباب والمنزل واحد .

المبحث الثاني :

وحدة السبب لأکثره آیه .

الفصل الثالث

في تعدد الأسباب والنزول واحد
وفي وجه السبب لأكثر من آية

وتشوبه شغل على صحتين :-

المبحث الأول :
تعدد الأسباب والنزول واحد

من الصور الواردة في أسباب النزول أن يكون هناك نازل واحد
من القرآن الكريم ، ولكنه ينزل لأسباب متعددة .

وقد نظر العلماء في هذا الأمر ، واصطلحوا على تسميته بتعدد
الأسباب والنازل واحد . ومثلوا له بأن ترد روايتان في نازل واحد
من القرآن الكريم وتذكر كلتا سبباً صريحاً للنزول ، مخالفاً لما ورد
في الرواية الأخرى .

وللتخفيف على السبب الصحيح المعتقد من هاتين الروايتين
اشتقوا على اغتراس صور أربع لما يمكن أن تكون عليه كلتا الروايتين ،
ووضعوا لكل صورة حكماً خاصاً بها ، وبذلك استطاعوا الوصول إلى
مصرنة الرواية المتعددة في سبب النزول (١)

(١) انظر مناهل العرفان ١١٠ / ١

ثم إنَّ العلماء اعتمدوا نبي الترجيح على أمرين رئيسيين :
أحدُهما يتعلق بالمتن ، والاخر بالسند .

قال نبي " نواتج الرِّحموت " : (ثمَّ الترجيح الواقع بين السنن
إِما في المتن أو في السند) (١)

ونكتفي بذكر خمسة من مرجِّحات المتن ، ثم نُقبضها بمثلها من
مرجِّحات السند . وفي ذلك مايفي بالضرورة .

نصن مرجِّحات المتن : (٢)

=====

أ / الرواية باللفظ : فإنها تترجَّح على الرواية بالمعنى ، لا احتمال
المتن في نقل المعنى .

(١) نواتج الرِّحموت ، بهامش المستنصر للخزالي [٢٠٤ / ٢]

(٢) نواتج الرِّحموت [٢٠٦ / ٢]

ب/ ما جرى بحضوره صلى الله عليه وسلم يترجح على ما بلغه
فُسُكْتُ ، لَأَنَّ الْأَوَّلَ أَشَدُّ دَلَالَةً عَلَى الرُّضَا مِنَ الثَّانِي .

ج / صِدْقَةُ الشُّرَافِ تَرْجَحُ عَلَى النُّكْرَةِ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ ، لِإِفَادَتِهَا
التَّسْلِيلَ . وَالنَّكْمُ الْمُعْلَلُ أَقْوَى مِنْ فَيْرِ الْمُطَّلِ .

د / . النَّهْيُ يَرْجَحُ عَلَى الْأَمْرِ ، لَأَنَّ دَفْعَ الْمَفْسَدَةِ الْمُسْتَنَادَ
مِنَ النَّهْيِ أَنْتُمْ مِنْ جَلْبِ الْمَنْفَعَةِ .

هـ / ما ذُكِرَ مِنْهُ السَّبَبُ يَرْجَحُ عَلَى نَقِيضِهِ لَأَنَّ ذِكْرَ السَّبَبِ
قَرِيبَةٌ الْأَنْمِيةُ .

ومن مُرَبِّحَاتِ السَّنَدِ : - (١)

أ / ثَقَّةُ الرَّاوي وَقُوَّةُ ضَبْطِهِ وَوَرَعِهِ .

ب / مِبَاشَرَةُ الرَّاوي لِلخَبَرِ وَالْقِصَّةِ .

ج / مَا دَبَّحَهُ الرَّاوي بِالْفِئَا مُسْلِمًا أَرْجَحَ مِمَّا تَحَمَّلَهُ صَبِيًّا أَوْ كَافِرًا .

د / الْإِتِّفَاقُ عَلَى رَنَحٍ أَلْهَبٍ ، يَرْجَحُ مَقْطُوعُ الرَّفْعِ عَلَى مَا اِشْتَلَفَ
فِي رَنَحِهِ .

هـ / نَسَبَةُ الْخَبَرِ إِلَى كِتَابٍ مَعْرُوفٍ بِالصَّحَّةِ ، كَالصَّحِيحَيْنِ .

وفيما يلي نُعرض الصور الأربعة وأحكامها :

أ / الصورة الأولى

أما الصورة الأولى فهي أن تكون إحدى الروایتين صحيحةً
والأخرى غير صحيحة .

والتكتم في هذه الحالة أن الرواية الصحيحة هي المعتمدة في
سبب النزول (١)

ومن أمثلة ذلك ما يلي :

أ / أخرج الشيخان واللفظ للبخاري ، قال : (حدَّثنا
أحمد بن يونس ، حدَّثنا زهير ، حدَّثنا الأصم بن قيس قال :
سمعت جندب بن سُنيان رضي الله عنه قال : اشتكى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً ، فباعت امرأة فقالت

(١) انظر الإتيان ٣٣ / ١

يا محمد ، إني لا رجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قريبك منذ ليلتين أو ثلاثاً ، فأنزل الله عز وجل : " وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ " (١)

ب / أخرج الدجواني وابن أبي شيبه عن حفص بن ميسرة ، عن أمه ، عن أمها - وكانت خادمة رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن جرّوا دسّل بيت النبي صلى الله عليه وسلم عند دخل تحت السرير ، فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي ، فقال : " يَا غَوْلَةٌ ، مَا حَدَّثَتْ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ جَبْرِيْلٌ لَا يَأْتِينِي " . فقلت في نفسي : لو هَيَّأت البيت وكُنَّسْتِهِ ، نَأْشُوْبْتُ بِالْعِنْسَةِ تحت السرير فأخرجت الجرّو ، فجاها النبي صلى الله عليه وسلم ترعد لحيته ، وكان إذا نزل عليه أخذته الرعدة ، فأنزل الله : " وَالضُّحَىٰ " ، إلى قوله : " فَنَرَضَىٰ " (٢)

(١) صحيح البخاري ٢١٣/٦ كتاب التفسير ، باب [مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ] .

(٢) الإتيان ٣٣/١

فهما تان الروایتان أولاهما صحيحة ، لأنها من رواية الإمام
المختار في صحيحه . والثانية غير صحيحة لأنها ورد فيها من كلام
العلماء .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (ووجدت الآن في المبراني
بإسناد فيه من لا يحرف أن سبب نزولها وجود جبريل تحت
سريره صلى الله عليه وسلم لم يشعريده ، فأبطل عنه جبريل لذلك .
(وقصة إبطال جبريل بسبب كون التلب تحت سريرته مشبهة)
لكن كونها سبب نزول هذه الآية قريب ، بل شاذ مردود بها على
الصدحيح ، والله أعلم (١)

قلت : فيها عوارض الإمام الحافظ يصف سند هذه الرواية بأن فيه
مجهولاً ، ويرد لها ما رويتها وشذوذها ومخالفتها لما في الصحيح .

وله في الرواية المقتدة في سبب نزول هذه الآيات هي
رواية الإمام المختار ، والله أعلم .

٢ - الصورة الثانية :
=====

وأما الصورة الثانية فهي أن تكون الروايتان كلتاهما صحيحة ،
ولكن يوجد ما يُزجج إحداهما على الأخرى .

والحكم في هذه الحالة هو اعتماد الرواية الراجعة في بيان السبب ،
والأخذ بها ، دون الصرجوعة (١)

ومثال لهذه الصورة :-

أ / ما رواه الإمام البخاري في صحيحه : قال :- (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ
ابْنُ سُلَيْمٍ بْنُ فَيَاضٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ : حَدَّثَنِي
إِبْرَاهِيمُ ، عَنْ حَلَقَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَا أَنَسَا
مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُرَّتٍ - وَنُومَتُنِي - عَلَى حَسْبِ سَبَبٍ -
إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَلُّوهُ مِنَ النَّوْجِ . فَقَالَ : مَا رَأَيْكُمْ
إِلَيْهِ ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِهِشٍ تَكْرَهُونَهُ . فَقَالُوا : سَلُّوهُ

(١) انظر مناهل العرفان ١١٠

[٢] هو الخبيث . [٣] هو البهيم . [٤] هو البهيم مسعود .

نَسْأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ ، فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ
شَيْئًا . لَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ :
" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ
إِلَّا قَلِيلًا " (١)

ب/ ما أخرجه الإمام الترمذي : قال : (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، نَسَا
يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي زَائِدَةَ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : تَأَلَّتْ قُرْبَنُ يَهُودَ : أَعْلَوْهَا شَيْئًا نَسْأَلُ عَنْهُ
هَذَا الرَّجُلُ ، يُقَالُ : سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ ، فَنَسْأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ ، فَأَنْزَلَ
اللَّهُ تَعَالَى : " وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا " (٢) قَالُوا :
أُوتِينَا طَعْمًا كَبِيرًا ، أُوتِينَا التَّوْرَةَ ، وَمَنْ أُوتِيَ التَّوْرَةَ فَقَدْ أُوتِيَ
شَيْئًا كَثِيرًا ، نَأْزِلُ : " قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكُنَّاهُ رُبَّمَا
كُنْهَ الْبَحْرُ " (٣) إِلَى أَمْرٍ آخَرَ . هَذَا عَدِيكَ حَسَنٌ صَحِيحٌ (٤)

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير - باب يسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ (

(٢) الإسراء ٥٨

(٣) النحل ١٠٩

(٤) سنن الترمذي ١٣٧/٤ كتاب التفسير ، سورة بنى إسرائيل .

فما تان الروايتان صحيحتان بلا ريب .

أما أولاً فلكونها من صحيح الإمام البخاري .

وأما ثانياً فلكونها رواها الإمام الترمذي وصحتها ، كما

صحتها الحافظ ابن حجر، وهذا رجالها للإمام مسلم .

ابن حجر

قال الحافظ/ رحمه الله : (. . .) كَرِهَ رَوَى الترمذي من طريق

داود بن أبي هند من فكرة من ابن عباس قال : قالت قريش لليهود

أَمْ نُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ ذَا الرَّبِّ لَ ، فَعَالُوا : سَلُوهُ مِنَ الرُّوحِ ، فَسَأَلُوهُ ،

نَأْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى : " وَيَسْأَلُونَكَ مِنَ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي "

وربما أنه رجسأ مسلم (١)

قلت : فرواية البخاري تدل على أن نزول الآية كان بالعدينة ،

ورواية الترمذي تدل على أن نزولها كان بمكة .

ومع أن الروايتين كلتا هما صحيحة إلا أنه ينبغي الأخذ برواية

البخاري في سبب النزول ، لكونها را بجهة على رواية الترمذي من

وجهين :-

الأول : أنها رواية الإمام البخاري ، والمعروف أن رواية البخاري أصح من رواية غيره .

الوجه الآخر : أن الرواية في رواية البخاري هو عبد الله بن مسعود ، وقد كان حاضراً القصة ومشاعداً لها ، وأما ابن عباس في رواية الترمذي فلا دليل على مشاهدته القصة ، ولم يصرح بأنه كان حاضراً لها .

وبكذا يتضح من هذين المرجحين أن رواية البخاري هي المعتمدة في سبب النزول لأنها هي الراجحة .

على أننا لا نرجع إلى الترجيح إلا بعد تعذر الجمع ، فحيث أمكن الجمع نأخذ به . في الراجع - لأن فيه إعمالاً لكل من الروایتين . وسبب لا يمكن الجمع لجأنا إلى الترجيح .

ولا يمكن الجمع في هذا المقام إلا إذا قلنا إن الآية نزلت مرتين مرة في مكة وأخرى في المدينة ، وفيه ما فيه ، وكذلك إذا قلنا إن السؤال بأمرته قرش بتخريص من اليهود .

وأما ما كان ألا عرفنا نسير على وفق قواعد كلية . أما الوقائع الجزئية فللكل واقعة ظروف تحيط بها . والأقرب ما ذكرته من ترجيح رواية البخاري على رواية الترمذي والله أعلم بعقائق الأمور .

٣- الصورة الثالثة :

=====

وأما الصورة الثالثة فهي استواء الروايتين ، بأن تكون كلتا السمتين صحيحة ، ولا مرجح لإحداهما على الأخرى ، (ولكن يمكن الجمع بينهما بأن كلاً من السبعين حصل ، ونزلت الآية عقب حصولهما معاً ، لتقارب زمنيتهما . فتعظم هذه الصورة أن نحمل الأمر على تحدد السبب ، لأنه ظاهر ، ولا مانع يمنع (١)

ومثال ذلك :

أ/ ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه : قال : (حدثني محمد بن بشار ، حدثنا ابن أبي عتيق ، عن هشام بن حسان ، حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس أن هلال ابن أمية قدف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحابة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «البينة أو حد في ظهرك» . فقال : يا رسول الله إذا رأيت أسدنا على امرأته رجلاً يسلق يلتمس البينة ؟ ففعل الذي صلى الله عليه وسلم يقول : البينة والحد حد في ظهرك . وقال هلال : «ما يبرؤ ظهري من الحد» ، فنزل جبريل ، وأنزل عليه "وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ" فقرأ حتى بلغ "إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (٢)

(١) شاهد العمان ١ / ١١١

(٢) سورة النور (٦ - ٩)

فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليهما ، نجاء ، لعل فشهد
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ ،
سَبَلٌ مِنْكُمَا تَائِبٌ ؟ ثم قامت فشهدت ، فلما كانت عند الخامسة
وقفونا وقالوا : إنها مُوجِبَةٌ . قال ابن عباس : فتلكأت ونكصت حتى
دُفِنَّا أنها ترجع ، ثم تالت : لا أفضح قومي سائر اليوم ، فمضت .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «أَبْصِرْ وَمَا ، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلُ
الْحَيْنَيْنِ ، سَابِغَ الْأَلْيَتَيْنِ ، خَدَّجِ السَّاقَيْنِ (١) فهو لشريكِ بْنِ
سَحْمَاءَ» . نجاءت به كذلك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
«لَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ (٣) لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ (٣)

ب/ وما أخرجه الإمام البخاري أيضا في صحيحه :

قال (١) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ الشَّرْيَاطِيُّ ،
حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ
مُوجِبًا أَتَى عَاصِمَ بْنَ عَدِيٍّ - وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي عَبْلَانَ - فَقَالَ : كَيْفَ

(١) خَدَّجِ السَّاقَيْنِ أي عظيمهما (عدة القاري ٧٨/١٩)

(٢) المراد قوله تعالى في سورة النور [وَيَذَرُوهَا الْعَذَابَ] :

الآية (٨)

(٣) صحيح البخاري ١٢٦/٦ ، كتاب التفسير . باب [وَيَذَرُوهَا

الْعَذَابَ] .

عن ذلك، فأخى عاصم النبي صلى الله عليه وسلم

تتولون نبي رجل وجد مع امرأته رجلاً ؟ أَيْقَتْلُهُ نَحْنُ قَتَلُونَهُ ؟ أَمْ كَيْفَ
يَصْنَعُ ؟ سَأَلَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، فَكَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسَائِلَ ، فَسَأَلَهُ حُوَيْمِرُ
فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرِهَ الْمَسَائِلَ وَحَابَهَا
قَالَ حُوَيْمِرُ : وَاللَّهِ لَا أَنْتَهِيَ حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ . فَجَاءَ حُوَيْمِرُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَجُلٌ وَجَدَ
مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا ، أَيْقَتْلُهُ نَحْنُ قَتَلُونَهُ ؟ أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَدُ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِيكَ وَفِي صَاحِبِكَ . فَأَمَرَهُمَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَلَاعِنَةِ بِمَا سَمَى اللَّهُ فِي كِتَابِهِ .
فَالْمَنْبَسَا ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ حَبَسْتُهَا نَقَدَ ظَلَمْتُهَا .
فَدَالَمْتُهَا . فَكَانَتْ سُنَّةٌ لِمَنْ كَانَ بَعْدَهُمَا - فِي الْمُتَلَامِينِ . ثُمَّ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " انْظُرُوا ، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أُسْتَمَ (١)
أَذْهَجَ الْعَيْنَيْنِ (٢) حَظِيمَ الْأَلْيَتَيْنِ ، خَدَلَجَ السَّاقَيْنِ ، فَلَا أُحْسِبُ

(١) أَيْ شَدِيدَ السَّوَادِ . " عمدة القاري ١٩ / ٧٤ "

(٢) أَيْ شَدِيدَ سَوَادِ الْعَيْنَيْنِ . . " المصدر نفسه "

مُؤْمِرًا إِلَّا قَدْ صَدَقَ طَعْنًا . وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَحْبَمَرُ كَانَتْ وَحَرَةً (١)
فَلَا أُحْسِبُ مُؤْمِرًا إِلَّا قَدْ كَذَبَ عَلَيْهَا . فجاءت به على النكت الذي
نكتت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق مؤمِر . فكان بعد
يُنْسَبُ إِلَى أُمَّه (٢)

قلت : فهاتان الروايتان صحيحتان ، لأن كلتيهما أُخرجتهما
البخاري في صحيحه ، ولا مرجح لأحدهما على الآخر . ولكن
يمكن الجمع بينهما نظراً لتقاربهما في الزمن فتكون الآيات نزلت
عقب السؤالين .

وبيان ذلك أن يكون هلال سأل النبي صلى الله عليه وسلم أولاً
ثم بهاء بعده مؤمِر فسأل، فنزل الله الآيات إجابةً على السؤالين معاً .

(١) الوسورة دُويبة تتراعى على الشحام فتفسده، وهي من نوع الوزغ =

(فتح الباري، ٩/٤٥٣)

(٢) صحيح البخاري ١٢٥/٦ كتاب التفسير - باب [والذين

يؤمنون أزواجهم]

قال الحافظ ابن حجر : (وقد اختلف الأئمة في هذا الموضع ،
 فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر ، ومنهم من رجح أنها
 نزلت في شأن هلال ، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له
 ذلك هلال ، وصادقه مجيء عويمر أيضا ، فنزلت في شأنهما معا
 في وقت واحد . وقد جفع النووي إلى هذا ، وسبقه الخطيب (١)
 فقال : لعلهما اتفق كونهما جاء في آن واحد . . . (٢)

وهكذا يتضح أن الحكم في هذه الصورة هو الجمع بين الروايتين ،
 بأن يكون النازل جوابا للسؤالين معا .

(١) هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي
 المعروف بالخطيب ، أحد الحفاظ المؤرخين المتقدمين ، له
 أكثر من ستين مصنفا ، توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة
 من الهجرة : (انظر : معجم الأدباء ٢٤٦/١ - وفيات
 الأعيان ٣٢/١)

(٢) فتح الباري ٤٥٠/٨

الصورة الرابعة :

وأما الصورة الرابعة فهي أن تستوى الروايتان في الصَّحَّة ،
وأن يوجد مرجح لإحدهما على الأخرى ، ولا يمكن الأخذ بهما معاً
لبعد الزمان بينهما .

ففي هذه الحالة لا بد من حمل الأمر على تكرار النزول ، فتكون
الآية نزلت مرة بسبب معين ، ونزلت مرة أخرى بسبب آخر .

ومثال ذلك فيما يلي :-

أ / أُخْبِرَ الْبَيْهَقِيُّ وَالْبَزَّازُ (عن أبي سريّة أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة حين استشهد وقد مثل به ، فقال : " لا مثلين يسبّين منهم مكانة " فنزل جبريل - والنبي صلى الله عليه وسلم واقف - بشواتيم سورة النحل : **وَإِنْ كَاذِبْتُمْ فَاقْبُلُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ (١)**
إلى آخر السورة (٢)

(١) الآيات [١٢٦ - ١٢٨] من سورة النحل .

(٢) الإِهْتَان ٣٤ / ١ .

ب/ وما أخرجه الترمذی والحاکم ، واللفظ للترمذی، قال :
 (حدثنا أبو حمزة الحسين بن حريش ، نا الفضل بن موسى ،
 عن عيسى بن حبيد ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية قال :
 ثنى أبي بن كعب قال : لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة^{١٧}
 وستون رجلاً ومن المهاجرين ستة^{١٨} ، منهم حمزة ومثله بهم ، فقالت
 الأنصار : لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لثربن عليهم . قال : —
 فلما كان يوم فتح مكة نازل الله تعالى : " وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ
 مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ غَيْرَ الْصَابِرِينَ " فقال رجل : لا قوش^{١٩}
 بعد اليوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كفوا عن القوم
 إذا أريحتهم (٢)

قلت : من المستبعد أن تكون الآية نزلت عقب السببين معاً ،
 لبعث الزمن بين فزوة أحد وفتح مكة (٢) وعليه فلا بد من القول
 بتعدد نزول الآيات ، مرة في فزوة أحد ، ومرة أخرى في فتح مكة .
 والله تعالى أعلم .

(١) سنن الترمذی بشرح تحفة الأخو فی ٤ / ١٣٣ كتاب التفسير ،
 سورة النمل .
 (٢) كانت فزوة أحد في العام الثالث الهجري ، وفتح مكة في
 العام الثامن . [انظر : مدائح الأنوار ومطالع الاسرار لابن
 الدبج الشباني ج ٢ / ص ٥١٧ و ٦٥٩ ، بتحقيقه غير الله
 إبراهيم الأثاري] .

المبحث الثاني

وَعِدَةُ السَّبَبِ لِأَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ

تتقدم في المبحث السابق من هذا الفصل أن النازل الواحد
من القرآن الكريم قد ينزل لأسباب متعددة .

وعلى العكس من هذه الحالة نجد في القرآن الكريم جملة من
الآيات تنزلت بسبب واحد . وهذا ما اصطاح العلماء على تسميته
بتعدد النازل والسبب واحد . وهو نفسه ما ذيناه بقولنا : وحدة
السبب لأكثر من آية .

وتتناوت الآيات النازلة في السبب الواحد من آيتين إلى أكثر .
وبهذا الأمر لا إشكال فيه ، ولا مانع منه ، (لأنه لا ينافي الحكمة في
إقناع الناس ، وعداية الخلق ، وبيان الحق عند الحاجة ، بل إنه
قد يكون أبلغ في الإقناع وأظهر للبيان) (١)

(١) مناهل العرفان ١١٤/١

وَلَا فَرْوَأَنَّ نَزُولَ آيَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ فِي حَادِثَةٍ وَاحِدَةٍ يَكُونُ لَهُ أَثَرٌ
كَبِيرٌ فِي تَقَبُّلِ السَّامِعِينَ لِلْحُكْمِ النَّازِلِ عَلَيْهِمْ ، كَمَا أَنَّهُ يَزِيدُهُمْ اطمئناناً
واقْتِنَاءً فَيَذْنُونُ لِمَا رَالَهُ عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ .

وفيما يلي نورد أمثلة للسبب الواحد تَنْزَلُ فيه آيتان أو أكثر :-

أ - أمثلة للسبب الواحد تَنْزَلُ فيه آيتان : =====

١- من ذلك ما أخرجه الإمام البخاري : قال :

(حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ
. عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب قال : حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ
سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ أَنَّهُ رَأَى مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ فِي الْمَسْجِدِ ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى
بَلَغْتُ إِلَى بَيْتِهِ ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِّلِيَ عَلَيْهِ " لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " (١) فَجَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمْلِيهَا (٢)

(١) سورة النساء [٩٥]
(٢) يُمْلِيهَا : أي يُمْلِيهَا عَلَيْهِ .

عَلَيْ تان : يا رسول الله ، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان
أَعْمَى - نَأْزِلُ الله على رسوله صَلَّى الله عليه وسلم ، وَفَنِيذُهُ عَلَى
نَفْسِهِ ، كَثُفَتْ عَلَيْهِ حَتَّى حِفَّتْ أَنْ تُرْسَ فَخِذِي ، شَهْرَهُ عَنْهُ (١)
نَأْزِلُ الله : " فَيَرَأُوْلِي الضَّرَرَ (٢) (٣)

٢- ومنه ما أخرجه ابن أبي حاتم بسنده إلى زيد بن ثابت ،
أيضاً تان : كَتَمْتُ أَكْثَبَ لِرَسُولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، فَأُتِيَ
لِوَضِيعِ التَّمِّ عَلَى أُذُنِي إِذْ أُمِرْنَا بِالنِّقَالِ فَجَعَلَ رَسُولُ الله صَلَّى الله
عليه وسلم يَنْشُرُ مَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ ، إِذْ جَاءَ أَعْمَى فَتَالَ : كَيْفَ لِي يَا رَسُولَ
الله وَأَنَا أَعْمَى ؟ فَأَنْزَلَتْ : " لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ " (٤) (٥)

-
- (١) سُورَةُ عَنْهُ : أَيْ ابْتِكَشَفَ عَنْهُ (مُعْجَمُ الْقَارِي ١٨ / ١٨٦)
(٢) قَالَ النَّدِيمُ فِي " مُعْجَمِ الْقَارِي " ١٨ / ١٨٦ [اعْتَطَفَ الْقَرَاءُ فِي
إِحْرَابِ " فَيَرَأُوْلِي " نَقِيّاً ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَفْرُو. وَحَاصُّهُ بِالرُّشْعِ عَلَى الْبَدَلِ
مِنْ " التَّاعِدُونَ " وَتَرَأَى الْأَعْمَى بِالْجَرِّ عَلَى الصِّفَةِ لِلْعُزْمَنِينَ وَتَرَأَى
الْبَاقُونَ بِالْفَتْحِ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ]. وَنَالَ ابْنُ الْحَزَرِّي فِي " النَّشْرِ " ٢٥١ -
[قَرَأَ الْمُرْتَابَ وَابْنُ عَامِرٍ وَكَثِيرٌ مِنْ مَلَائِكَةِ رَبِّهِ الرَّادِّ ، وَتَرَأَى الْبَاقُونَ بِرُفْعِهِ]
(٣) صَنِيعُ الْبَهَارِيِّ ٦٠ / ٦ ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ ، بَابُ [لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ]
(٤) التَّوْبَةُ [٩١]
(٥) لِبَابِ الْغَتُولِ ص [٩٨]

فما تان الأيتان نزلتا بسبب واحد، ونحو السؤال عن موقف الأنبياء من فريضة الجهاد في سبيل الله ، وما ذا يحاسبه أن يفعل وهو عاجز عن القتال ؟ وكان في نزولهما رنج للمخرج عن مدين الصحابيين ومن شو في حكمهما . [٢]

٢- ومن ذلك أيضاً ما أُخبر به ابن جرير الطبري، حيث قال :
(حدثني أيوب بن إسحق بن إبراهيم بن عيسى قال : ثنا عبد الله بن رباح قال : ثنا إسرائيل ، عن سفيان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في ظل شجرة ، فقال : **إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ إِنْسَانٌ فَيَنْتَرُكُمْ بِدَيْنِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ ، فَإِذَا جَاءَ فَلَا تُكَلِّمُوهُ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ يَلْعَ رَجُلٌ أَزْرَقُ ، فَنَدَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : **لَا عَلَامَ تَعْتَمِدُنِي أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ ؟** فَاذْهَبْ الرَّجُلُ فَجَاءَ بِأَسْوَاقِهِ ، فَذَلَفُوا بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَمَا نَدَلُوا حَتَّى تَجَاوَزَ عَنْهُمْ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : **"يَمْطِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا"** (١) **"إِلَى أَكْثَرِ آيَةٍ"** (٢))**

[٢] قلت : ومن المحتمل أن يكون السائل في الحديث هو أبيه أم كلثوم .
(١) التوبة [٧٤]

(٢) جامع البيان [١٨٥/١]

٤- ومنه ما أخرجه الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس قال :
 (ثنا حسن بن موسى ، ثنا زهير ، ثنا سفيان ، حدثني سعيد بن
 أبي رافع عن ابن عباس - رحمه الله - قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا
 في ذات البعثة من حجرة ، وعنده نفر من المسلمين قد كذا يقليب
 عنهم المثل ، قال : فقال : إله سيأتيكم إنسان يفتيكم بدين
 جديد ، فإذا أتاكم فلا تكلموه . قال : فجاء رجل أزرق ، فدعاه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّمه ، قال : «كلام تشتمني أنت وفلان
 وفلان فندعاهم بأسمائهم - قال : ندعاهم بالرجل فدعاهم ، فكلّموا
 بالله واعتذروا إليه ، قال فأنزل الله عز وجل " فَمُخَلَّفُونَ لَهُ كَمَا يَمُخِّلُونَ
 أَكُمْ وَيَمُخِّلُونَ " . . . الآية (١) (٢)

ومما تان الروايتان تشتملان أيضا على آيتين نزلتا بسبب واستد
 ومنه على المناغمة كثيرا على أنهم لم يشتموا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ولكن الله تعالى أنزاهم ورد كيدهم في منحورهم بنزل
 الوحي الذي كشف نفاقهم وكذبهم .

(١) المجادلة (١٨)

(٢) مسند الإمام أحمد [٢٦٦/١]

وبما ان المثالان يؤكدان الوضعية الموضوعية في القرآن الكريم .
 نذكر ههنا من سورتين مختلفتين ، وسببهما واحد ، وهذا يدلنا
 على أن القرآن كل لا يتجزأ ، ووعدة لا تشق لا تنفك في ذلك بين ان
 تكون الايتان من سورتين ، او في موضعين من سورة واحدة . فكل من
 السورة والقرآن وعدة لا تنفصل اجزائهما .

ب - أمثلة لسبب الواحد تنزل فيه أكثر من آيتين :
 =====

١ - قال الإمام الترمذي : (حدثنا ابن أبي حمزة ، ثنا
 من حمزة بن دينار ، عن رجل من وكبر أم سلمة ، عن أم سلمة قالت :-
 " يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة ، فأنزل الله تبارك
 وتعالى : " أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَابِدٍ مِّنْكُمْ مَّنْ ذَكَرَ أُؤْتِيهِ بَعْضُكُمْ
 مِّنْ بَعْثِي " (١) (٢)

(١) آل عمران " ١٩٥ "

(٢) جامع الترمذي ٨٨ / ٤ كتاب التفسير ، سورة آل عمران

وقد أنشأ الحاكم في المستدرک [١٦ / ٢] من حديث أم

سمة نحوه وقال : صحيح على شرط الشيخين .

٢- وقال أيضا : (حدثنا ابن أبي عمير ، نا سفيان ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، عن أم سلمة أنها قالت : " يَنْزِلُ الرِّجَالُ وَلَا تَنْزِلُ النِّسَاءُ " ، وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ " ، يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى " وَتَتَمَنَّوْا مَا نَحْنُ فِي اللَّهِ بِهِ بِمَنْزُكُمُ ") (١) قال مجاهد : وَأَنْزَلَ نَبِيهَا : " إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ " (٢) وكانت أم سلمة أولَ الْحَبِيبَةِ قَدِمَتِ الْعَدِينَةَ مُهَاجِرَةً (٣)

٣- وأخرج الحاكم بسنده إلى أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت : (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَنْزِلُ الرِّجَالُ وَلَا تَنْزِلُ النِّسَاءُ ، فَأَنْزَلَتْ : " إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ " وَأَنْزَلَتْ : " أَنْسَى لَا أَضِيحُ قَلَّ مَا يَلِيَّ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرُوا وَأُنْثَى ") (٤)

(١) النساء " ٣٢ "

(٢) الأحزاب " ٣٥ "

(٣) جامع الترمذي [٨٨/٤] كتاب التفسير ، سورة النساء .

(٤) المستدرک [٤١٦/٢]

قلت : في هذه الأمثلة ثلاث آيات نزلت بسبب واحد ، وهو سؤال أم المؤمنين أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم عن شئونها تتعلق بالنساء ، فنزل الله القرآن الكريم موضعا تلك الأمور .

وإذا أردت أن تكون . تلك الأسئلة التي درستها أم المؤمنين عائشة في أزمان كثير من النساء ، ونحلم الحياة منسج من أن يسألن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما سأله زوجته ، ونزل الوحي بالجواب ، عرفت كل مسلمة موقعها المنا سب في صفوف الدعوة ، ومن ثم التزم بهن الخدود التي دعا الله لهن ، وطابت نفوسهن بذلك في رضى وأطمئنان .

وما أشد حاجتنا نحن المسلمين اليوم إلى الرجوع إلى هذا النبع الساني المتمثل في محنة سيدنا الله والوقوف عند ما بهما تراز وتنازع . فإن أعداء الله قد ألتصوا في دأس كثير من عقول الشباب المسلم - فترانا وإنا كنا - وشوهوا صورة الإسلام في أذهانهم ، وجندوهم لعروب دينهم من حيث لا يعلمون .

وما قضية المرأة وحقوقها التي تثار في هذا الزمان إلا فيض من فيض المافاهيم المخلوطة من الإسلام ، فما هي عيا بها الأعداء عقول ديابنا ، فتراهم يستنكفون عن دينهم ، ويعدون رجوع من الانتساب إليه ، بحجة أنه لا يساير الحضرة ولا يواكب مستطلمات الحضارة .

ونكّن تركيز الأعداء كان منصّباً على الفتاة المسلمة بصفة خاصة،
لأنهم أدركوا أنّ نجاحهم في زعزعة عقيدتها هو أقرب الوسائل
وأبعد أساليب للوصول إلى هدفهم الأكبر ، وهو إفساد الأجيال المسلمة،
وسدّها عن دينها .

ومن ثمّ صوّروا وضع المرأة في الإسلام أبشع تصوير ، فزعموا
أنّها مذبذبة مشبوهة لا تتمتع بأدنى قدر من الحرية الشخصية ،
أو الاجتماعية أو الاقتصادية ، نهى مسلوب الإرادة : فلا يجوز لها
أن تلبس كما تشاء ، وليس من حقّها أن تُصادق من يروق لها من
الشبان ، ولا أن تختار شريك حياتها ، ولا تملك أن تُخلقه بعد الزواج
إذا أرادت اشتدّاله بالمرء ، ولا يحقّ لها أن تأخذ من
الميراث إلا ما يعادل نصف نصيب الرجل .

وهي مهدّدة الكرامة : فللرجل أن يتلاعب بمحافظتها ، ويتزوّج
عليها ثلاثاً يُنازعتها حقوقها الزوجية ، وليس لها من أن تطالب
بفساقتها بالرجل ، فتتزوج معه فيرّقه أو تشدّد على الأقل -
من يُباد لها المشاعر والمحافظ من الأيّام ، كما تفعل النساء
المتحضرّات .

وهي - نى ميدان الرقعة - لا ينبغي لها ان تتبوأ مركزا قياديا -
سياسيا كان ام اجتماعيا ام عسكريا - كما يحتاج كل أولف للرجل .

وهي ساقطة الذمة : فلا يجوز لها أن تدلى بشهادتها كما
يشهد الرجل . . . إلى غير ذلك من الأفكار الهدامة التي تزعم
بها وسائل الاعلام المسخرة لحرب الإسلام .

ولست هنا في مقام الرد على تلك الأباطيل المشتقة؛
نذلك شرف ناله السائد بكون على الإسلام من أبناء النجباء .
ولكن الذي يحزنني - لنا - هو التنويه بأهمية توثيق الصلة بكتاب الله
الكريم ، وستقر رسوله الملهمة ، وسيرته الشريفة ، ولا سيما الإلحاح
الواضح بأسباب نزول القرآن الكريم ، لما فيها من الفوائد الجليلة
التي لا ينبغي للمسلم عنها .

والله تعالى من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

٧٨ - ٢

الخاتمة

الخاتمة :

وفى الختام ، أَعْمَدُ الله تعالى على نِعَمائه ، وفضله
وتوفيقه ، وأسأله أَنْ يبارك هذا العمل ، ويتقبله ، وينفع
به .

وفيما يلي أوجز أهم نتائج البحث التى توصلت إليها :
أولاً : علم أسباب النزول من أهم علوم القرآن الكريم ، ومعرفة
لازمة لكل من يتصدى لتفسير كتاب الله تعالى .

ومن فوائد هذه :-

١- الاستعانة بالسبب على فهم الآية ، وإزالة الإشكال
عنها .

٢- معرفة حكمة التشريع .

٣- دفع توهم الحصر عما يُفيد بظااهره الحصر .

٤- تعيين المصطلحات ، ومعرفة من نزلت فيه الآية ،
حتى لا يشتبه بغيره .

٥- معرفة كون سبب النزول غير خارج عن حكم الآية

إذا ورد مخصص لها ، وذلك للإجماع على بقائها .

حكم السبب ، وقصر التخصيص على ما سواه .

٦- تخصيص الحكم بالسبب عند مَنْ يرى أَنَّ العسيرة
بشخصوى السبب ، لا بعموم اللفظ .

ثانياً : لا مجال لمعرفة سبب النزول إِلَّا عن طريق
الرواية الصحيحة والسَّماعِ ممن شاهدوا نزول الوحى ،
ووقفوا على أسبابه .

فإن كان السبب مَرَوِّياً عن صحابيّ فمقبول
دِين حاجة إلى اعتضاده برواية أخرى تُقوِّيه .

وإن كان الرَّاوى تابعياً ، بأن كان سبب النزول مَرَوِّياً
بحديث مَرسلٍ ، فيُشترطُ في قبوله ثلاثة أمور :

- (١) أن يكون الحديث المرسل صحيحاً .
- (٢) وأن يعتضدَ بمرسلٍ آخر .
- (٣) وأن يكون الرَّاوى من أئمة التفسير الأخذين
عن الصحابة .

ثالثاً : أَوَّلُ مَنْ أَلْفَ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ هُوَ شَيْخُ الْمُحَدِّثِينَ
الإمامُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ،
وهو شيخُ الإمامِ البخاري رحمه الله ، وعنوان كتابه :
(أَسْبَابُ النُّزُولِ) .

ثم تلاه لفيف من العلماء ، نذكرهم على الترتيب
الزمني فيما يلي :-

٢- القاضي عبد الرحمن بن محمد / فطيس ^{جناذ} الأندلسي
المتوفى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ . واسمُ
كتابِه : (الْقَصَصُ وَالْأَسْبَابُ الَّتِي نَزَلَ مِنْ أَجْلِهَا
الْقُرْآنُ) -

٣- الإمام أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمد بن عليّ
الواحديّ النيسابوريّ المتوفى سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ
وَأَرْبَعِمِائَةٍ . واسمُ كتابِه (أَسْبَابُ نَزُولِ الْقُرْآنِ)

٤- أبو المظفر ، محمد بن أسعد بن محمد الحِمْيَرِيّ
الحِمْيَرِيّ المتوفى سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . واسمُ
كتابِه (أَسْبَابُ النُّزُولِ وَالْقَصَصُ الْفُرْقَانِيَّةُ) -

٥- أبو جعفر ، محمد بن علي بن أبي نصر المازندراني
المتوفى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة . واسم كتابه :
(الأسباب والنزول على مذهب آل الرسول) .

٦- الإمام الحافظ ، أبو الفتح ، عبد الرحمن بن
الجوزي المتوفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة . واسم
كتابه (أسباب النزول) .

٧- برهان الدين ، أبو محمد ، إبراهيم بن عمر بن إبراهيم
الجفيري الخليلي المتوفى سنة اثنتين وثلاثين
وسبعمائة . وعنوان كتابه (أسباب النزول) .
وهو اختصار لكتاب الواحدي ، يحدف أسانيدَه .

٨- الحافظ جلال الدين ، عبد الرحمن بن أبي بكر
ابن محمد السيوطي المتوفى سنة إحدى عشرة
وتسعمائة . وعنوان كتابه (لباب النقول في
أسباب النزول) .

٩- الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ، أمد الله في
عمره . وقد عنون لكتابه [بالصحيح المسند من أسباب
النسب والنزول] . وحقق الروايات التي أوردها تحقيقاً
علمياً مفيداً .

رابعاً : أَفْلَبُ الْكُتُبِ الَّتِي صُنِّفَتْ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ مَفْقُودَةٌ
الآن . وقد وقفتُ على أربعةٍ منها ، وهي كما يلي :

١- " أَسْبَابُ نَزُولِ الْقُرْآنِ " لِلوَاحِدِيِّ . وقد طُبِعَ
بمصر مراتٍ - فيما أعلم - إحداها بتحقيق الأستاذ
السَّيِّدِ أَسْمَدِ سَقَرٍ .

٢- " أَسْبَابُ النُّزُولِ وَالْقِصَصُ الْقُرْآنِيَّةُ " لِلحَرَاقيِّ . وهو
مخطوط ، وتوجد منه نسختان بمركز البحث العلمي ،
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

٣- " لُبَابُ النُّقُولِ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ " لِلسيوطيِّ ، وقد
طبع أربع مراتٍ فيما أعلم .

٤- " الصحيح المسند من أسباب النزول " للشيخ
مُقِيلِ بْنِ هَادِي الْوَائِلِيِّ . وهو بحث أُعِدَّ في الجامعة
الإسلامية بالمدينة المنورة ، وطبع بشركة المدينة
للطباعة بِمَكَّةَ .

خامساً : كتاب " أسباب النزول " للواحدى هو المرجعُ
الأوَّل والأهمُّ فى مجاله . وبليه كتساب
" كتاب النُّقول فى أسباب النزول " للسيوطى .

سادساً : ما ورد على كتاب الواحدى من مآخذ ، لا ينقص
من قيمته العلمية . وما أبداه السيوطى عليه من ملاحظات
ينبغى ان لا يؤخذ على إطلاقه ، لأنه أصدر أحكاماً
عامة ، أثبت البحثُ خلافها فى بعض المواطن . وبعضها
يُعتبر تكميلاً للكتاب ، فمرآته لا يقدح فى قيمته . والحقُّ
أنَّ الكتابين يُعتبران وَحْدَةً متكاملة ، ولا فى الدَّارس
عن أحدهما .

أما القضية التى أثارها الدكتور صُبْحى الصَّالح
حول كتاب الواحدى ، فلمست مُسَلِّمةً ، وهى فى الأصل
خارجة عن مجال أسباب النزول .

سابعاً : كتاب (أسباب النزول والقصص القرآنية) للعراقى
ليس من اليسير اعتباره سِفْراً مستقلاً فى أسباب النزول ،
وذلك لجمعه بين ذكر أسباب النزول ، وإيراد قصص
للأنبياء ، والتفسير المجرد عن ذكر الأسباب .

ويمكن تصنيف ما تناوله العراقي من الآيات إلى ثلاثة أقسام كما يلي :-

أ / قسّم اقتصر فيه على بيان سبب النزول ، دون تفسير الآيات .

ب / وقسّم فسّره دون أن يذكر أسباب النزول .

ج / وقسّم ذكر أسباب نزوله مع تفسير الآيات ،

هذا بالإضافة إلى أن كتاب العراقي خالٍ من الإسناد مطلقاً ، بل إنه - رحمه الله - لم يُشر حتى إلى شيوخه الأخذ عنهم ، ممّا يدل على عدم تأثره بمنهج الواحدى فى إخراج أسباب النزول .

ثامناً : من خلال البحث فى مسألة تحليل النصوص تبين الآتى :-

- ١ - هناك علاقة وثيقة بين تحليل الأحكام والنصوص من جهة ، وبين أسباب النزول - يوصفها مالكاً للأحكام والآيات النازلة فيهما - من جهة أخرى .

٢- للعلماء آراءٌ أربعةٌ في مسألة تعليل النصوص وعدم تعليلها .

ومن هذه الآراء قولهم : (إنَّ الأصلَ في النصوص التعليلُ ، لكنَّ لا بكلِّ وصفٍ ، بل بالذَّليل على أنَّ الوصفَ المُعينَ هو العِلَّةُ) . [١]

ومعنى هذا أننا لا نطلب لكلِّ نصٍّ سبباً اقتضى نزوله . فمن النصوص ما نزل ابتداءً ، ومنها ما نزل بسبب .

الراجح
وهذا هو الرأي/ لدينا ، لعلائمه مقتضى أسباب النزول . فإنَّ آيات القرآن الكريم منها ما نزل بسببٍ ومنها ما نزل بابتداءٍ من غير سببٍ ، وهذا القسم الأخير هو الغالب في القرآن الكريم .

[١] انظر تفاصيل هذه الآراء في «فوائح الرصود» ٩٣/٢ وما بعدها .

٣- ونتيجة لهذا البحث ثبت بالاستقراء ما يلي :-
 أ / هنالك من السُّور ما استوت فيه الآيات النازلة
 ابتداءً والآيات النازلة بأسباب . وهذا القسم
 تمثلهُ سورة واحدة وهي سورة النور .

ب / ومنها ما نزلت جميع آياتها ابتداءً بلا أسباب ،
 وتلك إحدى عشرة سورة ، وهي : النُّن ،
 نوح ، الإِشْقَاق ، البرُّج ، البَلَد ، الشَّص ،
 البَيَّة ، القَارِعة ، الصَّص ، الهَمزة ، الفيل .

ج / ومنها ما نزلت جميع آياته بأسباب ، ومجموعه اثنتا
 عشرة سورة ، وهي :-

اللَّيل ، الصَّادِيَّات ، التَّكَاثُر ، قُرَيْش ، المَاعُون ،
 الكُوثر ، الكَافِرُون ، النَّصْر ، المَسَد ، الإِخْلَاص ،
 اللَّحَى ، النَّاس .

د / ومنها ما كانت آياته النازلة بأسباب أكثر من النازلة
 ابتداءً ، ومجموعه ثلاثُ سورٍ وهي :
 العَدَّثَر ، الحَلَق ، القَدَر .

ومنها ما كانت آياته النازلة ابتداءً أكثر من
التي نزلت بأسباب ؛ ومجموعه سبع وثمانون سورة
وعو الذي ثبت أن معظم القرآن الكريم نزل
ابتداءً من غير أسباب .

تاسعاً : الخلاف بين العلماء في مسألة عموم اللفظ وخصوص
السبب خلاف شكلي ، لأن الفريقين كليهما متفقان على
إفادة العموم .

فير أن الجمهور يقولون بإفادة العموم من النص
نفسه ، ويرون أن العبرة بعموم اللفظ ، ومن ثم
يثبتون به كل ما يندرج تحته . وعين في فلا إشكال .
ولهذا كان مذهبهم راجحاً .

أما المخالفون للجمهور فيقولون بإفادة العموم من
دليل آخر غير النص كالقياس وغيره . ويرون أن العبرة
بعموم السبب .

وهذا الرأي مرجوح، لأنه يترتب عليه إشكال،
وهو تجاوز إثبات الحدود والكفارات عن طريق
القياس . وذلك أمرٌ غير جازم عند أكثر
الاصوليين .

ناشر : الروايات الواردة في أسباب النزول جميعها مسندة .
وفي ثلاثة أقسام :-

أ / قسم ورد في الصحيحين ، وجملته ستة
مواضع ومائة موضع .

ب / وقسم موافق لما في الصحيحين - بمعنى أن
له أصلاً فيهما - وجملته ثمانية وعشرون
موضعاً .

ج / والقسم الثالث ، وهو ما بقي من الروايات
وجملته واحد وسبعون موضعاً وسبعمائة موضع .

عادي عشر : صَحَّحُ الرُّوَاةُ فِي التَّصْبِيرِ عَنْ سَبَبِ النُّزُولِ
تَقْدِصُوا فِيمَا يَلِي :

٢ / مَا صُنِّعَ فِيهِ بِالْخَصْرِ عَلَى السَّبَبِ ، كَقَوْلِهِمْ : -
(سَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ كَذَا) .

٢ / مَا اقْتَرَنَ بِنَاءِ دَاخِلَةٍ عَلَى مَادَّةِ نَزُولِ الْآيَةِ
فَقَبَّ سُرْدٍ سَادَةٍ ، كَقَوْلِهِمْ : -
(نَزَلَتْ) أَوْ (فَأَنْزَلَ اللَّهُ) .

٣ / مَا نَزَلَ جَوَابًا عَلَى سُؤَالٍ مَوْجَّهٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ يَقْتَرِنُ أحيانًا بِعَالِفَاءِ .

٤ / قَوْلُ الرَّاوي : (نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي كَذَا) .

٥ / مَا لَمْ يَجُزْمَ بِهِ الرَّاوي ، كَقَوْلِهِمْ :
(اُحْسِبْ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي كَذَا) .

هذا ، وبعد الموازنة بين هذه الصِّغِ تَبَيَّنَ
الآتى :

(أ) ثَبَتَ من طريقِ الإِشْتِرَاءِ أَنَّ الصِّغَةَ الْأُولَى
- وحى قولهم (سببُ نزولِ هذه الآية كذا) -
لم تَرُدْ إطلاقاً بهذه الصِّغَةِ فى أسباب النزول .
ومجيئها فى بعض كتبه علوم القرآن
- يوصفها نصاً صريحاً فى السببية - فىرُسلِم .

وله فلا يجوز مدُّها ضمن الصِّغِ الْمُصَّجَّةِ
من سبب النزول ، بَلَّة (١) إِنْطِلَاقُهَا المرتبة الأولى
فى النَّصِّ عَلَى السَّبَبِيَّةِ .

(١) بَلَّة : اسمُ فعلٍ أمرٍ بمعنى (دَع) وقيل معناها (سوى)
(مختار الصحاح ص ٦٥) والمرادُ هنا استعمالُها بمعنى
الفعل .

ب) قول الراوى : (نزلت هذه الآية فى كذا)
لا يُعتبر على إطلاقه - نصاً فى السببية ، لا شتماله
على الاحتمالات التالية :-

١ / فقد يُراد به بيان السبب ، وعندئذ يُعتبر
نصاً فى السببية .

٢ / وقد يُراد به بيان ما تضمنته الآية - من
أحداث وقصص .

٣ / وقد يُراد به رأى الراوى فى تفسير الآية .

ج) بقية الصيغ الأخرى كلها وردت فى التفسير
من أسباب النزول ، فبرأئها تتفاوت فى دلالتها
على النص على السببية . ويأتى ترتيبها - بحسب
الأولوية - على النحو التالى :

أولاً : ما اقتصر بالفاء ، لثبوته من طريق الإيماء .
ومعروف أن الإيماء مُقدَّم على ما سواه عند
غياب النص الصريح . ولذلك كان قولهم :
(" فنزلت " أو " فأنزل الله ") مُقدِّماً على ما سواه .

ثانيًا : ما كان جوابًا على سؤال : مُوجَّهٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذلك لِإِقْتِرَانِهِ أَحْيَانًا بِالْفَاءِ .

ثالثًا : كَقَوْلِ الرَّاوي : (نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي كَذَا) لِأَنَّ فِيهِ اعْتِمَالَ النَّصِّ عَلَى السَّبَبِيَّةِ وَالْمُحْتَمَلِ مُقَدَّمٌ عَلَى الْمَشْكُوكِ .

رابعًا : ما لَمْ يَجْزِمْ بِهِ الرَّاوي . وقد جاء في المرتبة الأخيرة ، لِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ شَكٍّ وَتَرَدُّدٍ .

المُقْتَرَحَاتُ

=====

أَمَّا الْمُقْتَرَحَاتُ فَأُقْتَرَحُ مَا يَلِي :

١- البَحْثُ الْجَادُّ مِنَ الْمَخْلُوطَاتِ الْمَفْقُودَةِ ، وَالْعَمَلُ عَلَى إِحْيَائِهَا إِنْ وُجِدَتْ .

٢- تَحْقِيقُ الْكُتُبِ الْمَوْجُودَةِ تَحْقِيقًا عِلْمِيًّا يُسْتَفَادَ بِهِ .

٣- تَفْصِيلُ الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةِ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ - سِوَاهُ أَكَانَتْ فِي الْكُتُبِ الْمُخْتَصَّةِ بِهَا ، أَمْ كَانَتْ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ الْعَمَلِيَّةِ - وَتَخْرِيجُهَا تَخْرِيجًا عِلْمِيًّا نَافِعًا .

وَيُحَدِّثُ :

هَذَا مَا فَتَحَ اللَّهُ بِهِ وَسْرَهُ مِنَ الْقَوْلِ فِي (أَسْبَابِ

النُّزُولِ : دَارِيقَتَا ، وَتَقْلِيلِ النُّصُوصِ بِهَا) . وَوُجُوْهُهُ
بَشَرِيٌّ مَدْرُونٌ لِلْعَطَا وَالزَّلِيلِ وَالنَّقْصَانِ .

فَإِنْ أَصَبْتُ فِيهِ فذَلِكَ مِنْ غَضَلِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ —
وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَىٰ فِيهِ مَرْدُودَةً إِلَى النَّقْصِ الْبَشَرِيِّ
وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْخَافِيَةَ وَالْمَغْفِرَةَ .

وَإِنِّي لَأَتَمَعُ فِي تَوْجِيهِ النَّصِيحِ ، وَتَسْدِيدِ
التَّوَلِّ ، وَالتَّنْبِيهِ إِلَى مَوَاقِنِ الزَّلَلِ فِي هَذَا الْعَمَلِ الْمُتَوَاضِعِ .
فَلَسْتُ مَدَّعِيًا لَهُ كَمَالًا ، لَأَنَّ الْكَمَالَ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَهُوَ
الْقَاطِلُ فِي مُدَحِّمِ تَنْزِيلِهِ :

(وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْحِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (١)

وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ - بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - قَدْ وَثَّقْتُ فِي كُنْهِ
أَنْتِشَارِ الْبَاسِثِينَ إِلَى مِثْلِ هَذَا النَّوعِ مِنْ دَرَاةِ أَسْبَابِ الْفُزُولِ .

(١) سورة الإسراء (٨٥)

وَأَعِيرًا أَعُودَ فَأَخْتَمُ بِمَا بَدَأْتُ بِهِ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى ،
وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْأَلُهُ
تَعَالَى أَنْ يُرْزُقَنِي حُسْنَ الدُّعَا ، وَاسْتِقَامَةَ الْمَقْصِدِ ، وَالْإِخْلَاصَ
فِي الْعَمَلِ ، وَخَاتَمَةَ السَّعَادَةِ .
(وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (١)

الفہاری

فہرستی المصادر

فہرستی الذیات

فہرستی الأعداد

فہرستی الأعلام

فہرستی الموضوعات

فهرس المصادر

=====

- * القرآن الكريم .
- * ابن أبي حاتم، محمد بن حبان بن محمد
كتاب المجروعين من المحدثين .
الطبعة الأولى .
حيدرآباد ، الهند ، المطبعة الحزيرية ١٣٩٠ هـ
- * ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم
مقدمة في أصول التفسير .
بتحقيق الدكتور عدنان زُرُور .
الطبعة الأولى :
الكويت ، دار القرآن الكريم ١٣٩١ هـ
- * ابن الجزري ، محمد بن محمد
النشر في القراءات العشر .
تصحيح ومراجعة الشيخ علي محمد الضباع .
دار الفكر للطباعة والنشر .

* ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد .
صنوة الصنوة .

بتمتقيق محمد فاضل .

خرج أحاديثه محمد رؤاس قلعة جبي .
الطبعة الأولى .

حلب ، دار الوحي ١٣٩٨ هـ .

* ابن خلدون ، عبد الرحمن المنبري .
تأريخ الخلافة ابن خلدون " كتاب العبر " .
الطبعة الثانية :

بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٦١ م .

* ابن سلكان ، أحمد بن محمد .
وفيات الأعيان .

دار الثقافة ، بيروت .

* ابن الربيع الشيباني : عبد الرحمن بن أبي
حداثة الأنوار ومطالع الأسرار - بتحقيقه محمد هاشم
دعته : مطبعة محمد هاشم الكشبي
* ابن العباد الحنبلي ، عبد الحفيظ بن أحمد .

شذرات الذهب في أعيان من ذهب

بيروت ، المكتب التجاري .

- * ابن كثير ، إسماعيل .
البايعات الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ،
القاهرة .
مطبعة محمد علي صبيح .
- * ابن كثير إسماعيل .
تفسير القرآن العظيم .
الطبعة الثانية .
بيروت ، دار الفكر ١٣٨٩ هـ .
- * ابن منظور ، محمد بن مكرم .
لسان العرب .
القاهرة : الدار المصرية للتأليف والنشر .
- * أبو زهرة ، محمد .
أصول الفقه .
القاهرة ، دار الفكر العربي .
- * أبو زهرة ، محمد .
تأريخ المذاهب الإسلامية .
القاهرة ، دار الفكر العربي .
- * أبو سليمان ، الدكتور عبد الوهاب إبراهيم .
كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية .
الطبعة الأولى - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
جدة : دار الشروق .

- * أبو شهبة ، محمد بن محمد .
 الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير .
 القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٣ هـ .
- * أبو شهبة ، محمد بن محمد .
 أعلام المحدثين .
 القاهرة ، مركز كتب الشرق الأوسط ١٣٨١ هـ .
- * أحمد بن منيل ، الإمام .
 مُسْنَدُ الإمام أحمد .
 بيروت ، المكتب الإسلامي .
- * الألويسي ، السيد محمود .
 رُوح المصاني ، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .
 بيروت ، دار الفكر ١٣٩٨ هـ .
- * البخاري ، عبد العزيز / أحمد .
 كشف الأسرار عن أصول الجودوي .
 طبعة بالأونشوت .
 بيروت ، دار الكتاب العربي ١٣٩٤ هـ .

البخاري ، محمد بن إسماعيل .
 صحيح البخاري (الجامعُ المُستَدُّ الصحيحُ المختَصَرُ
 من أُمُورِ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُنَنِهِ وَأَيَّامِهِ .)
 القاهرة ، مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ .

البخدادى ، إسماعيل .
 هَدِيَّةُ الْحَارِفِينَ إِلَى أَسْمَاءِ الْمُؤَلِّفِينَ وَالْمُصَنِّفِينَ .
 بغداد ، مكتبة المثنى ١٩٥١ م .

البهاري ، مُحِبُّ اللَّهِ بن عبد الشكور .
 مَسَلُّ الشُّبُوتِ .
 القاهرة ، فرع زكي الكردي وشركاه .

الترمذي ، محمد بن هيسى .
 سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (الجامع الصحيح) .
 المدينة المنورة ، محمد عبد الحميد الكُتَيْبِي .

حاجي ، خَلِيفَةُ ، مصطفى بن عبد الله .
 كَشَفُ الْفَنُونِ عَنْ أَسَامِي الْكُتُبِ وَالْفَنُونِ .
 بغداد ، مكتبة المثنى .

الحاكم ، محمد بن عبد الله بن محمد .
المُسْتَدْرَك على الصحيحين .
الريّان : مكتبة و مطابع النصر الحديثة .

الحاكم ، محمد بن عبد بن محمد .
معرفة علوم الحديث .
صَحَّحَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ الدُّكْتُور السيد مُطَّحُّم حسين .
بيروت : المكتب التجاري .

الحموي ، ياقوت .
مُتَجَمُّمُ الْأَدْبَاء .
بغداد ، مطبعة المأمون .

الخطابي ، محمد بن محمد البُستِي .
غريب الحديث .
تحقيق عبد الكريم إبراهيم الخزاي .
مكة المكرمة - جامعة أم القرى .
دار الفكر ، دمشق ١٤٠٢ هـ .

الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي .
تأريخ بغداد .
بيروت ، دار الكتاب العربي .

* الدَّأودِيّ ، محمد بن علي بن أحمد .

طبقات المُفسِّرين .

بتحقيق طليّ محمد صمر .

الطبعة الأولى .

القاهرة : مكتبة وهبة ١٣٩٢ هـ .

* الذَّهَبِيّ ، محمد بن أحمد بن عثمان .

ميزانُ الإعتدال في نقدِ الرجال .

بتحقيق محمد علي البُجَّارِ .

الطبعة الأولى .

بيروت ، دار المعرفة ١٣٨٢ هـ .

* الذَّهَبِيّ ، محمد حسين .

التفسير والمفسِّرون .

الطبعة الثانية .

القاهرة ، دار الكتب الحديثة ١٣٩٦ هـ .

* الرَّازِيّ ، محمد بن أبي بكر/عبد القادر .

مختار الصحاح .

ترتيب محمود خاطر .

القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م .

* الرّازي ، محمد بن عمر (فخر الدين) .

مفاتيح الذيب .

الطبعة الثانية .

كشوران ، دار الكتب العلمية .

* الزركلي ، خير الدين .

الأعلام .

القاهرة ، مؤسسة الأهرام .

* سابق ، السيد .

فقه السنة .

الطبعة الأولى .

بيروت ، دار الكتاب العربي ١٣٩١ هـ .

* السرخسي ، محمد بن أحمد .

أصول السرخسي .

بتحقيق أبي الوفاء الأصفهاني .

القاهرة ، دار الكتاب العربي ١٣٧٢ هـ .

- * الشُّيُوطِيّ ، عبد الرحمن بن أبي بكر .
بُغْيَةُ الوُحَاةِ فِي دَلِيقاتِ النُّنُوسِ وَالنُّحَاةِ .
بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
الطبعة الأولى :
القاهرة ، مكتبة البابي الحلبي ١٣٨٤ هـ .

- * الشُّيُوطِيّ ، عبد الرحمن بن أبي بكر .
لُبَابُ النُّتُولِ فِي أَسبابِ النُّزُولِ .
القاهرة ، مؤسسة الطباعة لدار التحرير - ١٣٨٢ هـ .
* منجلي ، الدكتور أحمد [كيف تكتب بحثاً أو رسالة]
الطبعة السابعة (١٩٦٨) - القاهرة : مكتبة النهضة المصرية .
* الشوكاني ، محمد بن علي .
النَوَائِدُ المَجْمُوعَةُ فِي الْأَحاديثِ المَوْضُوعَةِ .
بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى اليماني :
الطبعة الأولى .
بيروت : دار الكتب العلمية ١٣٨٠ هـ .

- * الصَّابُونِي ، محمد علي .
روائع البيان ، تفسير آيات الأحكام .
الطبعة الثانية .
دمشق : مكتبة الغزالي .

* الصالح، صُبحي -

مباحث في علوم القرآن .

الطبعة الثانية .

بيروت ، دار العلم للملايين .

* الصيّمري ، عبد الله بن علي -

التبصرة والتذكرة -

الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ

مكة المكرمة ، جامعة أم القرى . ط . دار الفكر - دمشق .

* دكّاش كبرى زاده ، أحمد بن مصطفى ،

مفتاح السعادة ومصباح السيادة .

بتحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور .

* الطبري ، محمد بن جرير -

تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن) .

الطبعة الثالثة :

القاهرة ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٨ هـ .

- * العِراقِيّ ، محمد بن أسعد .
أسباب النول والقصد الفرثانيّة .
(مخطوط)
مكة المكرمة ، جامعة ام القرى ، مركز البحث العلمى .
- * الحَسَنَلايىّ ، أحمد بن على بن حجّو .
الدُّرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة .
بتحقيق محمد سيد بهاد الحق .
القاهرة ، دار الكتب الحديثة ١٣٨٧ هـ .
- * الحَسَنَلايىّ ، أحمد بن على بن حجر .
فتح البارى بشرح صحيح البخارى .
القاهرة ، المطبعة السلفية ومكتبتها بالروضة .
- * الحَسَنَلايىّ ، أحمد بن على بن حجر .
لسان الميزان .
الهند ، دائرة المعارف النظامية ، حيدرآباد .

- * الحسّانيّ ، أحمد بن عليّ بن حجر .
المطالب العالية بزاوائد الكتب الثمانية .
بتحقيق الأستاذ الشيخ المحدث : حبيب الرحمن الأفلحيّ .
بيروت : دار الكتب العلميّة -
- * عليّ الجارم ومصطفى أمين .
البلاغة الواضحة .
دار المعارف بمصر -
- * الصيّغ ، محمود بن أحمد .
عمدة القارئ شرح صحيح البخاري .
بيروت ، محمد أمين دمج وشركاه -
- * الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب .
القاموس المحيط .
الطبعة الثانية :
القاهرة : مصطفى البابي الحلبي ١٣٧١ هـ .

- * القُرطُبِيُّ ، محمد بن أحمد .
تفسير القوطي (الجامع لأحكام القرآن) .
القاهرة ، دار الشعب .
- * القُنَيْطِيُّ ، علي بن يوسف .
المُحَمَّدُون من الشعراء . وأشعارهم .
بتحقيق رباحي عبد الحميد مراد .
دمشق ، مطبعة الحجاز : ١٣٩٥ هـ
- * كَعَالَة ، صمر رضا .
معجم المؤلفين .
دمشق ، مطبعة الشرقى ١٣٧٨ هـ .
- * المَبَارَكُتُورِيُّ ، محمد عبد الرحمن .
تُحْفَةُ الْأَحْوَذِيِّ شرح جامع الترمذِيِّ .
بيروت ، دار الكتاب العربي .
- * المِراغِي ، عبد الله مصطفى .
الفتح المبين في طبقات الأصوليين
الطبعة الثانية .
بيروت ، محمد أمين دَمِيح وشركاه .

- * مُسْلِم بن الحَجَّاج بن مُسْلِم .
صحيح مسلم بشرح النووي .
القاهرة ، المطبعة المصرية .
- * الموسَوِّى ، ميرزا محمد باقر .
روضات الجنّات فى أحوال العلماء والسّادات .
بتحقيق أسد الله إسماعيليان .
إيران ، مكتبة إسماعيليان ١٣٥١ هـ .
- * النُّسَافى ، عبد الله بن أحمد بن محمد .
تفسير النُّسَافى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) .
بيروت ، دار الكتاب العربى .
- * الأنصارى ، محمد بن نظام الملك .
فواتح الرحموت بشرح مُسْلِم الثبوت .
الطبعة الأولى .
مصر ، بولاق المطبعة الأميرية ١٣٢٤ .
(صورة بالُوْفِسْت - مكتبة المُشْنَى ، بغداد)

الهيثمي ، عليّ بن أبي بكر .
مَجْمَعُ الزَّوَادِ وَمَنْبَعُ الْفَوَائِدِ .
بتحرير الحافظين : الحراقي ، وابن حجر .
القاهرة ، مكتبة القدس ١٣٥٣ هـ .

الواحدى ، عليّ بن أحمد بن محمد .
أسباب نزول القرآن .
الطبعة الثانية .
القاهرة ، مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٧ هـ .

الواحدى ، عليّ بن أحمد بن محمد .
أسباب نزول القرآن .
بتحقيق السيد أحمد صقر .
الطبعة الأولى .
القاهرة ، دار الكتاب الجديد .

الواحدى ، مقبل بن هادي .
الصحيح المسند من أسباب النزول .
جدة ، شركة المدينة للطباعة .

فهرس الآيات
=====

سورة البقرة نـ رقم (٢)
=====

* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ... الآية (٦) ٥١

* وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ... الآية (١٤) ٣١

* مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ... الآية (١٧) ٨٥

* أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ ... الآية (١٩) ٨٥

* ٨٥

* إِنَّ اللَّهَ لَا يَشْتَعِي أَنْ يُضْرَبَ مَثَلًا ... الآية (٢٦) ٨٥

* أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ... الآية (٤٤) ٨٥

* ٨٥

* قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ ... الآية (٩٧) ٢٧

- * وَمَنْ أَذْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ ... الآية (١١٤) ٣٨
- * وَلِلَّهِ الْقُسْرُ وَالْمَغْرِبُ ... الآية (١١٥) ٦٣
- * إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَكَرِيمٌ ... الآية (١٤٣) ٢٢٩، ١٠١
- * نَوَلَّ وَشَمْنَةً شَرَّ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ... الآية (١٤٤) ٦٣
- * إِنَّ الصَّافَةَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ... الآية (١٥٨) ٦٣
- * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ... الآية (١٧٨) ١١٥
- * الشَّعْرُ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْحَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى ... الآية (١٧٨) ٢٤٠
- * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ... الآية (١٧٩) ١١٥
- * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ... الآية (١٨٣) ١١٣
- * وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ... الآية (١٨٤) ١١٤
- * يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ... الآية (١٨٥) ١١٥

* أَطِيعُوا لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ... الآية (١٨٧) ١٥٥، ١٥٤

* عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَهُمْ أَنْفُسَكُمْ... الآية (١٨٧) ٢٣٠

* وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا... الآية (١٨٩) ٢٣٠

* وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ... الآية (١٩٦) ٢٣٠

* نَعْنِ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ... الآية (١٩٦) ٢٠

* وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ... الآية (٢٠٤) ١٣٠

* وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ... الآية (٢٠٧) ١٣١

* يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ... الآية (٢١٥) ١٤٧

* يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْعُمْرِ وَالْمَيْتَةِ... الآية (٢١٩) ٩٩، ٩٨

* وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحْذُورِ... الآية (٢٢٢) ٢٤٨

* نَارٍ مَّالِقًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا ... الآية (٢٣٠) ٥٤

* وَمَنْ لَمْ يَدْعُهُمْ نَارُهُمْ مِّنِّي ... الآية (٢٤٩) ٨٥٦٧٢

* وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَكَلُوا الْأَلْبَابَ ... الآية (٢٦٩) ٢١٩

* لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... الآية (٢٨٤) ١٥٦، ١٠٦

* آمَنَ الرُّسُلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ ... الآية (٢٨٥) ، ١٥٦، ١٠٦
١٥٧

* لَا يَخْلُقُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... الآية (٢٨٦) ، ١٥٦، ١٠٦
١٥٨

* رَبَّنَا وَلَا تَجْعَلْ عَلَيْنَا إِصْرًا ... الآية (٢٨٦) ١٥٧

* رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ... الآية (٢٨٦) ١٥٧

سورة آل عمران : رقم (٣)
=====

- ٨٦ * قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ . . . الآية (٣١)
- ٨٦ * ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ . . . الآية (٥٨)
- ٢٤١ * إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ . . . الآية (٧٧)
- ١١٥ * وَمَنْ يَشَاقِقْ فَيْزَ الْإِسْلَامِ دِينًا ثَمَّنَ يَقْبَلُ مِنْهُ . . . الآية (٨٥)
- ٣٠ * مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ . . . الآية (٧٩)
- ١١٤ ، ١١٥ * وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ . . . الآية (٩٧)
- ٢٣٨ * إِذْ دَخَلْتَ مَدْيَنَ وَاتَّخَذْتَ مِنْهُمْ أَنْ تَفْضَلَ . . . الآية (١٢٢)
- ٢٧ * وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا . . . الآية (١٦٩)
- ٦٦ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا . . . الآية (١٨٨)
- ٢٧٣ * نَسْتَجَابُ لَهُمْ رَبَّهُمْ . . . الآية (١٩٥)
- ٢٧٤ * لَأَنْبِئَنَّكَ عَنْ عَمَلٍ كَثِيرٍ مِمَّنْ . . . الآية (١٩٥)

سورة النساء : رقم (٤)
=====

- * وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ . . . الآية (٥) ١٢٢
- * وَابْتَغُوا الْيَتَامَى . . . الآية (٦) ١٢٢
- * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ . . . الآية (٢٤) ١٥٨ ، ٨٧
- * وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ . . . الآية (٢٩) ١١٦
- * وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ . . . الآية (٣٥) ٢٧٤ ، ٨٧
- * . . . لَا تَتْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى . . . الآية (٤٣) ٩٩
- * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ . . . الآية (٥١) ١٣٢
- * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْهِ . . . الآية (٦٠) ٢٤٥ ، ٢٤٤
- * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ . . . الآية (٦٥) ٢٤٥ ، ٢٤٣

- ٢٦٩ * لَّا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ... الآية (٩٥)
- ٢٧٠ * نَبِيُّ أُولَى الضَّرَرِ ... الآية (٩٥)
- ٢٠٤ * إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ... الآية (٩٧)
- ٢١٣، ٢٠٤ * وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا ... الآية (١٠٠)
- ١٧٣ * وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ... الآية (١٠١)
- ١٧٣، ١٧٢ * وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ ... الآية (١٠٢)
- ٣٠٣ * وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ أَهْلَقَ مِنْ اللَّهِ فِيلًا ... الآية (١٢٢)
- ٣٥٤ * وَاتَّبَعَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ... الآية (١٢٦)
- ١٠٠، ٨٤ * رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ... الآية (١٦٥)
- ٢٣٦، ٢٣٤ * يَسْتَنْتَوُونَكَ عَلَى اللَّهِ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ... الآية (١٧٦)

سورة المائدة : رقم (٥)
=====

- ١٢٦ * عَزَّمْتُ عَلَيْكُمُ النَّمِيَّةَ . . . الآية (٣)
- ١٠٩ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ . . . الآية (٦)
- ٨٣ * مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَافِيلَ . . . الآية (٣٢)
- ١٧٧، ٥٨ * إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ . . . الآية (٣٣)
١٧٨
- ١٤٩، ٨٤ * وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا . . . الآية (٣٨)
٢٣٣، ٢٢٩
- ١٨٠ * وَمَنْ أَحْسَنُ مِمَّنِ اللَّهُ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . . . الآية (٥٠)
- ٢٠٦ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ . . . الآية (٨٣)
- ٢٠٧ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ . . . الآية (٨٤)
- ١١٨، ٩٩ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ . . . الآية (٩٠)

- ٩٥ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ . . . الآية (٩١)
- ٩٩ * فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ . . . الآية (٩١)
- ٩٣، ٢٥ * لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ . . . الآية (٩٣)
- ٢٤٩ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا مَنْ أَشْيَا . . . الآية (١٠١)
- ٥٤ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ . . . الآية (١٠٦)
- ٥٦ * فَإِنْ عُرِضَ عَلَىٰ أَحَدِكُمَا شَيْءٌ . . . الآية (١٠٧)
- سورة الأنعام : رقم (٦)
=====
- ٢٣ * قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ مَذَابًا . . . الآية (٦٥)
- ٢٣ * أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ . . . الآية (٦٦)
- ٢٣ * وَكَذَّبَ بِهِ تَوَلَّى . . . الآية (٦٧)
- ١٦٣، ٢٣ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ . . . الآية (٨٢)

- * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ... الآية (٩٣) ٥٢
- * وَلَا تَقَالُوهَا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَشْمًا لِلَّهِ عَلَيْهِ ... الآية (١٢١) ٣٠
- * قُلْ لَا أُجِدُ فِيهَا أَوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ... الآية (١٤٥) ١٢٦

سورة الأنفال : رقم (٨)
=====

- * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَاكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ... الآية ١٠٠
- * وَأَذِيقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ... الآية (١) ٨٤
- * إِذَا تَشَاتَرَيْتُمْ فِي شَيْءٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... الآية (٩) ١٨٢
- * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ بَنِيكُمْ ... الآية (٣٣) ٢٦
- * مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ... الآية (٦٢) ١٨٠

سورة التوبة : رقم (١٩)

=====

- ١٥٩ * أَجِدْ لَكُمْ سِتَايَةَ الْحَاجِّ ... الآية (١٩)
- ١٣٢ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي ... الآية (٤٩)
- ١٣٣ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ... الآية (٥٨)
- ٥٨ * يَسْتَلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمُ لِرِضْوَانِكُمْ ... الآية (٦٢)
- ٢٠٨ * وَلَقَدْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا نَسُوخُ ... الآية (٦٥)
- ٢٧١ * يَحْلِنُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ... الآية (٧٤)
- ٢٣١ * الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ ... الآية (٧٩)
- ٢٧٠ * لَيْسَ عَلَى الْمُضْطَرِّ ... الآية (٩١)
- ١٨٥ * سَيُطْلَفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ ... الآية (٩٥)
- ٢٠٣ * وَالسَّائِدُونَ الْأَوْكُونَ ... الآية (١٠٠)
- ١١٢ * وَأَشْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ... الآية (١٠٢)
- ١١١ * خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ... الآية (١٠٣)

سورة يونس : رقم (١٠)

=====

١١٩ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . . . الآية (٦٧)

سورة هود : (١١)

=====

٨٧ * وَلَقَدْ أَخْرَنَاهُمُ الذُّخَابَ . . . الآية (٨)

٢٩٥ * وَمَاتُوا فِيهَا إِلَّا بِإِلَهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ . . . الآية (٨٨)

١٠٧٢ ٨٧ * وَأَتِمَّ الصَّلَاةَ بِشَرْفِ النَّهَارِ . . . الآية (١١٤)

سورة الرعد : رقم (١٣)

=====

١١٩ * إِنَّ نِي دَلِيلَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . . . الآية (٣)

سورة الحجر : رقم (١٥)

=====

٨٨ * وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ . . . الآية (٢٤)

٨٩ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ . . . الآية (٤٢)

٨٨ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . . . الآية (٤٥)

سورة النحل : رقم (١٦)

=====

- ١١٩ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . الآية (١٢)
- ٢١٠ * وَلَتَعْلَمُنَّ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ . الآية (١٠٣)
- ٢١٢ ، ٢٢١ * ... لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُ مِنَ الْإِنَّمَاءِ جَمِيعٌ . الآية (١٠٣)
- ٢١٢ * إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ . الآية (١٠٥)
- * إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُخْلَصٌ بِالْإِيمَانِ . الآية (١٠٦)
- ٢١٤ ، ٢١٣ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا . الآية (١١٠)
- ٢٦٧ ، ٢٢٦ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا . الآية (١٢٦)
- سورة الاسراء : رقم (١٧)
- =====
- ١٢٠ * وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ . الآية (٢٦)
- ١٢٠ * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا لِشَوَانِ الشَّيَاطِينِ . الآية (٢٧)
- ١٢٠ ، ٨٩ * وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ . الآية (٢٩)

* وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ... الآية (٣١) ٥٢

* وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْنَى... الآية (٣٢)

* وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ... الآية (٤٥) ٨٩

* وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي... الآية (٨٥) ٢٤٦، ٢٣٥
* وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا... الآية (٨٥) ص (٢٩٤) ٢٠٠، ٢٥٩

سورة الكهف : رقم (١٨)
=====

* وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا... الآية (٧٤) ١

* فَاتَّبَعَ سَبَبًا... الآية (٧٥) ١

* قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا... الآية (١٠٩) ٢٥٨

سورة مريم : رقم (١٩)
=====

* جَنَّاتٍ عِدْنٍ... الآية (٦١) ١٦١

* وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ... الآية (٦٤) ١٦٠

* أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا... الآية (٧٧) ١٣٤

سورة طه : رقم (٢٠)
=====

١١٩ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى - الآية (٢٨)

سورة الأنبياء : رقم (٢١)
=====

٨٨ * اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ . . الآية (١)

١٠١ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ - الآية (١٠٢)

سورة الحى : رقم (٢٢)
=====

١ * فَلْيَعْبُدُوا بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ . . الآية (١٥)

١٣٥ * هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا . . الآية (١٩)

١١٤ * وَادُّرْ فِي النَّاسِ بِالْحَقِّ . . الآية (٢٧)

١١٤ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ . . الآية (٢٨)

١٥٥ * وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ . . الآية (٧٨)

سورة المؤمنون : رقم (٢٣)

=====

- ١١١ * قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الآية (١)
- ١١١ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . الآية (٢)
- ١١١ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . الآية (٣)
- ١١١ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . الآية (٤)

سورة النور : رقم (٢٤)

=====

- ١٢٣ * الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا . . . الآية (٢)
- ٢١٦ ، ٢١٥ * الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً . . . الآية (٣)
- ١٤٠ ، ١٢٤ ، ٣٣ * وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ . . . الآية (٦)
- ١٤٩ ، ١٤٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦١
- ١٢٤ * وَالْعَاصِيَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهَا . . . الآية (٧)
- ٢٦٢ ، ١٢٤ * وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ الآية (٨)
- ١٢٤ * وَالْعَاصِيَةُ أَنَّ فَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا . . . الآية (٩)

١٢٤ * وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ... الآية (١٠)

١٣٦ ، ٥٩ * إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ... الآية (١١)

١٣٥ * وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ... الآية (٢٢)

١٦٢ * وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ... الآية (٣٣)

سورة القصص : رقم (٢٨)
=====

٢١٨ * وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ... الآية (٥١)

٢٠٧ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ... الآية (٥٤)

سورة العنكبوت : رقم (٢٩)
=====

٢١٣ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ... الآية (١٠)

١٠٧ * إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ مِنَ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ... الآية (٤٥)

سورة لقمان : رقم (٣١)
=====

١٣٦ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ... الآية (٦)

١٦٣ * إِنَّ الشَّرَّ لَطَلَمٌ عَظِيمٌ... الآية (١٣)

سورة السجدة : رقم (٣٢)

=====

٢٢٠ * تَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ . . . الآية (١٦)

سورة الأحزاب : رقم (٣٣)

=====

١٣٧ * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا . . . الآية (٣)

٢٧٤ * إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ . . . الآية (٣٥)

٢٣٩ * وَتُخَفِّفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ . . . الآية (٣٧)

سورة الزمر - رقم (٣٩)

=====

٢٢٣ * قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا . . . الآية (٥٣)

سورة فاطر : رقم (٤٠)

=====

١٠٥، ١٠٤ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ . . . الآية (١٠)

١٠٥ * قَالُوا رَبَّنَا أُمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ . . . الآية (١١)

١٠٥ * ذَلِكُمْ يَأْتِيكُمُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ . . . الآية (١٢)

١ * لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابِ . الآية (٣٦)

١ * أَسْبَابَ السُّعُوتِ . . الآية (٣٧)

سورة الشورى : رقم (٤٢)

=====

١٠١ * اللَّهُ لَدَيْكَ بِصَبَابِهِ . . الآية (١٩)

١٩٠ * قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا . . . الآية (٢٣)

سورة الاحقاف : رقم (٤٦)

=====

١٩٢ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . . . الآية (١٠)

١٢٩ * وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا . . . الآية (١٢)

سورة الفتح : رقم (٤٨)

=====

* إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . الآية (١)

١٩٦ * لِيُدْعِيَ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْمُؤْمِنَاتِ جُنَاتٍ . . الآية (٥)

سورة الحجرات : رقم (٤٩)

=====

١٦٧ ، ١٦٦ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ . . . الآية (٢)

سورة القمر : رقم (٥٤)

=====

١٩٧ * اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ . الْآيَةُ (١)

١٩٧ * كَذَانٍ يُرَوُّوْنَ آيَةً يُصْوَغُونَ . . . الْآيَةُ (٢)

سورة الواقعة : رقم (٥٦)

=====

١٦٨ * فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . الْآيَةُ (٧٥)

١٦٨ * وَتَبَعَلُّونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ . الْآيَةُ (٨٢)

سورة المجادلة : رقم (٥٨)

=====

١٣٨ * قَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا . . . الْآيَةُ (١)

٢٧ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا . . . الْآيَةُ (١٤)

٢٧٢ * فَبِعِلْمِهِنَّ لَهُ كَمَا يَبْخُلُونَ لَكُمْ . . . الْآيَةُ (١٨)

سورة الممتحنة : رقم (٦٠)

=====

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي ... الآية (١) ٢٠١، ٢٠٠

* إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ ... الآية (٤) ٢٠٠

* رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ... الآية (٥) ٢٠٠

سورة الجمعة رقم : (٦٢)

=====

* ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ... الآية (٤) ٢٢١

سورة التذابين : رقم (٦٤)

=====

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ... الآية (١٤) ٢٢٤، ٧٦

سورة الدلائق : رقم (٦٥)

=====

* وَاللَّائِي يَتَّبِعُنَّ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ... الآية (٤) ٧٥

سورة الملك : رقم (٦٧)

=====

* وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ... الآية (١٠) ١١٩

سورة عبس : رقم (٨٠)

=====

* عَبَسَ وَتَوَلَّى ... الآية (١) ١٣٩

* أَنْ جَاءَهُ الْأُنْقَاصُ ... الآية (٢) ١٣٩

سورة البلد : رقم (٩٠)

=====

٥٧ * لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ . الْآيَةِ (١)

٥٧ * وَأَنْتَ حَيٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ . الْآيَةِ (٢)

٥٧ * رَوَّالِدٍ وَمَا وَلَدَ . الْآيَةِ (٣)

٥٧ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ . الْآيَةِ (٤)

٥٧ * أَيْخُنِينَ أَنْ لَنْ يُقَدِّرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ . الْآيَةِ (٥)

٥٧ * يَقُولُ أَفَلَمْ تَكُنْ مَالًا تَبَدًّا . الْآيَةِ (٦)

٥٧ * أَيْخُنِينَ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ . الْآيَةِ (٧)

سورة الليل : رقم (٩٢)

=====

١٤٤ * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . الْآيَةِ (٥)

١٤٤ * وَسَخَّرْنَا لَهَا الرِّيحَ نَفِثًا . الْآيَةِ (٦)

١٤٤ * الَّذِي يُوَفِّي مَالَهُ يَتَزَكَّى . الْآيَةِ (١٨)

١٤٤ * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . الْآيَةِ (١٩)

١٤٤ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . الْآيَةِ (٢٠)

سورة الضحى : رقم (٩٣)

=====

٢٥٥ * وَالضُّحَى . الْآيَةِ (١)

٢٥٥ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . الْآيَةِ (٢)

٢٥٥ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى . الْآيَةِ (٣)

فهرس الأحاديث
=====

الصفحة	الحديث
٢١٠٢٠	* (كعب بن عجرة) : حُلتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ...
٢٣	* (زيد بن أسلم) : لا ترجعوا بعدى كفارا ..
٢٤	* (عائشة) : أنزلت هذه الآية في الأنصار ...
٦٩٠٢٥	* (أنس بن مالك) : كنتُ ساقى القوم ...
٢٦	* (أنس بن مالك) : قال أبو جهل : اللهم ...
٢٨	* (سعيد بن جبير) : أقبلت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ..
٢٨	* (سعيد بن جبير) : أقبلت يهود إلى رسول الله فقالوا ...
٣٠	* (سكينة) : إنَّ المجوس من أهل فارس ...
٣١	* (ابن عباس) : نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي ...
٣٦	* (عبد الله بن عمر) : يا جبريلُ ، لِمَ اتَّعَذَّ اللهُ إبراهيمَ خليلًا ؟
٦٣	* (ابن عمر) : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي ...
٦٤	* (عروة بن الزبير) : سألتُ عائشة رضى الله عنها ...
٦٦	* (ابن عباس) : إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود ...
٦٧٠	* (ابو سعيد الخدري) : إن رجلا من المنافقين على عهد رسول الله ...
٧٥	* (أبي بن كعب) : لما نزلت الآية التي في سورة البقرة ...
٧٦	* (ابن عباس) : هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة ...
٨٥	* (ابن عباس) : إن الله تعالى لما ضرب مثلين للمنافقين ..
٨٥	* (ابن عباس) : كان الرجل منهم يقول ليصبره ...
٨٦٠	* (ابن عباس) : إن أقواما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زعموا ...
٨٦	* (الحسن البصري) : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم راهبا فخرأه ...

- * (أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ) : لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ أُوطَاسٍ . . . ٨٧
- * (أُمُّ سَلَمَةَ) : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَفَرُّوا الرِّجَالُ وَلَا نَفَرُوا . . . ٨٧
- * (قَتَادَةُ) : لَمَّا نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : " اقْتَرِبْ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ " . . . ٨٨
- * (ابْنُ مَسْعُودٍ) : إِنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً . . . ١٠٨ ، ٨٨
- * (ابْنُ عَبَّاسٍ) : إِنَّ امْرَأَةً حَسَنَاءَ كَانَتْ تُصَلِّي . . . ٨٩
- * (سُلَيْمَانُ الْفَارِسِيُّ) : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ . . . ٨٩
- * (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ) : إِنَّ قَلَامًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . . ١٢٠ ، ٩٠
- * (ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ) : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ الْقُرْآنَ . . . ٩٠
- * (أَبُو هُرَيْرَةَ) : قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَالنَّاسُ يَشْرِبُونَ . . . ٩٨
- * (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا . . . ٩٩
- * (ابْنُ عَبَّاسٍ) : لَمَّا نَزَلَتْ وَإِنْ تُبْذَرُوا . . . ١٠٦
- * (مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ) : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ . . . ١٠٧
- * (أَبُو الْيَسْرِ) : اتَّعَنِي امْرَأَةٌ تَبْتَاعُ تَمْرًا . . . ١٠٨
- * (عَائِشَةُ) : سَقَدَلَتْ قَتَادَةُ لِي بِالْبَيْدَاءِ . . . ١١٠
- * (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) : كَانَ إِذَا نَزَلَ الْوَحْيُ . . . ١١١
- * (ابْنُ عَبَّاسٍ) : نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ كَانُوا قَدْ تَخَلَّفُوا . . . ١١١
- * (وَكْرَمَةُ) : لَمَّا نَزَلَ " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا " . . . ١١٥
- * (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ) : إِنَّ حَيَّيْنِ مِنَ الْعَرَبِ اقْتَتَلَا . . . ٢٤٠ ، ١١٦
- * (سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ) : أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ . . . ١١٨

- ١١٩ * (ابن عباس) : إِنَّمَا نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ فِي قَبِيلَتَيْنِ . . .
- ١٢١ * (سَيَّارُ أَبُو الْحَكَمِ) : أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُرٌّ .
- ١٣٠ * (السَّدِّيُّ) : أَقْبَلَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ . . .
- ١٣١ * (سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ) : أَقْبَلَ صُهَيْبٌ مُهَاجِرًا . . .
- ١٣٢ * (عُكْرَمَةُ) : جَاءَهُ عُمَيْيٌّ بْنُ أَكْطَبٍ وَكُحْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ . .
- ١٣٣ * (ابن عباس) : لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ . . ١٣٣
- ١٣٣ * (أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ) : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ قَسْمًا . . ١٣٣
- ١٣٤ * (ابن عباس) : إِنْ الْمُشْرِكِينَ أَخَذُوا عَمَارًا وَأَبَاهُ يَاسِرًا . . ١٣٤
- ١٣٤ * (خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ) : كَانَ لِي دَتْنٌ عَلَى الْحَاصِ بْنِ وَائِلٍ . . ١٣٤
- ١٣٥ * (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) : نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ . . ١٣٥
- ١٣٦ * (عائشة) : فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ فِي بَرَاءَتِي قَالَ الصَّدِّيقُ . . ١٣٦
- ١٣٦ * (ابن عباس) : نَزَلَتْ فِي النَّضَرِ بْنِ الْحَارِثِ ، اشْتَرَى قَيْنَةً . . ١٣٦
- ١٣٧ * (أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ) : قَابَ عَمِي أَنَسُ بْنُ النَّضَرِ . . . ١٣٧
- ١٣٨ * (عائشة) : تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ . . . ١٣٨
- ١٣٩ * (عائشة) : أَنْزَلْتُ هَبْسًا وَتَوَلَّى فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ . . ١٣٩
- ١٤٥ * (عبد الله بن الزبير) : إِنْ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِّيقُ أَعْتَقَ سَبْعَةَ . . . ١٤٥
- ١٤٥ * (ابن عباس) : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ أَبَا بَكْرٍ . . . ١٤٥
- * (الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ) : كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ . . ١٥٥ :
 * (أَبُو هُرَيْرَةَ) : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَلَّهِ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ١٥٦

- ١٥٨ (وسعيد الخدري) : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حَنْزَلٍ بَحَثَ . . .
- ١٥٩ (النعمان بن بشير) : كُنْتُ مَعَهُ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ
- ١٦٠ (ابن عباس) : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَجَبْرِيلَ : مَا يَمْنَعُكَ . . .
- ١٦٢ (جابر بن عبد الله) : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْزَلٍ يَقُولُ لَجَارِيَتِهِ . . .
- ١٦٣ (عبد الله بن مسعود) : لَمَّا نَزَلَتْ الْآيَةُ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ . . .
- ١٦٥ (أبو وائل) : كُنَّا بِصَفِّينَ فَقَالَ رَجُلٌ . . .
- ١٦٧ (ابن أبي مليكة) : كَادَ الْخَيْرَانِ أَنْ يَهْلِكَ . . .
- ١٦٨ (ابن عباس) : مَطَرُ النَّاسِ عَلَى عَبْدِ النَّبِيِّ . . .
- ١٦٩ (أنس بن أمية) : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَضَخًّا . . .
- ١٧٠ (صفوان بن يحيى) : أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِالْجِصْرِ أَرَانَهُ . . .
- ١٧٢ (أبو حمزة الثمالی) : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحُسْفَانَ . . .
- ١٧٤ (عبد الله بن عمر) : فَزُوِّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ نَجْدٍ . . .
- ١٧٤ (عبد الله بن عمر) : كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ صَلَاةِ الْخَوْفِ قَالَ : يَتَقَدَّمُ الْإِمَامُ . . .
- ١٧٨ (أنس بن مالك) : فَبَحَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ظُلْمِهِمْ . . .
- ١٧٨ (أنس بن مالك) : قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفَرٌ مِنْ عُكْلٍ . . .
- ١٨١ (ابن عمر) : اسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَسَارِ . . .
- ١٨١ (ابن عمر) : لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ
- ١٨٢ (كعب بن مالك) : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَبُوكَ . . .

- ١٨٧ * (كعب بن مالك) : لم أتخلف من رسول الله صلى الله عليه وسلم
في فزوة فزاهما
- ١٩٠ * (ابن عباس) : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن
بطن من قريش إلا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة ..
- ١٩٢ * (عوف بن مالك) : انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه ..
- ١٩٤ * (أنس بن مالك) : إن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي ...
- ١٩٥ * (سعيد بن أبي وقاص) : ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
لأحد يمشى
- ١٩٦ * (أنس بن مالك) : نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم مَرْجَعُهُ
من الحديدية
- ١٩٧ * (أنس بن مالك) : لما نزلت "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا" ..
- ١٩٨ * (أنس بن مالك) : سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية ...
- ١٩٨ * (أنس بن مالك) : سأل أهل مكة أن يُرِيَهُمْ آية ...
- ٢٠٠ * (ابن عباس) : نزل في مكاتبة حاطب بن أبي بلتمة ..
[على بن أبي طالب]
- ٢٠١ * (ابن عباس) : نزلت هذه الآية "إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ثَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ"
- ٢٠٦ * (عبد الله بن الزبير) : نزلت في النجاشي وأصحابه "وَإِذَا
سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ"
- ٢٠٨ * (عبد الله بن عمر) : قال رجل في فزوة تبوك في مجلس يومًا ..

- * (عبد الله بن مسلم الحضرمي) : كان لهم عبدان من أهل فيرا اليمن . . ٢١١
- * (زأين عباس) : كان قوم من أهل مكة أسلموا . . ٢١٢
- * (محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص) : كان رجل يقال له مؤثد بن أبي مؤثد ٢١٥
- * (يحيى بن جعدة) : نزلت هذه الآية في عشرة أنا أحدهم . . . ٢١٨
- * (رفاعة القرظي) : نزلت هذه الآية في عشرة أرهط . . . ٢١٨
- * (أنس بن مالك) : نزلت في انتظار الصلاة التي تدمي العتمة . . ٢٢٠
- * (عمر بن الخطاب) : كنا نقول : ما لِمُتَّتِنِ توبة . . ٢٢٢
- * (إبراهيم بن عباس) : هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة . . . ٢٢٤
- * (البراء بن عازب) : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى إلى النبي بيت المقدس . . ٢٢٩
- * (البراء بن عازب) : لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء . . ٢٣٠
- * (البراء بن عازب) : كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أنكروا البيت من ظهره ٢٣٠
- * (أبو مسعود) : لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل . . . ٢٣٠
- * (جابر بن عبد الله) : عرضت فأثناني رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ٢٣٤
- * (عبد الله بن مسعود) : بئنا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حوث ٢٣٥ ، ٢٥٦
- * (جابر بن عبد الله) : فيها نزلت " إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا " ٢٣٨
- * (أنس بن مالك) : نزلت في شأن زينب بن جحش وزيد بن حارثة . . ٢٣٩

- ٢٤١ * (عكرمة) : نزلت هذه الآية في أبي رافع وكنانة . . .
- ٢٤٣ * (عروة بن الزبير) : حاصم الزبير رجلا من الأنصار
- ٢٤٨ * (أنس بن مالك) : أنَّ اليهود كانوا إذا حاضت المرأة . . .
- ٢٤٩ * (أنس بن مالك) : عذَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .
- ٢٥٤ * (جندب بن صفيان) : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم . .
- ٢٥٥ * (جدة حفص بن ميسرة) : ان جُرُوا دخل بيت النبي صلى الله عليه وسلم . .
- ٢٥٨ * (ابن عباس) : قالت قريش لليهود : أعطونا شيئا . .
- ٢٥٩ * (ابن عباس) : قالت قريش لليهود . . .
- ٢٦١ * (ابن عباس) : أنَّ هلال ابن أمية قذف امرأته . . .
- ٢٦٢ * (سهل بن سعد) : ان عويمراً أتى حاصم بن عدي . . .
- ٢٦٦ * (أبو هريرة) : لَأَمَثَلَنَ بسبعين منهم مكانك . .
- * (أبي بن كعب) : لَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحُدٍ أُصِيبَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعُونَ
- ٢٦٧ وستون
- * (زيد بن ثابت) : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٢٦٩ أَطْلَى عَلَيْهِ
- ٢٧٠ * (زيد بن ثابت) : كَتَبَ أَكْتَبَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . .
- * (ابن عباس) : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا
- ٢٧١ فِي تِلْكَ الشَّجَرَةِ

- ٢٧٢ * (ابن عباس) : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا
في ذل حجرة
- ٢٧٣ * (أم سلمة) : يا رسول الله : لا اسمع الله ذكر النساء . .
- ٢٧٤ * (أم سلمة) : يغزوا الرجال ولا تغزوا النساء . . .
- ٢٧٤ * (أم سلمة) قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَذْكُرُ الرِّجَالَ وَلَا تَذْكُرُ
النِّسَاءَ

* ابن حكيمون القضاى ١٠

* ابن خلدون ٢٢

* ابن دقيق العيد ٦٢، ٤٤

* ابن السديع الشيبانى (عبدالرحمن بن على) ٢٦٧

* ابن شهاب الزهري ٢٨، ٦٤، ١٧٤، ١٨٦، ١٨٧، ٢٤٣، ٢٦٢، ٢٦٩،

* ابن الصلاح (عثمان بن عبدالرحمن) ٤٥

■ ابن عباس (عبدالله) ٢٦، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٩، ٦٠، ٦٨، ٧٦، ١١١،

١١٩، ١٦٠، ١٦٨، ١٨١، ١٨٣، ١٩٠، ١٩١، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٥،

٢١١، ٢١٣، ٢٢٤، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٧١، ٢٧٢،

* ابن عمر (عبدالله) ٣٠، ٦٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٨١، ٢٠٨، ٢٠٩،

٢٢٢

* ابن طية (اسماعيل بن ابراهيم) ٧

* ابن عينة (سفيان) ٧

* ابن كثير (اسماعيل) ١٦، ٢٢٠، ٢٢٤

* ابن كثير (عبدالله) ٢٧٠

* ابن ماجه (محمد بن يزيد) ٧، ١٤٣

٧ ابن المبارك (عبدالله) ٣٣، ١٨١

* ابن المدينى (على) ٧، ١٤، ١٥، ١٦، ٢٨٠

* ابن مردويه ١٩

* ابن مسعود (عبدالله) ٧، ١٤، ١٥، ١٦، ٢٨٠

* ابن مصين ٣٠ ٢١٤٠

* ابن المنذر ١٩

* ابن وهب ١٨٦

(ابو)

* أبو احمد الثوري ٢٠٤ ٢١٣

* أبو اسحاق (عمرو بن عبدالله السبيعي) ١٥٥ ٢٢٩ ٢٣٠

* أبو بكر بن أبي شيبة ٢٥ ١٦٢

* أبو بكر الصديق ١١ ٥٩ ١١٠ ١٣٦ ١٤٤ ١٤٥ ١٦٥ ١٦٧ ١٨٢

٢٣٤

* أبو بكر بن عبدالرحمن ٦٤ ٦٥

* أبو توبة (الربيع بن نافع) ١٥٩

* أبو جهل (عمرو بن هشام) ٢٦ ١٣٩

* أبو الحسن السراج (محمد بن الحسن) ٢٠ ٣٦

* أبو داود (سليمان بن الاشعث) ٧ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ٢٠٩ ٢١٧

* أبو رافع ٢٤١

* أبو زرعة ٣٠ ٢١٤

* أبو زميل (سماك بن الوليد الحنفي) ١٦٨ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣

- * أبو كُرَيْب الهمداني (محمد بن العلا) ١٦٢
- * أبو لُبابَة (بشير بن عبد المنذر) ١١٢، ٥١
- * أبو مسعود البدرى (عقبة بن عمرو) ٢٣٠
- * أبو العطف الاندلسى ١٥، ١٤، ٨
- * أبو معاوية الضيرى (محمد بن خازم) ١٦٢، ٣٣
- * أبو نصر الشيرازى ٩
- * أبو نصر المخلدى ٢٠٠
- * أبو النضر مولى عمر بن عبيد الله ١٩٥
- * أبو النعمان (محمد بن الفضل) ٢٦
- * أبو نعيم (الفضل بن دكين) ٢٢٩، ١٧٠، ١٦٠، ٥٩، ٢٨
- * أبو هريرة (عبد الرحمن) ٢٦٦، ١٥٦، ٧٠، ٣٠
- * أبو وائل (شقيق بن سلمة) ٢٣٠، ١٦٥
- * أبو الوليد التلياسى (صيد سنوطا) ١٦٣، ٢١
- * أبو ياسر بن الجطب ٥١
- * أبو اليسر (كعب بن عمرو) ١٠٨
- * أبو يَتْلَى ١٩
- * أبو اليمان (الحكم بن نافع) ٧٤، ٦٤

(أم)

* أم سلمة (هند بنت أبي أمية) أم المؤمنين ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥

* أم هانئ بنت أبي طالب ٣٢ ، ٥٣

(الهزة)

* إبراهيم بن اسعد ٢٦٩

* إبراهيم بن اسماعيل القاري ٢٢٢

* إبراهيم بن الحسين ٢٠٠ ، ٢١١

* إبراهيم بن مهاجر ١٨١

* إبراهيم بن موسى ٦٦

* إبراهيم بن يزيد النخعي ١٦٣ ، ١٦٤ ، ٢٣٥ ، ٢٥٧

* إبراهيم بن يوسف ٢٣٠

* أبي بن خلف ١٣٩

* أبي بن كعب ٧٥ ، ٢٦٧

* أحمد بن أبي إياس ٢١

* أحمد بن حنبل ١١ ، ١٩ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧

١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٣٧ ، ٢٧٢

- * أحمد بن عثمان ٢٣٠
- * أحمد بن منصور الرمادي ٢١٣، ٢٠٤
- * أحمد بن النضر ٢٦
- * أحمد بن يونس ٢٥٤
- * الحسن بن شريك ١٣٠
- * أدريال الروماني ٤٠
- * آدم بن أبي إياس ٢١١، ٢٠٠
- * إسحاق بن راهوية ٢٤٤
- * إسحاق بن يوسف الأزرق ٢٦٢
- * إسرائيل بن يونس ١٥٤، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٧١
- * أسلم (مولى عمر بن الخطاب)
- * إسماعيل بن عبد الله ٢٦٩
- * الأسنوي (جمال الدين) ١٦
- * الأسود بن قيس ٢٥٤
- * أسيد بن حضير ١١٠، ٢٤٨
- * الأعمش (سليمان بن مهران) ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ٢٤٠، ٢٣٥
- ٢٧٠، ٢٥٧
- * الأقوع بن حابس ١٦٧
- * الألوسي (السيد محمد) ٧٢

* أمية بن بسطام الصيشي ١٥٦ :

* أمية بن خلف ١٣٩

* أنس بن مالك ٢٥، ٢٦، ٦٩، ١٣٧، ١٧٧، ١٧٨، ١٩٤، ١٩٦،

١٩٧، ١٩٨، ٢٢٠، ٢٣٩، ٢٤٨

* أنس بن النضر ١٣٧

* الأوزاعي (عبد الرحمن بن عمرو) ١٧٧، ١٧٨، ٢٦٢،

* أوس بن عذام ١١٢

* أوس بن الصامت ١٤٩

* أيوب بن إسحاق ٢٧١

(البـ)

* البخاري (محمد بن اسماعيل) ٧، ١١، ١٦، ٢١، ٢٦، ٤٥، ٦٤،

٦٦، ٦٧، ٦٩، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١٥٤، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٥

١٦٧، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٧، ١٨٨، ١٩١،

١٩٣، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٧،

٢٤٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٩، ٢٨٠

* بختنصر البابلي ٣٨، ٣٩، ٤٠

* بديل بن ابى مارية ٥٤، ٥٦

* بختنصر البابلي

- * البراء بن عازب ١٥٥، ٢٢٩، ٢٣٠.
- * الجزار (احمد بن سلمة) ١٩، ٢٠٦، ٢١٤، ٢٢٣، ٢٦٦.
- + البردوى (على بن محمد بن الحسين) ٣، ٢.
- * بسرة بن صفوان ١٦٧.
- * بشر بن آدم ٢١٨.
- * بشر بن الفضل ١٩٤، ٧.
- * البندادى (اسماعيل) ٤٩.
- * بكر بن سودة ٢٣.
- * بكر بن شهاب ٢٨.
- * بلال بن رباح ١٣٤، ١٤٥.
- * البلقيني (سراج الدين) ١٦.
- * بهز بن اسد البصرى ١٩٦.
- * البيهقى (أحمد بن الحسين بن على) ١٩، ١٤٦٦.

(التاليف)

- * الترمذى (محمد بن عيسى) ٧، ١١، ٢٨، ٢٩، ٧٦، ١٠٨، ١٤٣.
- ١٩٨، ٢١٥، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٧٣.
- * تميم بن أوس الدارى ٥٥.
- * تميمه بنت وهب بن عتيك ٥٤.

(الشـ)

* ثابت بن اسلم البنانى ١٣٩

* شعبة بن ربيعة ١١٢

* الشطبي (احمد بن محمد) ٣١٠٩

* الثوري ١٧٢

(الجـ)

* جابر بن عبدالله ٢٣٨، ٢٣٤

* جبر (مولى عبدالله بن مسلم الحضرمي) ٢١١

* الجارود (عمرو بن المولى) ٧٠، ٦٩

* الجد بن قيس ١٣٣، ١٣٢

٢٠٠، ٢٠١

* الجعفي (ابراهيم بن عمر) ٢٨١، ١٥٠، ١٤٠، ١٢

* جندب بن سفيان ٢٥٤

(الحاء المهملة)

* حاتم بن وردان ٧

* الحارث بن عمرو بن نوفل ٥٧

* حاطب بن أبي بلتعة ٢٠١

* الحاكم أبو عبد الله ٢٦، ٢٧، ٤٥، ٧٥، ١٨١، ١٨٤، ٢٠٠، ٢١١ .

٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٦٧، ٢٧٣

* حامد بن عمر ١٩٤

* حبيب بن ثابت ١٥٦

* حَدَّثَنَا بن أَخطب ٥١

* الحريري (صاحب المقامات) قاسم بن علي ١٠٠٩

* حسان بن ثابت ٥٩

* الحسن بن الربيع ٢٢٢

* حسن بن علي الحلواني ١٥٩

* الحسن بن محمد بن علي ٢٠١

* حسن بن موسى ٢٧٢

* الحسين بن حريث (أبوعمار) ٢٦٧

* حُصَيْن بن الحارث ٥٩

* حُصَيْن بن عبد الرحمن ٢١٠

* حفص بن ميسرة ٢٥٥

* حماد بن زيد ١٣٦

* حماد بن سلمة ٣٣، ٢١٨

* حمزة بن عبد المطلب ١٣٥، ٢٦٦

* عممة بنت جحش ٥٩

* الحميدى (عبدالله بن الزبير بن عيسى) ٢٠١

* حُصَيْنُ بن أَخطب ٢٤١، ١٣٢، ٥٣

(الخاء الميمية)

* خالد بن الحارث ١٩٧

* خالد بن الوليد ١٧٢

* خباب بن الارت ١٣٥، ١٣٤

* الحُضْرِيُّ (الشيخ محمد) ١٤١، ١٥٣، ٩٧، ٧٩

* الخطابي (احمد بن محمد بن ابراهيم) ١٧٧

* الخطيب البغدادي (أحمد بن علي) ٢٦٥، ١١٠

* الخليل بن أحمد ١٢

* خولة بنت ثعلبة ١٤٩، ١٤٠، ١٣٨

* غولة (خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم) ٢٥٥

(المدال المهملة)

* الدارقطني ٢١٤، ١٩

* داود بن أبي هند ٢٥٩، ٢٥٨، ٣١

(الذال المعجمة)

* الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان) ٢٠٩

* ذو الخويصرة التميمي ١٣٣

* (الراء المهبط)

* الرازي (محمد بن عمر) ٧٤، ٧٣، ٧٢

* رافع (مولى مروان بن الحكم) ٦٦

* الربيع بن أنس ٢٦٧

* رفاعه بن عبد الرحمن القرظي ٢١٨، ٥٤

* رباح بن رزاح

* روح بن صادة ٢١٥

* روح بن القاسم ١٥٦

(الزاي المعجمة)

+ الزاهد (سعيد بن محمد بن أحمد) ٢٨

* الزبير بن العوام ٢٤٦، ٢٤٤، ٢٤٣

* الزرقاني (محمد عبد العظيم) ١٤٧، ٥٠، ٤٠

* الزركشي (محمد بن عبد الله بن بهادر) ٦٧، ٦١، ٤٥، ١٦

* الزعفراني (سعيد بن محمد) ٨

* زهير بن حرب ١٨١

* زهير بن معاوية بن خديج ٢٧٢، ٢٢٩

■ زيد بن أسلم ٢٠٩، ٢٠٨، ٦٧، ٢٣

* زيد بن التابه ٥١

* زيد بن ثابت ٢٧٠، ٢٦٦

x زيد بن حارثة ٢٣٩

* زيد بن سلام ١٥٩

* زينب بنت جحش ٢٣٩

(السين المصحلة)

* سالم (مولى أبي حذيفة) ١٣٤

* السدي الصغير (محمد بن مروان) ١٩١، ٣٣، ٣٢، ٣١، ٢٦

* السريسي (محمد بن أحمد بن أبي سهل) ٤، ٢

* سعد بن أبي وقاص ١١٨

* سعد بن أسحاق ٥٩

* سعد بن عباد ٢٤

* سعد بن معاذ ١٢٧

* سعيد بن أبي عروبة ١٩٧

x سعيد بن أبي عروبة ١٥٨

* سعيد بن أبي مریم ٦٧

* سعيد بن جبیر ٢٨، ٦٣، ١٦٠، ١٩٠، ١٩١، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٠

٢٧٢، ٢٧١، ٢٤١

* سعيد بن مسعود ٨١

* سفیان بن عیینة ٢٠١، ٢٠٢، ٢٣٤، ٢٧٢، ٢٧٤

* سلمان الفارسی ٨٩

* سلمة بن السائب ٣٢

* سامان بن بلال ٢٢٠

* سلیمان بن داود ١٩٠

* سنان بن حرب ٢٢٤، ٢٧١، ٢٧٢

* سمیة بنت غیاث ١٣٤

* سهل بن حنیف ١٦٥، ١٦٦

* سهل بن سعد الساعدي ٢٦٢، ٢٦٩

* سويد بن سعد ٥٩

* السيد سابق ٢١٠٣

* السيد مصنف حسين ٢٦

* * * * * ١٨٠

- * السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر) ١٢، ١٤، ١٦، ١٨، ٢٤
- * ٢٧-٢٩ ، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٧، ٤٣، ٤٦، ٤٨ ، ٥٠، ٥٨
- * ٦٠، ٦٢، ١٠٨، ١١٠، ١١٥، ١١٩، ١٢١، ١٦٩، ٢٠٨، ٢٢٦، ٢٢٨

(الشين المعجمة)

- * الشافعي (محمد بن ادريس الامام) ١٢٦
- * شريك بن سحما ٢٦١
- * شريك بن عبد الله النخعي ٢٠٤، ٢٠٥
- * شريح بن مسلمة ٢٣٠
- * شعبان بن السائب ٣٢
- * شعبة بن الحجاج ٢٠، ٢٣، ١٦٣، ١٩٠، ٢٣٠
- * شعبة بن عمرو ٥١
- * الشعبي (عامر بن شرا حيل) ٢٤٤
- * شعيب بن محمد بن عبد الله ٢١٥
- * شعيب بن أبي حمزة ٦٤، ١٧٤
- * شلبي (الدكتور احمد) ٢٠٤

* شيبان بن عبدالرحمن النحوي ١٩٨

* الشيباني (الحسن بن أحمد) ٢٨

* شيبة بن ربيعة ١٣٥

* الشوكاني (محمد بن علي بن محمد) ٨١٠٧٨

(الصاد المهملة)

* صالح بن كيسان ٢٦٩

* صالح ابو الخليل (بن ابي مريم) ١٥٨

* الصابوني (محمد علي) ١٢٣

* صبحي الصالح (الدكتور) ٢٨٣، ٤١، ٤٠، ٣٩، ٣٨، ٣٧، ٢٤، ٥

* الصَّفار (أحمد بن محمد) ٨

* صفوان بن أمية ١٧١، ١٦٩

* صفوان بن يعقوب ١٧١، ١٧٠

* صَفَر (السيد أحمد) ٢٨٢، ١٧، ١٤

* صهيب الرومي ١٣١

* الصَّيْجَرِي (عبد الله بن علي) ١٨٠

(الضاد المعجمة)

* الضباع (الشيخ علي محمد) ٢٩٦

* الضحاح بن مزاحم الهلالي ٣٠

* انضير (على بن محمد) ٨

* ضرة بن جندب ٢٠٤ ، ٢٠٥

(الطاء المهملة)

* طاووس بن كيسان ١٩٠

* الطبراني (سليمان بن أحمد) ١٩ ، ١٧٢ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢١٨ ،

٢٥٥ ، ٢٥٦

* الطبري (محمد بن جرير) ١٩ ، ٢٦ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ،

٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،

٢٧١

* طائوس الرومي ٣٩

* الخليل بن الحارث ٥٩

* طليب بن عمرو ٥٩

(العين المهملة)

* عائشة بنت أبي بكر الصديق ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٦٤ ، ١١٠ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٣٨

* عاصم بن أبي النجود ٢٧٠

* عاصم بن عدي ٢٦٢ ، ٢٦٣

* عاصم بن علي ٢٠

الحاصي بن وائل ١٣٤ ١٣٥٠

* عامر بن سعد بن أبي وقاص ١٩٥

* صباد بن بشر ٢٤٨

* صباد بن المطلب ٥٩

* الحباس بن عبد المطلب ١٣٩

* عبد بن حميد ١٩٨ ٢١٥٠

* عبد الجليل النقشبندي ٤٩

* عبد الرحمن الاصفهاني ٢٠

* عبد الرحمن بن أبي بكر ١٢٩

* عبد الرحمن بن الحسن الأسدي ٢٠٠ ٢١١٠

* عبد الرحمن بن الزبير ٥٤

* عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ١٨٦ ١٨٧٠

* عبد الرحمن بن القاسم ١١٠

* عبد الرحمن بن محمد بن قطيس ٢٨٠

* عبد الرزاق بن حمام ١٩ ١٧٢ ١٩٨٠

* * * * *

* عبد العزيز البخاري ٤٠٣

* عبد العزيز ^{بن} سيّاه ١٦٥

* عبد العزيز ^{بن} عبد الله الاويحيى ٢٢٠

- * عبد الله بن أبي زياد ٢٢٠
- * عبد الله بن أبي بن سلول ١٦٢، ٥٩، ٥٨، ٣١
- * عبد الله بن إدريس ٢٢٢
- * عبد الله بن رجا ٢٧٠
- * عبد الله بن الزبير ٢٠٦، ١٦٧
- * عبد الله بن سلام ١٠٩٦، ١٩٥، ١٩٤، ١٩٣
- * عبد الله بن عمرو بن العاص ٥٦
- * عبد الله بن كعب بن مالك ١٨٧، ١٨٦
- * عبد الله بن مسلم الحضرمي ٢١١
- * عبد الله بن معاذ ٢٦
- * عبد الله بن محقل ٢٠
- * * * * *
- * عبد الله بن الوليد ٢٨
- * عبد الله بن وهب ٢٠٨، ٧
- * عبد الله بن يوسف ١٩٥، ١٧٤، ٢٥
- * عبد الملك بن أبي سليمان ٦٣
- * عبد العلك بن ميسرة ١٩٠
- * عبيد الله بن أبي رافع ٢٠١
- * عبيد الله بن الأحنس ٢١٥

✻ عبید اللہ بن زحر ٢٣

✻ عبید اللہ بن موسیٰ ١٥٤، ١٨١، ٢٣٠

✻ عبیدۃ بن الحارث ٥٩، ١٣٥

✻ عتبۃ بن ربیعۃ ١٣٥، ١٣٩

✻ عثمان بن سعید الدارمی ٢٢٢

✻ عثمان بن مظعون ٧٠

✻ عدی بن ہدا ٥٥

✻ العراقی (محمد بن أسعد) الحکیمی ١٤، ١٥، ٤٩، ٥٠، ٥٨، ٥٩

٢٨٤، ٢٨٣، ٦٠

✻ عروۃ بن الزبیر ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٢٤٣

✻ العسکری (بشر بن خالد) ١٦٣، ٢٣٠

✻ عطاء بن ابی رباح ٢٦، ٣٦، ١٧٠

✻ عطاء بن یسار ٦٧

✻ عفان بن مسلم ٢١٨

✻ عقیل بن ابی طالب ١٨٣

✻ ذکوة الجبری (مولى ابن عباس) ٣٠، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٣، ٢٢٤

٢٣٨، ٢٣١، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١

✻ ذکوة بن عمار ١٦٨، ١٨١

✻ ذلقعة بن قیس بن عبد اللہ ١٦٣، ٢٣٥، ٢٥٧

✱. علقمة بن وقاص ٦٦

* علي بن أبي طالب ١٣٥، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٣، ٢٠١

* على الجارم ١٤٨

* علي بن عبدالله بن سلمة ٢٣٨، ١٧٨، ٥٩

✽ عمار بن یاسر ۱۳۴

* عمران بن موسیٰ ۸

* عمر بن الخطاب ٣٦، ٥١، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٩٩، ١٠٠، ١١١، ١٥٩

۲۲۲، ۲۰۲، ۱۸۵، ۱۸۴، ۱۸۱، ۱۷۰، ۱۷۷، ۱۷۵

* عربین قر ۱۶۰

* عمر بن حفص بن فیاث ۲۵۷، ۲۳۵

* تمر رضاكحالة ٤٩ *

* عمرو بن علي بن مقدم ٢٠٦

* ثَمَرُ بْنُ يُونُسَ الْحَنْفِيُّ ١٨١

✽ **فصل في الحارث** ✽

* عضوین دیکار ۲۰۲۰-۲۰۲۱: ۲۷۳، ۲۱۸، ۲۱۳، ۲۰۴، ۲۰۲، ۲۰۱

* عمرو بن شقيب ۲۱۵، ۱۹۱

* ضرورت بن عثمان ۱۲۲۰

* عمرو بن علی ۲۰۶

* عمرو بن عون ٢١٠

* عمرو بن محمد بن بكير الناقد ٢٣٤

* عمرو بن معد يكرب ٦٩

* عنان (المرأة القرشية) ٢١٥، ٢١٦

* العنبري (عباس بن عبد العظيم) ١٦٨

* عوف بن مالك ١٩٢

* عويمر العجلاني ٣٤، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥

* عيسى بن عبيد ٢٦٧

* الديني (محمود بن احمد) ٢٧٠

(الذين المعجمة)

* فندر (محمد بن جعفر) ٢١، ١٠٦٣

(الفسباء)

* فتحي احمد مصطفى

* الفضيل بن موسى ٢٦٧

القـاف

* قتادة بن دعامة ٣٨ ، ٣٩ ، ١٥٨ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨

* قدامة بن مظعون ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١

* القشيري (محمد بن رافع) ٦١

* القرطبي ٦٩ ، ٧١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ٢١٣

* القواريري (عبيد الله بن عمرو) ٦٣ ، ١٥٨

* قيس بن ثابت ١٤٩

* قيس بن صرمة ١٥٥

(الكـاف)

* كارل بوركلمان ٤٩

* كعب بن الأشرف ٥١ ، ١٣٢ ، ٢٤٠

* كعب بن جرة ٢٠ ، ٢١

* كعب بن مالك ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩

* الكلبي (محمد بن السائب) ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٩

* الكمال بن الهمام ١٢

* كنانة بن أبي الحقيق ٢٤١

* كنيث بن أبي سليم ٣٣

* كنيث بن ساذ ١٨٧

- * محمد بن المنكدر ٢٣٤
- * محمد بن منبهال الضير ١٥٦
- * محمد بن ناصر البغدادي ١١
- * محمد بن يحيى (المروزي) ٢٢٤، ٢٠
- * محمد بن يوسف (الفريابي) ٢٦٢، ٢٢٤، ١٩
- * مرثد بن أبي مرثد ٢١٦، ٢١٥
- * مروان بن الحكم ٢٦٩، ١٢٩، ٦٧، ٦٦
- * مسطح بن أثاثة ١٣٦، ٥٩
- * مسلم بن الحجاج ١١، ٢٥، ٢٦، ٦٣، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٢،
- ١٦٨، ١٨١، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٦، ٢٠٩، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٤٩،
- ٢٥٩
- * مسيلمة الكذاب ٥٢
- * مصطفى أمين ١٤٨
- * مصطفى البايي الحلبي ١٦، ١٧
- * مصطفى بن عبد الله (حاجي خليفة) ٤٩
- * المطلب بن أبي وداعة ٥٦
- * معاذ بن جبل ١٠٧، ١٠٨
- * معاوية بن أبي سفيان ١٧٢
- * معاوية بن سلام ٦٥٩

- * علقمة بن وقاص ٦٦
- * علي بن ابي طالب ١٣٥، ١٦٥، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٣، ٢٠١،
- * علي الجارم ١٤٨،
- * علي بن عبد الله بن سلمة ٥٩، ١٧٨، ٢٣٨
- * عمار بن ياسر ٢٣٤
- * عمران بن موسى ٨
- * عمر بن الخطاب ٣٦، ٥١، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٩٩، ١٠٠، ١١١، ١٥٦
- * ١٦٥، ١٦٧، ١٧٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٥، ٢٠٢، ٢٢٢
- * عمرو بن ذر ١٦٠
- * عمرو بن حفص بن ضيات ٢٣٥، ٢٥٢
- * عمرو رضا كعالة ٤٩
- * عمرو بن علي بن مقدم ٢٠٦
- * عمرو بن يوسف الحنفى ١٨١
- * عمرو بن السارث ١١٠
- * عمرو بن دينار ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢١٨، ٢٧٣
- * عمرو بن شعيب ١٩١، ٢١٥
- * عمرو بن عثمان ١٧٧،
- * عمرو بن علي ٢٠٦

٢٦٤

* نور الهدى الزينى ٩

* الخوى (يحيى بن شرف) ٢٦٥، ٢٣٤، ١٦٨

(الهـ)

* هشام بن حسان ٢٦١

* هشام بن محمد الكلبي ٣٣

* هشام بن سعد ٢٠٩، ٢٠٨

* هشام بن عروة ٢٠٦

* هشيم بن بشير بن القاسم ٢١٠، ٣٣

* هلال بن أمية ٢٦٥، ٢٦٤، ٢٦٢، ٢٦١، ١٤٩، ١٤٤، ١٤٣، ٣٤

* حمام بن يحيى بن دينار ١٩٦، ١٧٠

* هناد بن السرى ١٨١

* هند بنت الوليد (امرأة قدامة بن مظعون) ٧٠

* الهيثمى (على بن أبى بكر) ٢١٨، ٢١٤، ٢٠٦، ٢٠٤، ١٩٣، ١٩٢، ٢٢٣

(الهـ و)

* الواحدى (على بن أحمد) ٢٩-٢٢، ٢٠-١٨، ١٦-١٤، ١٢، ٨

٣٣-٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥٨، ٦٠، ٦٢، ٩٩، ١٠٦-١٠٨

١١١، ١١٨، ١٢٠، ١٢٤، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٨٣

* الوادعي (مقبل بن سادي) ١٤ ، ٢٠٥ ، ٢٢٦ ، ٢٨١

* ورتاء بن صمر بن كليب ٢٠٠ ، ٢١١

* الوليد بن مسلم ١٧٢ ، ١٧٨

* الوليد بن عتبة ١٣٥

(الياء)

* ياسر الحنسي (ابو عمار) ١٣٤

* يحيى بن ابي كثير ١٧٢ ، ١٧٨

* يحيى بن بكير ١٨٢

* يحيى بن حمدة ٢١٨

* يحيى بن زكريا بن ابي زائدة ٢٥٨

* يحيى بن سعيد القطان ٧ ، ٦٣ ، ١٩٠ ، ٢٢٠ +

* يزيد بن زريع ٣٣ ، ١٥٦ ، ١٥٨

* يسار (مولى عبد الله بن مسلم الحضرمي) ٢١١

* يعقوب بن سفيان ٣٢

* يحيى بن عبيد الطنافسي ١٦٥

* يونس بن عبد الأعلى ١٨٦ ، ٢٠٨

* يونس بن محمد ١٩٨

* يونس بن يزيد الايلي ١٨٦

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٠٠	المقدمة
أ - ب	مكر و متد يسر
ج - د	المقدمة
هـ	الاسباب الباعثة على اختيار الموضوع
و - ز	مقدمة البحث
و - ك	موضوع البحث

الباب الاول
في سبب النزول
وفيه خمسة فصول

١ - ٦٠	الفصل الاول : وفيه ثلاثة مباحث
١ - ٥	المبحث الاول : التعريف بسبب النزول
١	معنى النزول
١ - ٤	معنى السبب لفظة واصطلاحا
٤ - ٥	المعنى الاصطلاحي لسبب النزول

الصفحة	الموضوع
١٣-٦	المبحث الثاني : ذكر من ألف فيه من العلماء
٧	الأول : ابن المديني
٨	الثاني : أبوالمطرف الأندلسي
٩٠٨	الثالث : الواحدى
١٠ ، ٩	الرابع : أبوالمظفر العراقي
١٠	الخامس : المازندراني
١١	السادس : ابن الجوزي
١٢	السابع : الجعبري
١٣ ، ١٢	الثامن : السيوطي
٦٠ ، ١٤	المبحث الثالث : الكتب التي ألفت فيه وبيان قيمتها العلمية
١٤	أ) الكتب المطبوعة
١٤	١- أسباب نزول القرآن للواحدى
١٤	٢- لباب النقول ، للسيوطي
١٤	٣- الصحيح المسند ، للوادعى
١٤	ب) الكتب المخطوطة
١٤	١- أسباب النزول - للعراقي
١٤	٢- أسباب النزول - للجعبري

الموضوع	الصفحة
ب - الكتب التي ورد ذكرها في المصادر	١٤
١ - كتاب ابن المديني	١٤
٢ - القصص والاسباب لابي المطرف	١٤
٣ - اسباب نزول القرآن ، لابن الجوزي	١٤
٤ - السجاب في بيان الاسباب لابن حجر	١٤
القيمة العلمية لهذه المصنفات	١٥
مركز كتاب الواحدي	١٥
مباحاته	١٦
الاسباب في الباعثة على تأليفه	١٧
المأخذ التي وردت عليه	١٨
اولا : ما أورده الإمام السيوطي	١٩ - ٣٧
الامر الاول : الاختصار	٢٠ - ٢٢
الامر الثاني : الزيادات الكثيرة	٢٣ - ٢٤
الامر الثالث : وفيه ثلاثة مأخذ	٢٤ - ٣١
المأخذ الاول : عدم عزو الاحاديث	٢٤ - ٢٧
المأخذ الثاني : عدم العلم بمخرج الحديث	٢٧ - ٢٩
المأخذ الثالث : إيراد الحديث مقطوعا	٢٩ - ٣١

الصفحة	الموضوع
٣٣-٣١	الأمر الرابع : تمييز الصحيح من غيره
٣٤، ٣٣	الأمر الخامس: الجمع بين الروايات
٣٧-٣٤	الأمر السادس: تنحية ما ليس من أسباب النزول
٤٢-٣٨	ثانيا : ما أورده الدكتور صبحي الصالح
٤٨-٤٣	مرض كتاب السيوطي (لباب النقول)
٤٣	طبقاته
٤٧-٤٣	منهجه
٤٨، ٤٧	القيمة العلمية لكتابي الواحد دى والسيوطي
٤٩-٤٠	عرض كتاب العراقى (اسباب النزول . .)
٤٩	المصادر التي اشارت اليه
٥٠، ٤٩	اماكن وجود النسخ المخطوطة منه
٤٩	ملاحظة على النسخة الأزهرية
٥٠	عدم تأثر العراقى بالواحدى
٥٧-٥١	جمع المؤلف بين التفسير وبيان الأسباب
٥٩، ٥٨	طلام اعتمد العراقى فى تصنيفه ؟
٦٠	القيمة العلمية لكتاب العراقى

الصفحة	الموضوع
٦١	الفصل الثانى :
٧٧-٦١	الاستعانة بالسبب على فهم الآية
٦١	تنبيه العلماء الى أهمية معرفة السبب
٦١	ما نقله الزركشى من القشيرى
٦٢	ما قاله السواحدى
٦٢	ما نقله السيوطى عن ابن دقيق العيد
٦٢	ما نقل عن ابن تيمية
٦٢	شواهد على أهمية معرفة السبب
٦٣	الشاهد الأول
٦٣-٦٥	الشاهد الثانى
٦٦-٦٨	الشاهد الثالث
٦٨-٧٤	الشاهد الرابع
٧٥-٧٦	الشاهد الخامس
٧٦-٧٧	الشاهد السادس

الصفحة	الموضوع
	الفصل الثالث
١٢٤ - ٧٨	فى تحليل النصوص وحكمة التشريع
٩٦ - ٧٨	المبحث الأول
٧٨	هل تحليل النصوص بحلة او لا ؟
٧٨	تعريف الحلة فى اللغة
٧٩-٧٨	تعريف الحلة فى الاصطلاح
٨٠	الفرق بين الحلة والسبب
٨١	العلاقة بين تحليل النصوص واسباب النزول
٨٢	مذاهب العلماء فى تحليل النصوص
٨٢	المذهب الاول
٨٢	المذهب الثانى
٨٢	المذهب الثالث
٨٢	المذهب الرابع
٨٣	الفرق بين هذه المذاهب الاربعة
٨٣	المذهب الرابع المختار
٩٠-٨٤	امثلة لتأييد المذهب الرابع
٨٥	المثال الاول
٨٦	المثال الثانى
٨٧	المثال الثالث
٨٧	المثال الرابع

الموضوع	الصفحة
المثال - الخامس	٨٨-٨٩
المثال السادس	٨٩-٩٠
احصاء الايات النازلة ابتداءً بلا اسباب	٩١-٩٥
احصاء الايات النازلة باسباب	٩١-٩٥
خلاصة الجدول الاحصائي	٩٥-٩٦
المبحث الثاني : في حكمة التشريع	٩٧-١٣٤
بيان العلاقة بين حكمة التشريع والعلة	٩٧
حكمة التشريع من اهم فوائد اسباب النزول	٩٧
المؤمن ينتفع بحكمة التشريع	٩٧-٩٨
الكافر ينتفع بحكمة التشريع	٩٨-١٠٠
المشروع الالهية وضعت لمصلحة المباد	١٠٠-١٠١
الحكمة تتجلى في مقاصد الشريعة	١٠١
مقاصد الشريعة لا تعدو ثلاثة	١٠١-١٠٣
المقاصد الضرورية	١٠٢
المقاصد الحاجية	١٠٢
المقاصد الكمالية	١٠٣
امثلة لحكمة التشريع في نطاق الضروريات الخمسة	١٠٤-١١٥

الصفحة	الموضوع
١١٥-١٠٤	أولاً : حفظ الدين
١٠٦-١٠٤	الركن الأول : الإيمان
١١٠-١٠٧	الركن الثاني : الصلاة
١١٣-١١٠	الركن الثالث : الزكاة
١١٤-١١٣	الركن الرابع : الصوم
١١٥-١١٤	الركن الخامس : الحج
١١٧-١١٥	ثانياً : حفظ النفس
١٢٠-١١٧	ثالثاً : حفظ العقل
١٢٢-١٢٠	رابعاً : حفظ المال
١٢٤-١٢٢	خامساً : حفظ النسل

الفصل الرابع	
الصفحة	الموضوع
١٢٥	دفع توهم الحصر وتعيين المبهمات
١٢٥	علاقة هذا الفصل بأسباب النزول
١٢٨-١٢٥	المبحث الأول : دفع توهم الحصر
١٢٥	من النصوص ما يفيد بظاهرة الحصر
١٢٦	مثال على ذلك
١٢٦	الدليل على أن الحصر الحقيقي غير مراد في هذا المثال

الصفحة	الموضوع
١٢٦	رأى الإمام الشافعى فى سبب نزول الآية
١٢٦	بيان المراد من الحصر الصورى الوارد فى الآية
١٢٧	سبب النزول يدفع توهم الحصر
١٢٩-١٤٠	المبحث الثانى : تعيين المبهمات
١٢٩	تعذر تعيين المبهمات فى القرآن الكريم
١٢٩	أسباب النزول تعين على تعيين المبهمات
١٢٩	الجهل بأسباب النزول يوقع فى الجناية
١٢٩	مثال على ذلك
١٢٩-١٤٠	أمثلة لتعيين المبهمات بواسطة اسباب النزول
١٣٠	المثال الأول
١٣١	المثال الثانى
١٣٢	المثال الثالث
١٣٢، ١٣٣	المثال الرابع
١٣٣	المثال الخامس
١٣٤	المثال السادس
١٣٤، ١٣٥	المثال السابع
١٣٥	المثال الثامن
١٣٥، ١٣٦	المثال التاسع
١٣٦	المثال العاشر

الموضوع	الصفحة
المثال الحادى عشر	١٣٧
المثال الثانى عشر	١٣٧
المثال الثالث عشر	١٣٩
من فوائد الإيهام فى القرآن الكريم	١٤٠
الفصل الثامن	
عموم اللفظ وخصوص السبب	١٤١
تهجريف العام	١٤١
تعريف الخاص	١٤٢
علاقة العموم والخصوص بأسباب النزول	١٤٢
هل العبارة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب ؟	١٤٢
رأى الجمهور فى هذه المسألة	١٤٢
رأى المخالفين	١٤٣
اتفاق الجميع على عموم الآيات النازلة فى أسباب خاصة	١٤٥
تعبير مكان الخلاف بين الفريقين	١٤٦
أدلة الجمهور	١٤٧-١٤٩
الدليل الأول	١٤٧
الدليل الثانى	١٤٨
الدليل الثالث	١٤٨-١٤٩
شبهات المخالفين والرد عليها	١٥٠-١٥٣

الصفحة	الموضوع
١٥٠	الشبهة الأولى
١٥١-١٥٠	الشبهة الثانية
١٥١	الشبهة الثالثة
١٥١	الشبهة الرابعة
١٥٢	الشبهة الخامسة
١٥٣	النتيجة المترتبة على كل من الرايين
١٥٣	اختيار الرأي الراجح
١٥٤	الباب الثمانين
	في طريق معرفة السبب وفيه ثلاثة فصول
١٥٤	الفصل الأول
١٥٤	الروايات التي وردت في أسباب النزول وقيمتها
١٤٥	كثرة الروايات تحيل استيعابها في هذا الفصل
١٤٥	الأسس التي بنيت عليها الدراسة
١٤٥-١٦٦	أولاً : أمثلة لما ورد في الصحيحين
١٥٥ ، ١٥٤	المثال الأول
١٥٨ ، ١٥٦	المثال الثاني
١٥٩ ، ١٥٨	المثال الثالث
١٥٩	المثال الرابع
١٦١ ، ١٦٠	المثال الخامس

الصفحة	الموضوع
١٦٢	المثال السادس
١٦٤، ١٦٣	المثال السابع
١٦٥	المثال الثامن
١٦٧، ١٦٦	المثال التاسع
١٦٩، ١٦٨	المثال العاشر
٢٠٣، ١٦٩	ثانياً : أمثلة لما وافق ما في الصحيحين
١٧٢، ١٦٩	المثال الأول
١٧٧، ١٧٢	المثال الثاني
١٨٠ - ١٧٧	المثال الثالث
١٨٥ - ١٨٠	المثال الرابع
١٨٩ - ١٨٥	المثال الخامس
١٩١ - ١٩٠	المثال السادس
١٩٦ - ١٩٢	المثال السابع
١٩٩ - ١٩٦	المثال الثامن
١٩٩	المثال التاسع
٢٠٣ - ٢٠٠	المثال العاشر
٢٢٦-٢٠٤	رابعاً : أمثلة لما لم يوافق ما في الصحيحين
٢٠٤	المثال الأول
٢٠٦	المثال الثاني
٢٠٨	المثال الثالث

الموضوع	الصفحة
الصور الأربع وأحكامها	٢٥٤
الصورة الأولى	٢٥٤
الصورة الثانية	٢٥٦
الصورة الثالثة	٢٦١
الصورة الرابعة	٢٦٦
المبحث الثاني : وحدة السبب لأكثر من آية	٢٦٨-٢٧٧
أمثلة للسبب الواحد تنزل فيه آيتان	٢٦٩-٢٧٣
المثال الأول	٢٦٩
المثال الثاني	٢٧٠
المثال الثالث	٢٧١
المثال الرابع	٢٧٢
أمثلة للسبب الواحد تنزل فيه أكثر من آيتين	٢٧٣-٢٧٤
المثال الأول	٢٧٣
المثال الثاني	٢٧٤
المثال الثالث	٢٧٤
ربط هذا الأمر بواقع المسلمين اليوم	٢٧٥ - ٢٧٧

الصفحة	الموضوع
٢٧٨-٢٨٢	الخاتمة
٢٩٣	المقترحات
٢٩٣-٢٩٥	ويحد :
٢٩٦-٣٨٥	الفهارس
٢٩٦-٣١٠	فهرس المصادر
٣١١-٢٣٢	فهرس الايات
٣٣٣-٣٣٨	فهرس الأحاديث
٣٣٩-٣٦٦	فهرس الأعلام
٣٧٠-٣٨٥	فهرس الموضوعات